

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدثنا محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثنا سلم بن قُتيبة عن ابن أبي ذئب عن
المقبريّ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحريصون على
الإمارة ثم تكون حسرةً وندامة يوم القيامة فنعمت المُرُضعةُ وبئست الفاطمةُ" .

حدثني محمد بن زياد الزياتي قال حدثنا عبد العزيز الداروردي قال حدثنا شريك
عن عطاء بن يسار أن رجلاً قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيء الإمارةُ .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقّها وحلّها" .

حدثني زيد بن أنحزم الطائي قال حدثنا ابن قُتيبة^(*) قال حدثنا أبو المنهال عن عبد العزيز
ابن أبي بكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : أبنته بُوران ، قال : "لن يفلح قوم أسندوا أمرهم
إلى امرأة" .

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت أيوب
يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحرة فقال : من استعمل
القوم؟ قالوا : علي قريش عبد الله بن مُطيع ، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن الراهب
فقال : أميران ! هلك والله القوم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية : أبو قتيبة ، وليس عندنا ما يرجح أحدهما
لوجودهما معاً في كتب الأنساب .

حدثنا محمد بن غنيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام ابن
 حسان قال كان الحسن يقول : « أربعة من الاسلام إلى السلطان الحكم والنفى
 والجمعة والجهاد » . وحدثني محمد قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن أيوب
 عن أبي قلابة قال قال كعب : « مثل الاسلام والسلطان والناس مثل القسطاط
 والعمود والأطناب والأوتاد ، فالقسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب
 والأوتاد الناس ، لا يصلح بعضه إلا ببعض » .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : قال أبو حازم سليمان بن
 عبد الملك : « السلطان سوق فما نفق عنده أتى به » . وقرأت في كتاب لابن
 المقفع : « الناس على دين السلطان إلا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد^(١)
 بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض » . وقرأت فيه أيضا : « الملك ثلاثة^(٢) ملك
 دين وملك حزم وملك هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم
 هو الذي يعطيهم ما لهم ويلحق بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة
 الراضى في الإقرار والتسليم . وأما ملك الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن
 والتسخط ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فلعب ساعة
 ودمار دهر » .

حدثني يزيد بن عمرو عن عصمة بن صقير الباهلي قال حدثنا اسحق بن عبيد
 عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله
 حُرَّاسًا يحرسونه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الديوان » .

(١) في الأدب الكبير : فيستكسد .

(٢) في الأصل الفتوغرافى : الملوك .

حدثني أحمد بن الحليل قال حدثني سعيد بن سلم الباهلي قال أخبرني شعبة عن شريك عن عكرمة في قول الله عز وجل ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال : « الجلاوزة يحفظون الأمراء » .

[وقال الشاعر^(*)

- ألا ليت شعري هل أبين ليلة * خلياً من اسم الله والبركات
يعنى باسم الله ، وفيه قول الله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أى بأمر الله] .
وقرأت في كتاب من كتب الهند : « شر المال ما لا يُنْفَق منه وشر الإخوان
الخاذل وشر السلطان من خافه البريء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن » .
وقرأت فيه : « خير السلطان من أشبه النسر حوله الخيف لا من أشبه الجيفة حولها
النسور » وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تخافه الرعية
خير للرعية من سلطان يخافها » .

حدثني شيخ لنا عن أبي الأحوص عن ابن عم لأبي وائل عن أبي وائل قال ،
قال عبد الله ابن مسعود : « إذا كان الامام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا
كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر » .

- وأخبرني أيضاً عن أبي قدامة عن علي بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه : « ثلاثٌ من الفَوَاقِر : جارٌ مُّقَامَةٌ إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة
أذاعها ، وأمراةٌ إن دخلت عليها لسننك وإن غبت عنها لم تأمنها ، وسلطان إن
أحسنت لم يحمدك وإن أسأت قتلك » .

- ، وقرأت في اليتيمة : « مثلٌ قليل مضار السلطان في جنب منافع مثل الغيث الذي
هو سُقْيَا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السفَر

(*) زيادة في النسخة الفتوغرافية .

ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتلج سيوله فيهلك الناس والدواب وتموج
 له البحار فتشتد البلية منه على أهله فلا يمنع الناس، إذا نظروا إلى آثار رحمة الله
 في الأرض التي أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر،
 أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلغوا ذكر خواص البلاء التي دخلت على
 خواص الخلق. ومثل الرياح التي يرسلها الله نُشْرًا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب
 ويجعلها لِقَاحًا للثمرات وأرواحًا للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها
 مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرّ بكثير من الناس في برهم
 وبحرم ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكون ويتأذى بها
 المتأذون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي سخرها له من قوام
 عبادته وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحًا للحرث
 والنسل وتاجًا للحب والثمر، يجمعها البرد باذن الله [ويجعلها] ويخرجها الحر باذن الله
 ويُنضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرر في حرهما وبردهما
 وسمائهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح. ومن ذلك
 الليل الذي جعله الله سكا ولباسا وقد يستوحش له أخو القفر وينازع فيه ذو البلية
 والرّية وتعدو فيه السباع وتلّساب في الهوام ويغتنمه أهل السرقة والسلة ولا يُزرى
 صغير ضرره بكثير نفعه ولا يلحق به ذمّا ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على
 ما مَنّ به عليهم منه. ومثل النهار الذي جعله الله ضياءً ونُشُورًا وقد يكون على الناس
 أذى الحَرّ في قِيظهم وتُصبّحهم في الحروب والغارات ويكون فيه النّصب والشُّحُوص
 وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شيء
 من سرّاها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نِعْمًاؤها بغير كدر وميسورها من

(*) في النسخة الفتوغرافية : رواها.

غير معسور كانت الدنيا إذا هي الجنة التي لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترح^ة
والتي ليس فيها نصب ولا لغوب، فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضره خاصة فهو
نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

وقرأت في التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب
الملوك مشغولة بكل شيء يجلّ وألباب السّوق مشغولة بأيسر الشيء ، فالجاهل منهم
يعذر نفسه بدعة ما هو عليه من الرّسنة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المشؤنة ،
ومن هناك يعزّر الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان

هو السلطان » .

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان » .

وروى الهيثم عن ابن عيّاش عن الشّعبي قال : « أقبل معاوية ذات يوم على
بنى هاشم فقال : يا بنى هاشم ، ألا تحذثوني عن آدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون
لكم أيا لرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعا ؟

فان كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتت حقا ولا أسست
ملكاً ، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
ووارثه وساقى الحجيج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بنى عبد مناف ،
وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فان القرابة خصلة من خصال الامامة
لا تكون الامامة بها وحدها وأتم تدعونها بها وحدها ، ولكنا نقول : أحق قريش بها
من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤهم

(*) للثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمر تضيق به الصدور، إذا سئلتهم عمن اجتمع عليه من غيركم قاتم حق . فان كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم الحق من دعواكم . انظروا : فان كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم ، وإن كانوا أخذوا حقهم فسلموا إليهم فانه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ابن عباس ندعى هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا ، ونقول كان ترك الناس أن يرضوا بنا ويجمعوا علينا حقاً ضيعوه وحظاً حرّموه ، وقد اجتمعوا على ذى فضل لم يخطئ الورد والصدّر ، ولا ينقص فضل ذى فضل فضل غيره عليه . قال الله عز وجل ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ فاما الذى منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نعهد منه إلينا قلنا فيه قوله ودأ بتأويله ولو أمرنا أن نأخذه على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه ، ولا يعاب أحد على ترك حقه إنما المعيب من يطلب ما ليس له ، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضاراً . انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفهمها سليمان ولم يضر داود . فاما القرابة فقد نفعت المشرك وهى للؤمن أنفع ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنت عمى وصنو أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك آخر الهجرة كما أن نبوتى آخر النبوة » . وقال لأبى طالب عند موته : يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ آلَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً ﴾ .

حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام مولى دُفَيْف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ له قال ، قال كسرى : « لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر ، وقاض عادل ، وسوق قائمة ، وطبيب عالم ، ونهر جار » .

(*) فى الأصل الفوغرافى : عليها .

- وحدثنا الرياشي قال حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا القاسم بن الفضل قال حدثنا ابن أخت العجاج عن العجاج قال : « قال لي أبو هريرة ممن أنت؟ قال قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك ^(١) بقعان الشام فيأخذوا صدقتك فإذا أتوك فتلقهم بها فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخل عنهم وعنهم، وإياك وأن تسبهم فانك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة » .
- وفي رواية أخرى أنه قال : « إذا أتاك المصطلق فقل : خذ الحق ودع الباطل ، فإن أبي فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعه إذا أدبر فتكون عاصيا خفف عن ظالم » .
- وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرغبة ، والمحبة ، والديانة » .

١٠. وقرأت في بعض كتب العجم كتابا لأردشير بن بابك إلى الرعية ، نسخته : « من أردشير الموبذ ذى البهاء ملك الملوك ووارث العظماء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البيضة ، والدعاب الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد . السلام عليكم ، فانا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيننا بفضل رأفتنا إتاقنا الموطفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لا تستشعروا الحقد فيدّهمكم العدو ، ولا تحتكروا فيشملكم القحط ، وتزوجوا في القرابين فانه أمس للرحم وأثبت للنسب ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال إلا بها » .

(١) بقعان الشام خدمهم وعيدهم . شبههم لياضهم وسوادهم بالغراب الأبقع وهو ما خالط سواده بياض . يعنى بذلك الروم والسودان .

(٢) في النسخة الألمانية : المؤيد ، والموبذ كالموبذان فقيه الفرس وحاكم المحروس .

(٣) في النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس إلى ألكسندر وفيه : « املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك منها باحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك ، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها الى القلوب بالمعروف ، وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل » .

وقرأت في كتاب الآيين^(١) أن بعض ملوك العجم قال في خطبة له : « إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأخص عن الأعمال لا عن السرائر » . ونحوه قول العجم : « أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها » . وقالوا : « لا ينبغي للوالى أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة [كرهاً]^(٢) ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر و صواب الرأي والتدبير » .

حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام عن شيخ له قال : « كان أنوشروان إذا ولي رجلاً امر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه فإذا أتى بالعهد وقع فيه : سئ خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سَفَلَةَ الناس بالإخافة » .

قال المدائني : « قدم قادم على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية : هل من مُغَرَّبَةٍ خبر؟ قال نعم ، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينا أنا عليه إذ أورد أعرابي إليه فلما شربت ضرب على جنوبها وقال عليك زياداً . فقلت له : ما أردت بهذا؟ قال : هي سُدى ، ما قام لي بها رايح مذ ولي زياد . فسر ذلك معاوية وكتب به الى زياد » .

(١) الآيين كلمة فارسية عربيها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة ، ولابن المقفع تأليف بهذا

الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكي باشا

عن هذه الكلمة في كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذي نقل عنه المؤلف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

قال عبد الملك بن مروان : « أنصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ! ولا تسيدون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر ! نسأل الله أن يعين كلًّا على كل » .

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوى في غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا ، فان ثقلت القلوب من هذا سكنت الى هذا » .

قال معاوية : « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما أنقطعت . قيل : وكيف ذاك ؟ قال : كنت اذا مدوها خلتها وإذا خلّوها مددتها » .

ونحو هذا قول الشعبي فيه : « كان معاوية كالجمل الطَّبَّ ، إذا سُكت عنه تقدّم وإذا رُدَّ تأخر » . والجمل الطَّبُّ الحاذق بالمشي وهو الذي لا يضع يديه إلا حيث يبصر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمها ، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من تحته » .

وأغلظ له رجل فخّم عنه فقبل له : أتملمم عن هذا ؟ فقال : « إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا » .

كان يقال : « لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة » .

(*) في الأصل الفتوغرافي : من .

- قال زياد : « أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سيمانا ما سيمونا » .
- وكتب الوليد الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : « إني أيقظت رأيي وأتت هواي ، فادنيت السيد المطاع في قومه ، ووليت الحرب الحازم في أمره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظري ولطيف عنايتي ، وصرفت السيف الى النطف المسىء ، والثواب الى المحسن البريء نخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .
- وكان يقول لأهل الشام : « [إنما] أنا لكم كالظلم الرائخ عن فراخه : ينفي عنها القدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشام أتم الجنة والرداء وأتم العدة والحذاء » .
- نفر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : « اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني » .
- وقال الوليد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : « هية الخاصة مع صدق مودتها وأقنياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع » .
- وفي كتب العجم : « قلوب الرعية خزائن ملوكها ^(١) فإا أودعها من شيء فلتعلم أنه فيها » .
- ووصف بعض الملوك سياسته فقال : « لم أهزل في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للغصب وأستكفيت على الجزاء وأثبت على العناء لا للهوى ، وأودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت وودا لم تشبه جرعة وعممت بالقوت ومنعت الفضول » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : قلوب الرعية خزائن ملكها فإا أودعها من شيء ، فليعلم أنه فيها .

(٣) في الأصل الفتوغرافي : القلوب .

وقرأت في كتاب التاج : قال أبو يزيد لابنه شيرويه وهو في حبسه : « لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك ، أعطهم عطاء قصداً وأمنهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء » . ونحوه قول المنصور في مجلسه لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجمع كلبك يتبعك . فقام أبو العباس الطوسي فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوح له خيرك برغيف فيتبعه ويدعك . ٥

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : « أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الله فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخيفوا الفساق وأجعلوهم يدا يدا ورجلا رجلا ، وعد مرضى المسلمين وأشهد جنازتهم وانتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فانما أنت ١٠ رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البيمة مرّت بوادي خصب فلم يكن لها هم إلا السمن وإنما حثفها في السمن ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشق الناس من شقى الناس به والسلام » .

١٥ هشام بن عروة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجم بعد الصلاة ساعة فقال الناس : لقد حدث نفسه . ثم التفت إلينا فقال : لا يبعدن ابن هند ! إن كانت فيه لمخارج لا نجد لها في أحد بعده أبدا ، والله إن كنا لنفرقه وما الليث الحريّ على برائته بأجرا منه فيتفارق لنا . وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط في الأصل الفتوغرافي هكذا (مرض) ويظهر أنه من عمل النسخ ، وفي الأصل الألماني :

مريض . والتصويب عن أشهر مشاهير الاسلام .

فَيَتَخَادَعُ لَنَا ، والله لوددت أَنَا مُتَعَنَّا بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا حَجَرٍ (وأشار إلى أبي قيس)
لَا يُتَّقُونَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا تَنْتَقِصُ لَهُ قُوَّةٌ ، قلنا : أَوْحَشَ والله الرجلُ . قال : وَكَانَ يَصِلُ
بهذا الحديث : كَانَ وَاللهِ كَمَا قَالَ الْعُدْرِيُّ

رَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَثَأْبُهَا * مَعْنً بِخَطْبَتِهِ مَجْمُورٌ
تُرِيْعُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ * إِذَا خَاطَلَ النَّثْرَ الْمِهْمَرُ^(١)

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا جدُّ سُرَّانٍ^(٢) وَسُرَّانُ عَمِّ الْأَصْمَعِيِّ
قال : « كَلَّمَ النَّاسَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنْ يَكْلِمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي أَنْ يَلِينَ لَهُمْ
فَإِنَّهُ قَدْ أَخَافَهُمْ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ أَخَافَ الْأَبْكَارَ فِي خُدُورِهِمْ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لَا أَجِدُ
لَهُمْ إِلَّا ذَلِكَ ، إِنَّهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ عِنْدِي لَأَخَذُوا ثَوْبِي عَنْ عَاتِقِي^(٣) » .

قال وتقدمت إليه امرأة فقالت : « يَا أَبَا عَفْرٍ حَفْصُ ، اللَّهُ لَكَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ
أَعْقَرْتِ ؟ أَيْ دُمِئْتَ فَقَالَتْ صَلَعْتُ فِرْقَتَكَ^(٤) » .

قال أَشْجَعُ السَّامِيِّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُثْمَانَ

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانَ إِلَّا شِدَّةٌ * تَغْشَى الْبِرَىءَ بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمَجْرِمِ
وَمِنْ الْوَلَاةِ مَقْحَمٌ لَا يُتَّقَى * وَالسِّيفُ تَقْطُرُ شَفَرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ
مَنْعَتْ مَهَابَتَكَ النُّفُوسَ حَدِيثَهَا * بِالْأَمْرِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ

(١) في الناج مادة هم ر: وخطيب ماهر: مكثر. وأورد هذا البيت. وفي الأصل الفتوغرافي "مهر"
ولم نجده في القاموس ولا في اللسان .

(٢) كذا بالأصل الفتوغرافي عاريا عن الضبط ، وضبط في النسخة الألمانية بضم أوله وقد بحثنا عنه فلم نهند إليه .

(٣) في الأصل الألماني : مِنْ عَلَى .

(٤) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني ولعله محرف عن "عمر" وكأنها أرادت أن تناديه بقولها
يا أبا حفص عمر ، فقالت من دهشتنا يا أبا عمر حفص كما قالت في آخر الحكاية صليت فِرْقَتَكَ وَكَانَ
أَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ فِرْقَتُ صِلَعَتِكَ .

(٥) في الأصل الألماني هلمت وهو تحريف .

كان يقال : « شر الأمراء أبعدهم من القراء وشر القراء أقربهم من الأمراء » .
كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حمص الى عمر : « إن مدينة حمص قد تهدم
(١) حصنها ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إصلاحه » فكتب اليه عمر « أما بعد ،
فحصنها بالعدل ، والسلام » .

ذكر أعرابي أميراً فقال : « كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون
على عيونه ، فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالحسن راج والمسيء خائف » .
كان جعفر بن يحيى يقول : « الخراج عمود الملك وما استغزير بمثل العدل ولا استئزير
بمثل الظلم » .

وفي كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه : « يا بني ، إن الملك والدين
أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أس والملك حارس ، وما لم يكن له أس
فهدوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بني ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول » .
وكان يقال : « مهما كان في الملك فلا ينبغي أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغي
أن يكون كذاباً فانه إذا كان كذاباً فوعد خيراً لم يرج أو أوعد بشراً لم يخف ،
ولا ينبغي أن يكون بخيلاً فانه إذا كان بخيلاً لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا
١٥ بالمناصحة [ولا ينبغي أن يكون حديداً فانه إذا كان حديداً مع القدرة هلكت الرعية]
ولا ينبغي أن يكون حسوداً فانه إذا كان حسوداً لم يشرف أحداً ولا يصلح الناس
إلا على أشرفهم ، ولا ينبغي أن يكون جباناً فانه إذا كان جباناً ضاعت ثغوره وأجترأ
عليه عدوه » .

(١) في الأصل الفتوغرافى سورما وكتب فوقها كالتفسير لما : حصنها .

(٢) هذه الجملة سقطت في الأصل الفتوغرافى من سهو النسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: وأبتاه، وبكت .
فقال معاوية: « يا أبنسة أنحى إك الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم
حلمنا تحت غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان
أنصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا نكون أم لنا، ولأن تكوني بنت عم
أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين » .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي: « إك المسلمين ولوك أمرهم بعد علي
فشمر للحرب وجاهد عدوك ودار أصحابك وأشتري من الضنين دينه بما لا يثلم دينك
وول أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائهم حتى تكون الجماعة فان بعض
ما يكره الناس، ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي الى ظهور العدل وعز الدين، خير
من كثير مما يحبون إذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور ووهن الدين » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم
قال: « كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألم عن حالهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل
البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف ؟ وهل يعود المريض ؟ فان قالوا نعم،
حمد الله تعالى، وإن قالوا لا، كتب اليه: أقبل » .

اختيار العمال

رؤى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما حضرته الوفاة كتب عهدا فيه:
« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده
بالدنيا وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر: اني
استعملت عمر بن الخطاب فان برّ وعدل فذلك علمي به، وإن جار وبتل فلا علم

لى بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب (١) وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (٢) .

وفى التاج أن أبرويز كتب الى ابنه شيرويه من الحبس : « ليكن من تختاره لولايتك أمرا [كان] فى ضعة فرعته ، أو ذا شرف وجدته مهتظا فأصطنعته ، ولا تجعله أمرا أصبته بعقوبة فأتضع عنها ولا أمرا أطاعك بعد ما أذلته ولا أحدا ممن يقع فى خلدك أن إزالة سلطانك أحب له من ثوته ، وإياك أن تستعمله ضيرعا غمرا كثر إعجابه بنفسه وقلت تجاربه فى غيره ، ولا كبيرا مديرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه » .

وقال لقيط فى هذا المعنى

١٠ فقلدوا أمركم لله دركم * رجب الذراع بأمر الحرب مضطلما
لا مترفا إن رضاء العيش ساعده * ولا إذا عض مكروه به خشعا^(٣)
ما زال يحلب در الدهر أشطره * يكون متبعا يوما ومتبعا
حتى آسمرت على شزير مريته * مستحيم السن لا نخا^(٤) ولا ضرعا

ويقال فى مثل : « رأى الشيخ خير من مشهد الغلام » ومن أمثال العرب أيضا

١٥ فى المجرب « العوان لا تعلم الخمرة » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية . (٢) فى النسخة الألمانية : حير .

(٣) فى النسخة الألمانية : خضا .

(٤) هكذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفروع فى " غما " وكتب تحته كالتفسير له " كبيرا " .

والعواب " غما " ومعناه كبير السن جدا ونظيره من شعر العرب قوله

٢٠ له حكايات الدهر من غير كثرة * تشين فلا فان ولا نزع غمر

قال بعض الخلفاء : دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني . قالوا : كيف تريده؟ قال : « إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيع بن زياد^(١) [الحارثي] . قال : صدقتم ، هو لها .

وروى الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال ، قال المجاج : دلوني على رجل للشرطة فقيل : أي الرجال تريد؟ فقال : « أريده دائم العبوس طويل الجلوس سمين الأمانة^(٢) أعجف الخيانة لا يخفق في الحق على جرة يهون عليه سبب الأشراف في الشفاعة » فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التيمي . فأرسل اليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك . قال : يا غلام ، ناد في الناس : من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة . قال الشعبي : فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله ، كان لا يحبس إلا في دين ، وكان إذا أتى برجل قد نقب على قوم وضع منقبته في بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أتى بنبأ ش حفر له قبرا فدفنه فيه ، وإذا أتى برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه ، وإذا أتى برجل يشك فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلثمائة سوط . قال : فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضم اليه المجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالأصلين الفنوغرافى والألماني وهو تحريف والصواب لا يثبت في الحق على جرة ، يقال ما يثبت

فلان على جرة وما يكظم على جرة إذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضي الله عنه :

« لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يثبت على جرة » اهـ . انظر اللسان في مادة حتى .

- وقرأت في كتاب أبرويزالى أبنه شيرويه : « انتخب لخراجك احد ثلاثة :
- إما رجلا يظهر زهدا في المال ويدعى ورعا في الدين فان كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفّر الخراج وأجتهد في العماره ، فان هو لم يبرح ولم يعف إبقاء على دينه ونظرا لأمانته كان حريّا أن يخون قليلا ويوفّر كثيرا أسيرًا بالرياء واكتاما بالخيانة ، فان ظهرت على ذلك منه عاقبتّه على ماخان ولم تحمّده على ماوفر ، وإن هو جّاح في الخيانة وبارز بالرياء نكّلت به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس . أو رجلا عالما بالخراج غنيا في المال مأمونا في العقل فيدعوه علمه بالخراج الى الاقتصاد في الحلب والعماره للأرضين والرفق بالرعية ، ويدعوه غناه الى العفة ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلا عالما بالخراج مأمونا بالأمانة مُقْتِرًا من المال فتوسّع عليه في الرزق فيغتم حاجته الرزق ويستكثر لفاقته اليسير ، ويُرْجى بعلمه الخراج ، ويعف بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل العُدْر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن قصّروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

- قال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : دلّني على قوم من القراء أولهم . فقال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للأثرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا ، فما ظنك بهم إذا أنت وليتهم فكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فوهم .

- أحضر الرشيد رجلا ليولّيه القضاء فقال له : إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه . قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه . وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور أكثر صوابه ، وأما الفقه فسينضم اليك من لتفقه به . فويلي فلان وجدوا فيه مطعنا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثني صالح بن رستم أبو عامر الخزاز قال قال لي إياس بن معاوية المزني : أرسل إلى عمر بن هبيرة فأنثته فساكتني فسكت ، فلما أطلت قال : إيه . قلت : سل عما بدا لك . قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب شيئا ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئا ؟ قلت : أنا بها أعلم . قال : إني أريد أن أستعين بك . قلت : إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل . قال : ما هن ؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حديد ، وأنا عي . قال : أما الدمامة فاني لا أريد أن أحاسن بك الناس ، وأما العي فاني أراك تعبر عن نفسك ، وأما سوء الخلق فيقومك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولاني [وأعطاني^(*)] ألفي درهم فهما أول مال تمولته .

قرأت في كتاب للهند : « السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه وأطرحه مخافة ضره ، ففعل الذي تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده ، وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده عنده كتكأه المرء على الدواء البشع لنفعه » .

حدثني المعلّ بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنا رجلا فقد تضمن عيبه » .

(*) زيادة لازمة عن السعة الألمانية .

باب صحة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلقونه

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن الشعبي عن عبد الله بن عباس قال : قال لي أبي : « يا بُنَيَّ إني أرى أمير المؤمنين يستخيلك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني أوصيك بنخلال أربع : لا تفشين له سرا ، ولا يجربن عليك كذبا ، ولا تفتابن عنده أحدا ، ولا تطوعنه نصيحة » قال الشعبي قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إني والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا ، وإن زادك فزده » .
قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ثم أصفح صفحا جميلا ، ولا يرين منك تهالكا عليه ولا انقباضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغي لمن خدم السلطان ألا يغتر بهم إذا رضوا عنه ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ولا يستثقل ما حملوه ولا يلحف في مسئلتهم » .

وقرأت في كتاب للهند : « صحة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطار ، وإنما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد ، ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاء وفي نكبته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيط وأطراح للأئفة ، وصل إلى حاجته » .

وقرأت فيه : « السلطان لا يتونى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه » .

وكانت العرب تقول : « إذا لم تكن من قُربان الأمير فكُن من بُعدانه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « لا تكوننَّ صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فإن كنت حافظا إذا وَلَّوكَ ، حَذِرا إذا قَرَّبوكَ ، أَمينا إذا آثَمَنوكَ ، تعاضهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صَرَّموكَ ، راضيا إن أَسَخَطوكَ ، وإلا فالبعد منهم كُلَّ البعد والحذر منهم كُلَّ الحذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فإنه من يَخْلِمُ^(٢) السلطان بحقه يَحُلْ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة » .

وقال : « إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة في غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرنَّ له في الدعاء إلا أن تكلمه على رؤوس الناس ولا يكوننَّ طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئن^(٤) إن أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنت تعتد عليه ببلاء . وإن استطعت ألا يَنسَى حَقُّك وبلاءك بتجديد النصيح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله في أول صحبتك له فلا تجد موضعا للزيد ولكن دع للزيد موضعا . وإذا سأل غيرك فلا تكن المحيب . وأعلم أن استلابك للكلام خفةٌ بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

(١) في الادب الكبير : ضاموك ، وفي نسخة منه ظلموك . (٢) في الأدب الكبير : ومن لا يأخذه بحقه .

(٣) في الأدب الكبير : من يأخذ عمل . (٤) في الأصل الفتوغرافي : وإن .

فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما إياك سألت ، وقال لك المسئول : اجب أيها المعجب بنفسه المستخف بسلطانه ؟ » .

وقال : « مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب » .

- وقال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختصه لمجالسته ومحادثته : « كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا : إذا اعجبك الكلام فاضمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن (*) لا تساعدني على ما يقبح بي ولا تردن على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التسميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلّني بقدر ما أستنطقك واجعل بدل التقرّيط لي حسن الاستماع مني . واعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعتني أتحدث فأرني فهمك في طرفك وتوقفك ولا تجهّد نفسك في نظرية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من استحسان ما يكون مني ، فمن أسوأ حالا ممن يستكّد الملوك بالباطل فيدلّ على تهاونه ، وما ظنك بالملك وقد أحلك محلّ المعجب بما تسمع منه وقد أحلته محل من لا يسمع منه ؟ وأقل من هذا يحيط إحسانك ويُسقط حقّ حرمة إن كانت لك . إني جعلتك مؤدبا بعد أن كنت معلما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباعدا . ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له : يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يقضى فيه إلا حقك .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

قال الفضل بن الربيع : « مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيات النواكي ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، فقل : صبح الله الأمير بالكرامة . وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسئلة توجب الجواب فإن لم يجيبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثني عليه عند أحد ، فإذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطّف ، ولا تُسار في مجلس السلطان أحدا ولا تومئ إليه بجفئك وعينك فإن السرار يخيّل إلى كل من رآه من ذي سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصغ إلى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

وقرأت في كتاب للهند أنه أهدى لملك الهند ثياب وحلى فدعا بامرأتين له وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلية ، وكان وزيره حاضرا ، فنظرت المرأة إليه كالمستشارة له فغمزها باللباس تغضينا بعينه ، ولحظه الملك ، فاختارت الحلية لئلا يفتن للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا تقر تلك في نفس الملك وليظن أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للآخرى [فلمّا حضرت الملك الوفاة قال لولده : توص بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة] .

قال شبيب بن شيبّة : « ينبغي لمن سائر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتاج إلى أن يلتفت : ويكون من ناحية إن

(١) في الأدب الكبير « من الإعتاب مما مخط عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالي » والإعتاب الجوع عن الاساءة .

(٢) في الأدب الكبير : عنه . (٣) زيادة عن الأصل الفوتوغرافي .

التفت لم تستقبله الشمس ، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سَنَنِ الرِّيح التي تؤدى الغبار الى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن آبتليت بأن تدخل الى السلطان مع الناس فأخذوا في الشناء فعليك بالدعاء » .

- قال ثُمَامَة : كان يحيى بن أكرم يمشى المأمون يوما في بستان موسى ^(١) والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحادثان حتى بلغ حيث أراد ثم كر راجعا في الطريق التي بدأ فيها فقال ليحيى : كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يسارى وقد نالت منك فكن الآن حيث كنت وأتحول أنا الى حيث كنت . فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكننى أن أقيك هؤل المطلع بنفسى لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما بُد من أن تأخذ الشمس منى مثل ما أخذت منك . فتحول يحيى وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون .
- وقال المأمون : « أزل العدل أن يعدل الرجل على بطأته ثم على الذين يَلُونَهُم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى » .

- المداثنى قال ، قال الأحنف : « لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من أشرف للسلطان أذراه ومن تضرع له ^(٢) أحظاه » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني محمد بن عمرو الرومى ^(٣) [قال حدثنا زهير بن معاوية] عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال ، قال حذيفة بن اليمان : « ما مشى قوم قط الى سلطان الله فى الأرض لِيُذْلُوهُ إلا أنْهَم الله قبل أن يموتوا » .

(١) كذا بالأصل ، وفى العقد الفريد : مؤنة بنت المهدي .

(٢) هكذا فى الألمانية ، وفى الفتوغرافية أخطاه . وفى العقد الفريد : ومن تطامن له تحطاه ، قال : شهبوا السلطان بالريح الشديدة التي لا تضر بما لان وتمايل معها من الشجر والحشيش ، وما استهدف لها نصيبه . (٣) زيادة عن النسخة الألمانية .

وفي أخبار خالد بن صفوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدنانى حتى كنت أقرب الناس منه فتنفّس ثم قال : يا خالد، لربّ خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى الى حديثنا منك . فعلمت أنه يعنى خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أفلا تعيده؟ فقال : إن خالدًا أدلّ فأملّ وأوجبف فأعجف ولم يدع لراجع مرجعا ، على أنه ما سألنى حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ذاك أحرى . فقال : هيهات إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكن ^(١) * إليه بوجه آخر الدهر تُقبل

حدثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث ، وبيعه نبيك : اعتل ^(٢) يحيى بن خالد فبعث الى منك الهندي فقال له : ما ترى فى هذه العلة؟ فقال منك : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفنتا . فقال له يحيى : ربما ثقل على السمع خطرة الحق به ، فاذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منك : صدقت ولكنى أرى فى الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسم فى المعرفة وقد نُبِيت ، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأموه منصرف الى العواقب وما حتم لابد من أن يقع ، والمنعة ^(٣) بمسألة الأيام نُهْزة فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منك : هى الصفراء مازجتها مائئة من البلغم فحدث لها بذلك ^(٤)

(١) الرواية المشهورة فى هذا البيت : لم تكن .

(٢) ورد هذا الاسم فى النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفى تقريب التهذيب لابن حجر : « نبيك » بوزن عظيم ابن يريم . وفى تحفة ذكرى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : « نبيك » ككريم آثره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالعقد الفريد وفى النسخة الفتوغرافية : « متعقبا » وفى النسخة الألمانية : « متعينا » وكلاهما من تحريف النساخ .

(٤) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية : « المتعة » وفى الألمانية : « المنفعة » وكلاهما محرف .

- ما يحدث للهب عند مماسه رطوبة المادة من الاشتعال نخذ ماء رُمَانين ^(١) فدَقَّهما
بإهليلجة سوداء تُهَضُّك ^(٢) مجلسا ^(٣) [أو مجلسين] وتسكن ذلك التوقد الذي تجد إن شاء الله .
فلما كان من حديثهم الذي كان ، تلطف منك حتى دخل على يحيى في الحبس فوجده
جالسا على لبْد ووجد الفضل بين يديه يَمْهُنُ ^(٤) أى يخدم فاستعبر منك وقال : قد كنت
ناديت لو أُعْرِت ^(٥) الإجابة . قال له يحيى : أترك علمت من ذلك شيئا جهلته ؟ كلا
ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفق وكان مزايلة القدر
الخطير عبئا قلما تنهض به الهمة . وبعيد فقد كانت نعم أرجو أن يكون أولها شكرا
وآخرها أجرا . لما تقول في هذا الداء ؟ قال له منك : ما أرى له دواء أنجع من الصبر ،
ولو كان يفدى بمال أو مفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك . قال يحيى : قد
شكرت لك ما ذكرت فإن أمكك تعهدنا فافعل . قال منك : لو أمكننى تخليف
الروح عندك ما بخلت بذلك ، فانما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك . قال الفضل
كان يحيى يقول : دخلنا فى الدنيا دخولا أخرجنا منها .

وقرأت فى كتاب للهند : « إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للأصحاب وسخاء نفسه
عن فقد منهم مثل البغى والمكتب ، كلما ذهب واحد جاء آخر » .

- والعرب تقول : « السلطان ذو عدوان وذو بدوان وذو تدرا » يريدون أنه سريع
الانصراف كثير البدوات هجوم على الأمور .

(١) كذا بالأصل الفتوغرافى وفى العقد الفريد : نخذ ماء الرمان فدق فيه إهليلجة الخ .
(٢) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية هكذا "تنفضك" . وفى الألمانية : "تنفضك" وكلاما متحريف .
(٣) الزيادة عن العقد الفريد .
(٤) فى الأصل الفتوغرافى كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم" . وزيد فى النسخة الألمانية كأنه من الأصل
(٥) فى العقد الفريد "أسرعت" وفى الأصلين الفتوغرافى والألماني هكذا "أعرب" ونقل فى هامش
النسخة الألمانية "أعرت" ولعله الصواب .

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فزعا أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن ، هات نعلي . بجاء بها ، فقال : يا معاذ ضعها في رجلي . فالبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم ، ووجه أبو جعفر يقطين بن موسى الى أبي مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفعليها ابن سلامة الفاعلة؟ لا يكتنى . فقال يقطين : عجلت أيها الأمير، قال وكيف ؟ قال : أمرني أن أحصى الأموال ثم أسلمتها اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يقطين على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسوط معرفة رذونه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُغني المعرفة إذا لم يُقدر على دفع المحتوم . ثم قال : جارة ذيلها ، تدعوا يا ويلها ، بدجلة أو حولها ، كأننا بعد ساعة ، قد صرنا في دجلة .

قال المنصور : « ثلاث كن في صدري شفى الله منها : كتاب أبي مسلم إلى وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من سوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية ؟ . وضرب سليمان بن حبيب ظهري بالسياط » .

قال المنصور لسلم ابن قتيبة : ماترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال سلم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يا أبا أمية .

قال أبو دلّامة ١٥

أبا مجرم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يُغيرها العبد
أفي دولة المهدي حاولت غدره * ألا إن أهل الغدر آباؤك الكُدر
أبا مجرم خوفني القتل فانتحي * عليك بما خوفني الأسد الورد

قال مروان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتججت إلى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بي . فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفني في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ

حُرِّمَتِي بَعْدَ وَفَاتِي» فَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ: إِنَّ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْفَعُ الْأَمْرَيْنِ لَكَ وَأَقْبَحُهُمَا
بِي وَمَا عِنْدِي إِلَّا الصَّبْرُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَكَ أَوْ أَقْتُلَ مَعَكَ . وَقَالَ
أَسِيرٌ وَفَاءٌ ثُمَّ أَظْهَرَ خَدْرَةً * فَمَنْ لِي بِعَذْرِ يُوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرُهُ

المشاوره والرأى

- حَتَّثَنَا الزِّيَادِيُّ قَالَ حَتَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُ حَتَّى الْمَرْأَةَ فَتَشِيرُ عَلَيْهِ بِالشَّيْءِ فَيَأْخُذُ بِهِ» .
- وَقَرَأْتُ فِي التَّاجِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وَزَرَءَهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
« لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا خَالِيًا بِهِ ، فَإِنَّهُ أَمُوتَ لِلسَّرِّ وَأَحْزَمَ لِلرَّأْيِ
وَأَجْدَرَ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةٍ بَعْضٌ ، فَإِنْ إِفْشَاءَ السَّرِّ إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ
أَوْثَقَ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ ، وَإِفْشَاءَهُ إِلَى ثَلَاثٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى الْعَامَةِ لِأَنَّ الْوَاحِدَ رَهْنٌ
بِمَا أَفْشَى إِلَيْهِ وَالثَّانِي يُطْلَقُ عَنْهُ ذَلِكَ الرَّهْنُ وَالثَّلَاثُ عِلاوَةٌ فِيهِ ، وَإِذَا كَانَ سَرُّ الرَّجُلِ
عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى أَلَّا يُظْهَرَهُ رَهْبَةً مِنْهُ وَرَغْبَةً إِلَيْهِ ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ
دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِضُ ، فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقَبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ أَتَمَّهُمَا أَتَمَّ بَرِيئًا بِجَنَاحٍ مُجْرَمٌ ، وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا كَانَ الْعَفْوُ عَنْ
أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنْ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ » .

- وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ أَنَّ مُلُوكًا اسْتَشَارَ وَزَرَءَهُ لَهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : « الْمَلِكُ
الْحَازِمُ يَزْدَادُ بِرَأْيِ الْوُزَرَءِ الْحَزْمَةِ كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ مِنَ الْأَنْهَارِ ، وَيُنَالُ بِالْحَزْمِ
وَالرَّأْيِ مَا لَا يُنَالُهُ بِالْقُوَّةِ وَالْجُنُودِ ، وَالْأَسْرَارُ مَنَازِلُ : مِنْهَا مَا يَدْخُلُ الرَّهْطُ فِيهِ ، وَمِنْهَا
مَا يَسْتَعَانُ فِيهِ بِقَوْمٍ ، وَمِنْهَا مَا يَسْتَفْنِي فِيهِ بِوَاحِدٍ . وَفِي تَحْصِينِ السَّرِّ الظَّنُّ بِالْحَاجَةِ
وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْخُلَلِ . وَالْمُسْتَشِيرُ إِنْ كَانَ أَفْضَلَ رَأْيًا مِنَ الْمَشِيرِ ، فَإِنَّهُ يَزْدَادُ بِرَأْيِهِ

(*) فِي النُّسَخَةِ الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ : إِلَّا الصَّبْرَ مَعَكَ .

رأيا كما تزداد النار بالسليط ضوءا . وإذا كان الملك محصنا لسره بعيدا من ان يُعرف ما في نفسه متخيلا للوزراء مهيبا في أنفاس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المريب مقدرا لما يُفقد وينفق . كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به . »

قال أبو محمد : كتبت الى بعض السلاطين كتابا وفي فصل منه : « لم يزل حزمة الرجال يستحلون مرارة قول النصحاء ويستهدون العيوب ويستثيرون صواب الرأي من كل حتى الأمة الوكلاء ، ومن احتاج الى إقامة دليل على ما يدعيه من مودته وتقاء طويته فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطراب إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانسباط جاهك ويدك زيادة الحال » .

وفي فصل آخر : « وقد تجملت في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأي ولم أستشر وأحلت نفسي محل الخواص ولم أحل ونزعت بي النفس ، حين جاشت وضائق بما تسمع ، عن طريق الصواب لها الى طريق الصواب لك ، وحين رأيت لسان عدوك منبسطا بما يدعيه عليك وسهامه نافذة فيك ، ورأيت وليك معكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوام الناس يخوضون بضروب الأقاويل في أمرك ، ولا شيء أضرب على السلطان في حال ولا أنفع في حال منهم . وبما يُجرّيه الله على ألسنتهم تسير الركبان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب ، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات » .

وفي فصل منه : « وسائس الناس ومدبر أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والمنوع مما

(*) في الأصل الفتوغرافي : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة الألمانية .

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا منعوا بعضها ، ولا يعذرون بالعدر الواضح فكيف بالعدر المتببس ، وأخوك من صدقك وأرتضى لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك .

- ٥ قال زياد لرجل يشاوره : « لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع ، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان : إضاعة السر ، وإحراج النصيحة . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخرة يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه ، وقد عجمتهما لك » .

- وكتب بعض الكتاب : « اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفتا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الغاش لك الحاطب عليك من مد لك في الاغترار ووطأ لك ميهاد الظلم وجرى معك في عنائك منقادا لهواك » .

- وفي فصل : « إني وإن كنت ظنينا عندك في هذه الحال فني تدبرك صفحات هذه المشورة ما ذلك على أن تخرجها عن صدق وإخلاص » .

- ١٥ إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله ابن عمر في أخيه أبي بكر أن يولي القضاة ، فأشار عليه به ، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أترى لي أن ألي القضاة ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت علي به ثم أسمعك تنهأ ! قال : أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك ، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحتني .

كان نصر ابن مالك على شرط أبي مسلم ، فلما جاءه إذن أبي جعفر في القدوم عليه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليك ، قال له أبو جعفر لما صار إليه : استشارك أبو مسلم في القدوم على فنيته؟ قال نعم : قال وكيف ذاك؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الامام يحدث عن أبيه محمد ابن علي قال « لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : « لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه على ضغنا فاستشيرته ، فيثير^(١) إلى منه بقدر ما يحده في نفسه فلا يزال يوسعني شتما وأوسعها حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعيتني وأستنجده فيُنجدني » .

وقرأت في كتاب إبرويزالى ابنه شيرويه وهو في حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد في الرجال من ينضج لك الكي ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكن ولا يدع لك في عدوك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها ، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع الى رأيك رأي غيرك فان أحمدت اجتنيت وإن ذممت نفيت ، فان في ذلك خصالا : منها أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك ، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، فان رأيت معتليا لما رأيت قليت ، وإن رأيت متضعا عنه استغنيت ، ومنها أنه يحدد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ ويحض لك مودته وإن قصر » .

وفي كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ، أخطأ الرأي وازداد مرضا وحل الوزر » .

(١) قل بها مش النسخة الألمانية عن نسخة "فيثور" الخ .

(٢) في الأصل "ينصح" وهو تحريف .

(٣) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية ، والمناسب لما قبله "أذمت" يقال أذمت أي وجدته ذميا .

وفي آداب ابن المقفع : « لا يُقذفن في رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك، فيقطعك ذاك عن المشاورة، فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للارتفاع به . ولو أنك أردت الذكر كان أحسن الذكر عند الألباء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

قال عمر بن الخطاب : «الرأى الفرد كالخيط السَّحِيل، والرأىان كالخيطين المبرمين،
والثلاثة مِرَارٌ لا يكاد ينتقض » . وقال أشجع

رأى سرى وعيونُ الناس هاجمةٌ * ما أتر الحزم رأى قُدم الحذرا

كتب الحجاج الى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة، فكتب اليه المهلب : « إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسبي يوم عقدت له الخوارج : تكلم . فقال : ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيبي .
وقال أيضا : خيم الرأى خير من فطيره ، ورُبَّ شئ غابهُ خير من طريه ، وتأخيرهِ خير من تقديمه . وقيل لآخر : تكلم . فقال : ما أشتهى الخبز إلا بائنا .

كان ابن هبيرة يقول : « اللهم إني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والانهطاط في هوى مستشيريه ، ومن لا يلتمس خالص مودتك إلا بالتأني لموافقة شهوتك ، ومن يساعذك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك » . وكان يقال : « من أعطى أربعا لم يُمنع أربعا : من أعطى الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أعطى التوبة لم يُمنع القبول، ومن أعطى المشورة لم يُمنع الصواب، ومن أعطى الاستخارة لم يُمنع الخيرة » . وكان يقال : لا تستشر معلميها ولا راعي الغنم ولا كثير القعود مع النساء . وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول .

(*) في النسخة الألمانية مرائر . والمرار : الحبل الذي أجيد فتلته .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطه الخف « ولا لحاقب » وهو الذى يجد رزاً فى بطنه . وقالوا أيضا : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مَرَّازِ بَتَه فقَصَّروا فى الرأى دعا الموكِّلين بأرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : تخطئ مَرَّازِ بَتَك وتعاقبنا ! فيقول : نعم ، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطوا . وكان يقال : إن النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكة فان الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم .
قال الشاعر

وأفنع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فأبصر بعدها من تشاور
وليس بشافيك الشفيق ورأيه * غريب ولا ذوالرأى والصدر واغر

ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى رافدات القوادم
وخلُّ الهوينا للضعيف ولا تكن * تؤوما فان الحزم ليس بنائم
وأدين من القربى المقرب نفسه * ولا تُشهد الشورى أمراً غير كاتم
وما خير كف أمسك الغلُّ أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقاءم
فانك لن تستطرد الهم بالمنى * ولن تبلغ العليا بغير المكارم

قال أعرابي : ما عُيِّنْتُ قط حتى يُغَبَّن قومي . قيل : وكيف ذلك ؟ قال :
لا أفعل شيئا حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بنى عبس : ما أكثر صوابكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفيها حازم واحد ونحن نطيعه، فكأننا ألف حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توان » .

وقال القطامي في معصية الناصح

ومعصية الشفيق عليك ما * يزيدك مرة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا
كذلك وما رأيت الناس إلا * إلى ما جرت غاويهم سراعا
تراهم يغمزون من استرگوا * ويحتنبون من صدق المصاعا

وقال آخر، أنشدنيہ الرياشي

ومولى عصاني وأستبد برأيه * كما لم يقطع بالبقين قصير
فلما رأى أن غب أمرى وأمره * وولت بأعجاز الأمور صدور
تمنى بثيسا أن يكون أطاعني * وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال سبيع لأهل اليمامة « يا بني حنيفة بعدا كما بعدت عاد وثمود، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كأنى أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم، وأصبحتم وفي أيديكم من تكذبي التصديق ومن تهمتي الندامة، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود وما بقى غير مأمون. وإني لما رأيتم تهمون النصيح وتسفهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غيرة ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وهن الموعوظ وكنتم كأنما يُعنى بما أتم فيه غيركم » .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذي يخلط حلو كلامه بمرّه وحرّه بسهله ويحرك الأشفاق منه ما هو ساكن من غيره ،

وقد وعيتُ النصيح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُشكُّ في مودته وصافي غيبه ، وما زلتُ بحمد الله الى كل خير طريقاً منهاجاً ومهيئاً واضحاً .

وكتب عثمان الى عليّ حين أحيط به : «أما بعد فإنه قد جاوز المساء الزبي وبلغ الحزام الطيّين وقد تجاوز الأمر بي قدره .

فان كنتُ ما كولا فكن خيراً كل * وإلا فادرصكني ولما أمرق»

وقال أوس بن حجر

وقد أُعيبَ ابنُ العم إن كنتُ ظالماً * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلاً

وإن قال لي ماذا ترى ؟ يستشيرني * يحدني ابن عمي مخلط الأمر مزياً

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها * وأحر إذا حالت بأن أتحولاً

وأستبدل الأمر القوي بغيره * إذا عقد مأزوني الرجال تحللاً

وكان يقال : «أناة في عواقبها درك ، خير من معاجلة في عواقبها فوت» .

وأنشدني الرياشي

وعايرُ الرأي مضياح لفرصته * حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

وكان يقال : «روّ بحزم فاذا استوضحت فاعزم» .

الاصابة بالظن والرأي

كان ابن الزبير يقول : « لا تاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه » . وسئل

بعض الحكماء : ما العقل ؟ فقال : «الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان» .

وكان يقال : «كفى تخبراً عما مضى ما بقى ، وكفى عبراً لأولى الألباب ما جربوا» . وكان

يقال : «كل شيء محتاج الى العقل ، والعقل محتاج الى التجارب» . ويقال : «من لم

ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه» . وقال أوس بن حجر

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً

وقال آخر

وأبني صواب الظن أعلم أنه * إذا طاش ظن المرء طاشت مقاديره

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عبد الله بن عباس : «إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق» . ويقال : «ظن الرجل قطعة من عقله» . ويقال : «الظنون مفاتيح اليقين» . وقال بعض الكتاب

أصونك أن أظن عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكمي

مثل التدبر في الأمر آتتافك * والمرء يعجز في الأقوام لا الحيل^(١)

وقال آخر

وكنتم متى تهز لخطب تغشبه * ضرائب أمضى من رفاق المضارب
تجلت به بالرأى حتى أريت به * به ملء عينيه مكان العواقب

وقال آخر يصف عاقلاً

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يرى بصواب الرأي ما هو واقع

وقال آخر في مثله

علم بأعقاب الأمور برأيه * كان له في اليوم عيناً على الغد

وقال آخر يصف عاقلاً

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال جثامة بن قيس يهجو قوما^(٢)

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تعلمون أجراء الرشد أم غابا

(١) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية ، ولعله محرف عن الأقدام .

(٢) في النسخة الفتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلة * ولا ترون وقد ولين أذنا
وقلما يفجا المكروه صاحبه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا
وقال آخر (*)

فلا يحذرون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا

• ويقال : «ظن العاقل كهاية» . وفي كتاب للهند : «الناس حازمان وعاجز، فاحد
الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم يبطر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه ، وأحزم
منه العارف بالأمر إذا أقبل فیدفعه قبل وقوعه ، والعاجز في تردد وتثن حائر باثر
لا ياتمر رشدا ولا يطيع مرشدا» .

وقال الشاعر

۱۰ وإنی لأرجو الله حتى كأني * أرى بجمل الظن ما الله صانع

وقال آخر

۱۵ وِغْرَةٌ مَرَّةً مِنْ فَعْلٍ غَيْرَ * وَغِرَةٌ مَرَّتَيْنِ فَعَالٌ مُوقٍ
فلا تفرح بأمر قد تدنى * ولا تأيس من الأمر السحيق
فان القرب يبعد بعد قرب * ويدنو البعد بالقدر المسوق
ومن لم يتق الضحضاح زلت * به قدماه في البحر العميق
وما آكتسب المحامد طالبوها * بمثل البشر والوجه الطليق

وقال مروان بن الحكم لحبيش بن دبلجة : أظنك أحق . قال : «أحق ما يكون
الشيخ إذا عمل بظنه» . ونقش رجل على خاتمه : «الحاتم خير من الظن» . ومثله :
«طينة خير من ظنة» .

۲۰ (*) في النسخة الفتوغرافية وقال جثامة بن قيس . واليت لحرير كما في اللسان .

اتباع الهوى

كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الظرب : الرأى نائم والهوى يقظان ، ولذلك يغلب الرأى الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره

إذا أنت لم تعص الهوى قaddock الهوى * إلى بعض ما فيه عليك مقال
وقال بزرجمهر : « إذا أشتبه عليك أمران فلم تدري في أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هوائك فاجتنبه » .

كان عمرو بن العاص صاحب عمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو امرأته ف وقعت في نفس عمارة فدفع عمرا في البحر فتعلق بالسفينة ونرج ، فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بعمارة إلى النجاشي وأخبره أنه يتخالف إلى بعض نساءه فدعا النجاشي بالسواحر فنفضن في إحليله فهام مع الوحش ، وقال عمرو في ذلك
تعلم عمارة أن من شر شمية * لثلك أن يدعى ابن عم له أبنا
وإن كنت ذا بردين أحوى مرَجَلا * فليست براء لابن عمك محرما
إذا المرء لم يترك طعاما يحببه * ولم يعص قلبا غاويا حيث يمتما
قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت * إذا ذكرت أمثاله تملأ الفما
وقال حاتم طي في مثله

وإنك إن أعطيت بطنك سُؤله * وفرجك نالا مُنتهى الذم أجمعا

وقال آخر

جار الجنيـد على مُحْتِكَا * جهلا ولست بموضع الظلم
أكل الهوى حُجْجِي ورُبَّ هوى * مما سيأكل حجة الخضم

قال اعمر ابى : « الهوى هوان ، ولكن غُلِط باسمه » .

وقال الزبير بن عبد المطلب

وأجتنب المقاذع حيث كانت * وأترك ما هويت لما خشيت

وقال البريق الهذلي

أين لي ما ترى والمرء تأبى * عزيزته ويغلبه هواه

فيتمى ما يرى فيه عليه * ويحسب ما يراه لا يراه

وكان يقال : « أخوك من صدقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك » .

السّر وكتمانه وإعلانه

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الحُصيب قال حدثني أوس ابن

عبد الله بن بريدة عن أخيه سهل عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« استعينوا على الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود » . وكانت الحكماء تقول :

« سرك من دمك » . والعرب تقول : « من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب عن عمه الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا

قال : دخل ابن أبي محجن الثقفي على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذي يقول

إذا مت فادفني إلى أصل كُرمة * تُروى عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفني في القلاة فاني * أخاف وراء الموت أن لا أذوقها

فقال ابن أبي محجن : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره ، فقال معاوية :

وما ذاك ؟ قال قوله

لا تسأل القوم ما مالى وما حسبي * وسألى القوم ما حزمى وما خلقت

القوم أعلم أنى من سراتهم * إذا تطيش يد الرعية الفرق

أعطى السنان غداة الرّوع حصته * وعامل الرّيح أرويه من العساق

قد أركب الهول مسدولاً عساكره * وأكتم السرفيه ضربة العنق

وأنشدني للصِّلَتَانِ العَبْدِي

وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الحفي

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يمثّل بهذين البيتين

ولا تُفِشْ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ * فان لكل نصيح نصيحا

فاني رأيت غُوَاةَ الرجا * لِي لا يتركون أديما صحيفا

وقال الشاعر

ومراقبين تكأتما بهواهما * جعلوا القلوب لما تُجَنُّ قُبورا

يتلاحظان تلاحظا فكأتما * يتناسخان من الجفون سطورا

وقال مسكين الدارمي

أواني رجالا لست أطلع بعضهم * على سرّ بعض غير أني جماعها

يظّلون شتي في البلاد وسرهم * الى صخرة أعياء الرجال انصداعها

وقال (*)

ولو قدرت على نسيان ما آشمت * مني الضلوع من الأسرار والخبر

لكنت أول من ينسى سرائره * إذ كنت من نشرها يوما على خطر

أسر رجل الى صديق له حديثا فلما استقصاه قال له : أفهمت ؟ قال : لا ، بل نسيته .

قيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : « ما قلبي له إلا قبر » . وقيل لمزبد :

أى شيء تحت حضنك ؟ فقال : يا أحمق لم خبأتُه . وقال الشاعر

إذا ما ضاق صدرك عن حديث * فأفشته الرجال فمن تلوم

إذا عاتبْتُ من أفشى حديثي * وسرى عنده فأنا الظلوم

وإني حين أسأم حمل سري * وقد ضمتّه صدرى سؤوم

(*) في النسخة الألمانية : وقال آخر . على أنا لم نعر على هذا الشعر لمسكين الدارمي .

قيل لرجل : كيف كتمانك للسِر؟ قال : «أبجّد المخبر وأحلف للمستخبر» . وكان يقال : «مِن وَهَى الأمرُ إعلانه قبل إحكامه» . وقال الشاعر

إذا أنت حملت الخؤونَ أمانة * فانك قد أسندتها سرُّ مُسند

وقال عمرو بن العاص : «ما استودعتُ رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته ، لأنى كنت أضيق

صدرا حين استودعته» . وقال

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرّها * فسرك عند الناس أفشى وأضيعُ

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه» .

وقال الوليد بن عُتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسرّ الى حديثا ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك ، أفلا أحدثك به؟ قال : لا يا بني «لأنه من كتم سره كان الخيار له ، ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكونن مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت : وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال : لا ، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بأحاديث السر . فحدثت به معاوية فقال : يا وليد ؟ أعتقك أنى من رِق الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فإنه لا سر لكم إلا فى ثلاثة مواضع : مكيدة تُحاول أو منزلة تُراول أو سريرة مدخولة تُكتم ، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شيء منها عنه» . وكان يقال : «ما كنت كاتم من عدوك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جميل بن معمر

أموت وألقى الله يابثن لم أيج * بسرِّك والمستخبرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى

ولما تلاقينا عرفنا الذى بها * كمثل الذى بي حذوك النعل بالنعل

فَقَالَتْ وَأَرِخْتَ جَانِبَ السَّتْرِ إِنَّمَا * مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِيَ لَهُمْ مِنْ تَرْقُبٍ * وَلَكِنْ سَرَى لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
يُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ يَحْمِلُهُ أَحَدٌ مِثْلِي فِي صِيَانَتِهِ وَسَتْرِهِ، أَيْ فَلَا أَبْدِيَهُ لِأَحَدٍ . وَقَالَ زَهِيرُ
السَّتْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

وقال آخر

فَسِرِّي كَمَا عَلَانِي وَتِلْكَ خُلَيْقَتِي * وَظُلْمَةُ لَيْلٍ مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا
وقال آخر لَأَخْ لَهُ وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ : اجْعَلْ هَذَا فِي وَعَاءٍ غَيْرِ سِرِّبٍ . وَالسِّرِّبُ السَّائِلُ .
وَكَانَ يَقَالُ : «لِلْقَائِلِ عَلَى السَّامِعِ جَمْعُ الْبَالِ وَالْكُتْمَانِ وَبَسْطُ الْعَذْرِ» . وَكَانَ يَقَالُ :
«الرَّعَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْاسْتِرْعَاءِ» .

١٠ أَتَى رَجُلٌ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامٍ السُّلُولِيَّ سَبَّهُ . فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا بَنَ هَمَّامٍ إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ ابْنُ هَمَّامٍ
فَأَنْتَ أَمْرٌ وَإِنَّمَا أَتَمَّتْكَ خَالِيَا * نَحْنُتَ ، وَإِنَّمَا قُلْتَ قَوْلًا بَلَا عِلْمَ
وَإِنَّكَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ * لَفِي مَنَزَلٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

وقال آخر

١٥ اخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلٍ * وَالتَّفِثْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
وقال بعض الأعراب

وَلَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُنْمِئْهَا * وَلَا أَدْعِ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي
وَإِنَّ قَلِيلَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ * تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جُنْبًا إِلَى جَنْبِ

وقال أبو الشَّيْصِ

٢٠ لَا تَأْمَنْتَ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ * غَيْرِي وَغَيْرَكَ أَوْطَى الْقَرَاطِيسِ
أَوْ طَائِرٍ سَاحِلِيهِ وَأَنْعَتِهِ * مَا زَالَ صَاحِبُ تَنْقِيرٍ وَتَأْسِيسِ

سُودِ بَرَأْتُهُ مِيلَ ذَوَائِبُهُ * صُفْرِ حَمَالِقُهُ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسُ
قَدْ كَانَ هَمَّ سُلَيْمَانَ لِيَذْبَحَهُ * لَوْلَا سَعَايَتُهُ يَوْمًا يَلْقَيْسُ

وقال أيضا

أَفْضَى إِلَيْكَ بِسْرُهُ قَلَمٌ * لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بِكِي قَلَمُهُ

وقال مسلم بن الوليد في الكتاب يأتيك فيه السر

الْحَزْمُ تُخْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ * وَإِنَّمَا الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
إِذَا أَتَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ * فَاجْعَلْ صِيَانَتَهُ فِي بَطْنِ أُرْمَاسِ

وقال آخر

سَاكُتُهُ سَرَى وَأَحْفَظُ سِرِّهِ * وَلَا غَرُّنِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُسَيِّعُهُ * وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

الكتاب والكتابة

(١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَّةَ عَنْ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ
عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ تَعْلَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ أَشْرَاطُ
السَّاعَةِ أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ وَتَفْشُو التِّجَارُ" قَالَ عَمْرُو : إِنْ كُنَّا لَنَلْتَمِسُ
فِي الْحَوَاءِ الْعَظِيمِ الْكَاتِبَ ، وَيَبِيعُ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولُ : حَتَّى أَسْتَأْمِنَ تاجرَ بَنِي فَلَانٍ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ عَنْ عَنَبَسَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَادَانَ عَنْ أُمِّ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُمْلِي فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ فَقَالَ "ضَعْ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لِلْعَمَلِ بِهِ" .

(١) كَذَا بِالْفَتْوَاغِرَافَةِ . وَفِي الْأَلْمَانِيَةِ «عَبِيدُ اللَّهِ» وَلَعَلَّهُ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ بْنِ دِينَارٍ الْعَبْدِيُّ رَأَى الْحَدِيثَ

كثيراً عن الحسن البصري وغيره . (٢) الحوَاءُ مجتمِعُ بِيُوتِ الْحَيِّ إِذَا تَدَانَتْ .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «كان إدريس النجفي عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وليسها وكان من قبله يلبسون الجلود» .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض ابن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى: أدع لي كتابك ليقرأ لنا صحتنا جاءت من الشام . فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد . قال عمر: أله جنابة؟ قال: لا، ولكنه نصراني . قال: فرقع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالك! قاتلك الله! أما سمعت قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا اتخذت رجلاً حنيفياً! فقال أبو موسى: له دينه ولي كتابته . فقال عمر: «لا أكرهمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهمهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهمهم إذ أقصاهم الله» .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا عيسى بن يونس قال حدثنا أبو حيان التميمي عن أبي زنباع عن أبي الدهقان قال: ذكر لعمر بن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة وكان نصرانياً، فقيل له: لو اتخذته كاتباً . فقال «لقد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين» .

حدثني أبو حاتم قال: مرَّ امرئٌ مَرَّةً من أهل الأنبار وهو الذي وضع كتابه العربية، ومن الأنبار انتشرت في الناس .

(*) هكذا في النسخة الفتوغرافية والألمانية . والذي في القاموس: ومرامر بن مرة بضمها أول من وضع الخط العربي . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامي ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال: قال ابن بري: الذي ذكره ابن النحاس وعيره عن المدائني أنه مرامر بن مرة .

حدّثني أبو سهل عن الطَّنَافِسي عن المُنْكَدِر بن محمد عن أبيه محمد بن المُنْكَدِر قال جاء الزُّبَيْر بن العَوَّام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت ؟ جعلني الله فداك ! قال " ما تركت أعرايتك بعد " .

قال عبد الملك ابن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر : « تفقد كاتبك وحاجبك وجليستك ، فإن الغائب يخبره عنك كاتبك ، والمتوسّم يعرفك بحاجبك ، والداخلُ عليك يعرفك بجليستك » .

ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعهم ، فكتب إليه : « إنه ليخيل إلى أني لو كتبتُ إليك أن تُعطي رجلاً شاة لكتبتَ إلى : أضأن أم ماعز ، ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ : أذكر أم أنثى ، ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ : أصغير أم كبير . فإذا أتاك كتابي هذا فلا تُراجعني في مظلمة » .

وكتب أبو جعفر إلى سَلَم بن قُتَيْبَة يأمره بهدم دُورٍ من خرج مع إبراهيم وعقرب نخلهم . فكتب إليه : بأي ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدور ؟ فكتب إليه أبو جعفر . « أما بعد ، فإني لو أمرتُك بإفساد ثمرهم لكتبتَ إلى تستأذن في أية تبدأ أبالبرني أم بالشَّهْرِيز ؟ » وعزله ، وولى محمد بن سليمان ، وكان يقول : « للكاتب على الملك ثلاثة ، رفع الجباب عنه ، وإتّهام الوشاة عليه ، وإفشاء السرّ إليه » .

كانت العَجَم تقول : « من لم يكن عالماً بأجراء المياه وبحفَرُ قُوضِ الماء والمسارب ^(٢) ورَدَم المَهاوى وتجاري الأيام في الزيادة والنقصان واستهلال القمر وأفعاله ووَزَن الموازين

(١) في الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) في الفتوغرافية فرض المشارب .

وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواير
على المياه وحال أدوات الصنائع ودقائق الحساب كان ناقصا في حال كتابته .

قال ميمون بن ميمون «إذا كانت لك الى كاتب حاجة فليكن رسولك اليه الطمع» .

وقال : «إذا آخيت الوزير فلا تخش الأمير» .

وفي كتاب للهند : «إذا كان الوزير يساوى الملك في المال والهبة والطاعة من
الناس فليصرعه الملك، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المدايني قال : خلا زياد يوما في أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وابنه
عبيد الله، فنعس زياد فقال لعبيد الله : تعهد هذا لا يكتب شيئا . ونام، فوجد عبيد الله
مسا من البول فكره أن يوقف أباه وكره أن يخجل الكاتب فشده إبهاميه بخيط وختمه
وقام لحاجته .

قال أبو عباد الكاتب : ما جلس أحد قط بين يدي إلا تخيل إلى أنى جالس بين يديه .
وقرأت في التاج أن أبرويز قال لكاتبه : «أكرم السر واصدق الحديث واجتهد
في النصيحة واحترس بالحذر، فإن لك على أن لا أعجل بك حتى أستاذني لك ولا أقبل
عليك قولا حتى أستيقن ولا أطمع فيك أحدا فيغتا لك . واعلم أنك بمنجاة رفعة
فلا تحطنها وفي ظل مملكة فلا تستريلنه، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد
الناس مشايحة من عدوك واقصد إلى الجميل أدراعا لعدك وتحصن بالعفاف صونا
لمروءتك وتحسن عندى بما قدرت عليه من حسن ولا تشرعن الألسنة فيك
ولا تقبحن الأحداث عنك وصن نفسك صون الدرّة الصافية وأخلصها إخلاص
الفضة البيضاء وعاتها معاتبة الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيع . لا تدعن
أن ترفع إلى الصغير، فانه يدل على الكبير ولا تكتمن الكبير فانه ليس شاغلي عن

الصغير . هذب أمورك ثم ألقني بها وأحكم لسانك ثم راجعني به ولا تجترئن على
 فامتعض ولا تنقبض مني فأنهم ولا تُمرضن ما تلقاني به ولا تُحدجنه . وإذا فكرت
 فلا تعجل وإذا كتبت فلا تُعذر، ولا تستعين بالفضول فإنها علاوة على الكفاية
 ولا تُقصرن عن التحقيق فإنها هجنة بالمقالة ولا تليسن كلاما بكلام ولا تباعدن معنى
 عن معنى . أكرم كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفه ، وانتشار يُبجبه ، ومعانٍ تقعد
 به . وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول ، ولكن بسطة كتابك على السوقة كبسطة
 ملك الملوك على الملوك ، ولا يكن ماتمك عظيما وما تقول صغيرا فأنما كلام الكاتب
 على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كفوّه . واعلم أن جماع الكلام كله
 خصال أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن
 الشيء فهذه الخلال دعائم المقالات إن ألتبس لها خامس لم يوجد وإن نُقص منها رابع
 لم تتم ، فإذا أمرت فأحكم وإذا سألت فأوضح وإذا طلبت فأستجج وإذا أخبرت فحقق
 فإنك إذا فعلت ذلك أخذت بحزامير القول كله فلم يشتبه عليك وارده ولم يُعجزك
 منه صادره . أثبت في دواوينك ما أدخلت وأحص فيها ما أخرجت وتيقظ
 لما تأخذ وتجرد لما تعطى ولا يغلبك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدم
 ولا تُخرجن وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن إخراج الكثير في الحق ، ولكن ذلك
 كله عن مؤامرتي .

قال رجل لبيه : « يا بني تزيوا بزى الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع
 السوقة » .

قال الكسائي : « لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن
 الشيء بعد الشيء أقرينه بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر ، على كلمة الى جنب
 كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها ، منك ! » .

وقال ابن الأعرابي: «رأى أعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال إنك لحنف الكلمة الشroud» .

وقال رجل من أهل المدينة: «جلست الى قوم ببغداد فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أقلامهم» .

وكتب بعض الكتاب الى صديق له: «وصل الى كتابك فما رأيت كتابا أسهل فنونا ولا أملس متونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشد على كل مفصل حرا منه، أنجزت فيه عدة الرأي وبشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا» .

ويقال: «عقول الرجال في أطراف أقلامها» .

ويقال: «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظفرين وإملاك العجين أحد الرعيين وحسن التقدير أحد الكاسبين واللبن أحد اللحين» . وقد يقال: المرق أحد اللحين .

قيل لبعضهم: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانة الخفية . وقرأت في بعض كتب العجم أن موبذات موبذ وصف الكتاب فقال: «كتاب الملوك عيبهم المصونة عندهم وآذانهم الواعية وألستهم الشاهدة، لأنه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك، ولا أقرب هلكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك، فترفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادهم لأنفسهم فلا يثتم روح على جسده ولا يثتم جسده على روحه لأن زوال ألفتها زوال نعمتها، وأن التثام ألفتها صلاح خاصتهما» .

وقال

لئن ذهبتُ الى المجَّاجِ يقتلني * إني لأحقُّ من تتخدى به العيرُ
مستحقِّها مُخفِّفا تُدْمى طوابعُها * وفي الصعائفِ حياتٌ مَنَّا كيرُ

وقال بعض الشعراء في القلم

عجبت لذي سِنَّين في الماء نبته * له أثر في كلِّ مصرٍ ومَعمرٍ

وقال بعض المحدثين في القلم

ضئيلُ الرِّواءِ صَـكـيرُ الغَـناءِ * من البحرِ في المنصبِ الأخضرِ
كثُلُ أنحى العشقِ في شخصه * وفي لونه من بنى الأصفرِ
يمرُّ كهَيْئَةٍ مرَّ الشَّجَا * ع في دِعْصٍ مَحْنِيَةٍ أَغْصِرِ
إذا رأسُه صَحَّ لم ينبعث * وجاز السَّيْلَ ولم يبصرِ
وإن مُدِيَّةً صَدَعَتْ رأسه * جرى جرى لا هائبٌ مُقْصِرِ
يقضى ما رَبَّه مَقْبَلًا * وَيَحْسِمُها هَيْئَةُ المَدِيرِ
تجودُ بِكُفِّ قَتَى كُفَّهُ * تسوقُ الثَّراءَ إلى المعسرِ

وقال حبيب الطائي يصف القلم

لك القلمُ الأعلى الذي بَشَّـبَـتِه * يصابُ من الأمرِ الكُلَّى والمفاصلُ
لعابُ الأَفْـعَى القاتلاتِ لعابُه * وأرى الجَنَى آسْتارَته أيدٍ عواسِلُ
له ريقَةٌ طُلٌّ وَلَكِنَّ وَقْعَها * بآثاره في الشرق والغربِ وإبِلُ
فصيح إذا استنطقته وهو راكِبٌ * وأعجمُ إنَّ خاطبته وهو راجِلُ
إذا ما أمتطى الخمسَ اللطافَ وأُفْرِغَتْ * عليه شِـعَابُ الفِكرِ وهى حوافِلُ
أطاعته أطرافُ القنا وثقوْضَتْ * لنجواه تقويضُ الخيامِ الجحافلُ
تراه جليلاً شأنه وهو مرهَفٌ * ضَنَى وسمينا خطبُه وهو ناحِلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم
وأسم طاولي الكشيح أنرس ناطقي * له ذمالات في بطون المهارقي
إذا استعجلته الكف أمطر خاله * بلاصوت إرعاد ولا ضوء بارق
كأن الآلى والزبرجد نطقه * ونور الخزامى في بطون الحدائق

وقال بعض المحذنين يمدح كاتباً
وإذا تألق في الندى كلامه * المنظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم أنتجت * برقت مصابيح الدجى في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده * منا ويعد نيله في قربه
حكم فسائحها خلال بنائه * متدفق وقليبها في قلبه
كالروض مؤلف بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشبه

وقال سعيد بن حميد يصف العود
وناطق بلسان لا ضميره * كأنه نخذ نيطت الى قدم
يبدى ضمير سواه في الكلام كما * يبدى ضمير سواه منطق القلم

بعث الطائي الى الحسن بن وهب بدواة ابنوس وكتب اليه
قد بعثنا اليك أم المنايا * والعطايا زنجية الأحساب
في حشاها من غير حرب حراب * هي أمضى من مرهقات الحراب

وقال ابن أبي كريمة يصف الدواة والقلم
ومسوذة الأرجاء قد خضت ماءها * ورويت من قعر لها غير منببط
نحيص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الأمير المسلط

وقال بعض أهل الأدب : إنما قيل "ديوان" لموضع الكتبة والحساب لأنه يقال : للكتاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين ، لحذقهم بالأمور ولطفهم فسمي موضعهم باسمهم .

وقال آخر : إنما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوزر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمال ، قال الله عز وجل (وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالا من حلهم ، ولهذا قيل للإثم : وزر ، شبهً بالحمل على الظهر ، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله

يا كاتباً كتب الغداة يسبئنى * من ذا يطيق براعة الكتاب
لم ترض بالإعجام حين سببتنى * حتى شككت عليه بالإعراب
وأردت إفهامى فقد أفهمتني * وصدقت فيما قلت غير مجابى

وقال آخر

يا كاتباً تشتر أقلامه * من كفه دُرّاً على الأسطر

وقال عديّ بن الرقاع

صلى الاله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها

ومنه أخذ الكتاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طي في معنى قولهم مت قبلك

إذا ما أتى يوم يفسر بيننا * بموت فكن أنت الذى نتأخر

وقال جرير فى معناه

رُدَى فؤادى وكونى لى بمنزلى * يا قبل نفسك لاقى نفسى التلّف

كتب بعض الملوك الى بعض الكُتّاب كتاباً ذعاً له فيه بأمتع الله بك ، فكتب
اليه ذلك الكاتب

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهِدْتُ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ نَلَتْ مُلْكاً قَهْتِ فِي كِتَابِكَ
أَمْ هَلْ تَرَى أَنْفَ فِي التَّوَاضُعِ لِلْإِخْوَانِ تَقْصَا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ
أَمْ كَانَ مَا كَانَ مِنْكَ عَنْ غَضَبٍ * فَأَيُّ شَيْءٍ أَدْنَاكَ مِنْ غَضَبِكَ
إِنِّي جَفَاءُ كِتَابٍ ذِي مِقَّةٍ * يُكْتَبُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعُ بِكَ

وقال الأصمعي في البرامكة

إِذَا ذُكِرَ الشُّرْكُ فِي مَجْلِسٍ * أُنَارَتْ وَجْوهُ بَنِي بَرْمَكٍ
وَإِنِّي تُلَيْتُ عَنْدهُمْ آيَةً * أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْوَكٍ^(٢)

وقال آخر

إِنِ الْفَرَاغُ دَعَانِي * إِلَى آبَتِ الْمَسَاجِدِ
وَإِنِّي رَأَيْتُ فِيهَا * كَرَأَى يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ

مرّة عبد الله بن المقفع بهيت النار، فقال

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أُنْعَزَلُ * حَدَّرَ الْعَمَاءُ وَبِهِ الْفُؤَادُ مَوْكَلُ

وقال دَعِيلٌ فِي أَبِي عَبَّادٍ

أَوَّلَى الْأُمُورِ بَضِيعَةٌ وَفَسَادُ * أَمْرٍ يَدْبُرُهُ أَبُو عَبَّادٍ
حَنِيقٌ عَلَى جَلْسَانِهِ بِدَوَاتِهِ * فَمُرْمَلٌ وَمُضْمَخٌ بِمَدَادٍ
وَكَانَهُ مِنْ دَيْرِهِ قَلٌّ مُفْلَتٌ * حَرْدٌ يَحْزَنُ سِلَاسِلَ الْأَقْيَادِ

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتمد . انظر هذا الشعر ورد

ابن الزيات عليه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني وهو محرف عن " مرند " راليه ينسب المزدكية ، وقد خرج
في أيام قباد بن فيروز قبل شريعة زرادشت واستعمل المحارم وسوى بين الناس في الأموال والنساء والعيد
فكثر أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباد نفسه ولم يزل كذلك حتى رلى كبرى أنوشروان فقتله وأباد أتباعه اه
باختصار عن ابن الأثير . وقد ورد البيتان في البيان والتبيين للجاحظ .

نحيانات العمال

حدثنا إسحاق بن راهويه قال: ذكر لنا أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر نخد جزور ثم خاصمته إليه فوجه القضاء عليها، فقالت: يا أمير المؤمنين، أفصل القضاء بيننا كما يفصل نخد الجزور، ف قضى عليها عمر وقال: إياكم والهدايا، وذكر القصة.

قال إسحاق: كان الحجاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضى بين الناس، فأهدى إليه رجل سراجا من شبيه^(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة. فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول: إن أمرى أضوأ من السراج، فلما أكثر عليه قال: ويحك إن البغلة رحمت السراج فكسرتة.

حدثنا إسحاق قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا حماد بن سامة عن الحريري عن أبي بصرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطىء لأنك، ف ضرب رأسه بجريدة وقال: والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرا. ألا أخبرك بمثل هؤلاء، إنما مثلنا كمثلكم قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا. فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟ قال الربيع: لا.

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: لما أتى عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول: والله إن الذى أدى

(١) النحاس الأصفر. (٢) كذا بالأصل غير مضبوط، ولعله الحريري بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إياس الحريري، فقد جاء في تهذيب التهذيب وفي الأنساب للسمعاني أن من جملة من روى عنه الحمادان: حماد بن سلمة وحماد بن زيد.

الينا هذا لأمين . فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون اليك ما أدت الى الله فاذا رتعت رتعا . قال : صدقت .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : لما أتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزان والنقاد فكثوم كومة من ذهب وكومة من فضة وقال : يا حمراء ويا بيضاء احمرى وابيضى وغرى غرى . وأنشد

هذا جنائى وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملا يشترط عليه أربعا : ألا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقي ، ولا يتخذ بوابا . ومصر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان الماء والطين» .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه : أن دَعَ لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالة ويركبون البراذين وخذ الفضل .

حدثنا محمد بن عبيد عن هُوذة عن عوف عن ابن سيرين [وإسحاق عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدو الله وعدوك كُتِبَ ، أسرقت مال الله ؟ قال أبو هريرة لست بعدو الله

(١) في النسخة الفوتوغرافية : "حميد" والامتحان واردة معا في تهذيب الكمال في أسماء الرجال . وليس

في ترجمة أحدهما من يروى عن هُوذة هذا ، ولعل رواية الألمانية هي الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاذاهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي نتابعت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمر المؤمنين ثم قال لي عمر بعد ذلك : ألا تعمل ؟ قلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . قلت يوسف نبي ابن نبي وأنا ابن أمة^(١) أخشى ثلاثا واثنين . قال فهلا قلت نحسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يضرب ظهري ، ويشتم عرضي ، ويتزع مالي .

حدثنا محمد بن داود عن نصر بن قديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بردة وهو أمير البصرة فقال : أيها الأمير ، إني قرأت في بعض الكتب : « من أحق من السلطان ومن أجهل من عصاني ومن أعز^(٢) ممن أعزني . أيا راعي السوء دفعت إليك غنا سمانا سباحا فاكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركها عظاما تتقعقع » .

حدثني محمد بن شبابة عن القاسم بن الحكم العرنى القاضي قال حدثني اسماعيل ابن عياش عن أبي محمد القرشي عن رجاء بن حيوة عن ابن مخمرة^(٣) قال : إني لتحت منبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية حين قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، اقرءوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله . ألا إنه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حقا وأن يذكر بعظيم . ألا وإني ما وجدت صلاحا ولا نبي الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا وإني ما وجدت

(١) اسم أم أبي هريرة . (٢) في النسخة الألمانية : ومن أغتر من أغترني .

(٣) في الألمانية : « مخمرة » ولعل الصواب ما في الفتوغرافية حيث ذكر في ترجمة رجاء بن حيوة أن من شيوخه المسور بن مخمرة .

صلاح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنما أنا في مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغنيت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تقرم البهمة .

بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد اذا ولى رجلا قل له : خذ عهدك وسر الى عملك واعلم أنك مصروف رأس سنك وأنت تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمت من معرفتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائنا قويا استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أمينا قويا زدناك في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

قال العتبي : بعث الى عمر بن الخطاب فقسماها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سليمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : ليك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى أتت به هو ثوبك ؟ قال : اللهم نعم . فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

بلغنى عن حفص بن عمران الرازى عن الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذا كر عليا فتتقصه فقام شداد فقال : « الحمد لله

(*) كذا بالأصل ، وفي القاموس : واتزر به وتأزر به ولا تمل اتزر وقد جاء في بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة اه . وفي النهاية لابن الأثير انه خطأ لان الهزة لا تدغم فى التاء . وفي التاج : وقال المطرزي انه لغة عامية ثم نقل عن الصاغاني انه يجوز أن تقول اتزر بالمترأ أيضا فيمن يدغم الهزة فى التاء كما يقال أتمنه والأصل أتمته .

الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عَرْض حاضراً كل منها البر والفاجر، وإن السامع المطيع لاجبة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالناس صلاحاً عمل عليهم صلحاءهم وقضى بينهم فقهاءهم وجعل المال في شُمعائهم ، وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهلاءهم وجعل المال عند بخلائهم . وإن من صلاح الولاية أن يصلح قرناؤها . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بمال ، وقال : ألسنتُ من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسلمين تعمدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالاً وأنفقته إفضالاً ، فنعم . وإن كان مما شارك فيه المسلمون فاحتجته دونهم ، أصبته اقترافاً وأنفقته إسرافاً ، فإن الله عز وجل يقول (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

مرّ عمرو بن عُبيد بجماعة عُكوف ، فقال ما هذا ؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله ، سارق السري يقطعه سارق العلانية ! .

١٥ ومر طارق صاحب شرطة خالد القسري بابن شبرمة ، وطارق في موكبهِ فقال ابن شبرمة أراها وإن كانت تُحِبُّ كأنها * صحابةٌ صيف عن قريب تَقْشَعُ

اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبهِ وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُنَيَّ ، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك . إن أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم .

٢٠ ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة سنتين فأحسن السيرة وعف عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا إليه فأنشد لدرّاج الضبّاني .

فلا السجن أبكاني ولا القيد شقني * ولا أني من خشية الموت أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إذ امت أن يعطوا الذي كنت أمتنع
ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكني أخشى أن يلى هذه الوجوه
من لا يرمى لها حقها .

- ووجدت في كتاب لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ
من مال البصرة ما أخذ : « إني أشركك في أمانتي ولم يكن رجل من أهلي أو ثقي
منك في نفسي ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والعدو قد حرب قلبت
لابن عمك ظهر الحين بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفت ما قدرت
عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى » وفي الكتاب : « ضح^(*)
رويدا فكان قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي به ينادي المغتر
بالحسرة ويتمنى المضيق التوبة والظالم الرحمة » .

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدي بن أرطاة : « غرتني منك مجالستك القراء
وعمامتك السوداء فلما بلوناك وجدناك على خلاف ما أتملناك ، قاتلكم الله ! أما تمشون
بين القبور ! » .

- قال ابن أحمريذ كرمال الصدقة
إن العياب التي يُخفون مُشربة * فيها البيان ويكوى عندك الخبر
فابعث اليهم فحاسبهم محاسبة * لا تخف عين على عين ولا أثر
هل في الثمان من السبعين مظلمة * وربها بكتاب الله مصطبر
وقال عبد الله بن همام السلولى

- أقل على اللوم يا أم مالك * وذئبي زمانا ساد فيه الفلّاقس^(*)

(*) ضح من ضحيت النعم اذا رعبتها في الضحى ، أى اربع نفسك على مهل فإما أنت على شرف الموت .

وسايع مع السلطان ليس بناصح * و"مختار من مثله وهو حارس" (*)

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوما فاطعمهم وجعل يحثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِّلْسُخْتِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنكم بأناس خير كسبهم * مصرح السحت سموه الإصابات
وقال أبو نواس في إسماعيل بن صبيح

بنيت بما خنت الامام سقاية * فلا شربوا إلا أمر من الصبر
فما كنت إلا مثل بائعة آستها * تعود على المرضي به طلب الأجر
يريد معنى الحديث أن امرأة كانت في بني إسرائيل تربي بحب الرمان وتصدق به على المرضي .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين

ألست أمين الله سيفك نعمة * اذا ماق يوما في خلافتك مائق
فكيف بإسماعيل يسلم مثله * عليك ولم يسلم عليك منافق
أعيدك بالرحمن من شركاتب * له قلم زان وآخر سارق

وقال فيه أيضا

ألا قل لإسماعيل إنك شارب * بكأس بني ما هان ضربة لازم
أئسمن أولاد الطريد ورهطه * بإهزال آل الله من نسل هاشم
وتخبر من لا قيت أنك صائم * وتغسّدو بفرج مفطر غير صائم
فإن يسر إسماعيل في فجراته * فليس أمير المؤمنين بنائم

ولي حارثة بن بدر "سرق" فكتب اليه أنس الدؤلي

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جردا فيها تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يؤتمن على حفظ شيء لا يؤمن أن يخون فيه ، كما في لسان العرب .

وبارتما بالغنى ابن الغنى * لسانا به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فان جميع الناس إما مكذَّب * يقول بما يهوى وإما مصدِّق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يحَقَّقُوا
ولا تَحْقِرَنَّ يا حارِ شيئا أصبته * فحُظُّكَ من مُلكِ العِراقين سُرُقُ

فَلَمَّا بَلَغَتْ حَارِثَةُ قَالَتْ : لَا يَعْنَى عَلَيْكَ الرِّشْدُ .

حدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ جَوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ قَالَ ، قَالَ فُلَانٌ : « إِنْ الرَّجُلُ
لِيَكُونَ أَمِينًا فَإِذَا رَأَى الضَّيَاعَ خَانَ » .

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِرْوَيْزَ إِلَى ابْنِهِ شَيْرَوِيهِ : « اجْعَلْ عَقُوبَتَكَ عَلَى الْيَسِيرِ مِنْ
الْخِيَانَةِ كَعَقُوبَتِكَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا ، فَإِذَا لَمْ يُطْمَعْ مِنْكَ فِي الصَّغِيرِ لَمْ يُجْتَرَأْ عَلَيْكَ
فِي الْكَبِيرِ . وَأَبْرِدِ الْبَرِيدَ فِي الدَّرْهِمِ يَنْقُصُ مِنَ الْخِرَاجِ ، وَلَا تَعَاقِبْ عَلَى شَيْءٍ كَعَقُوبَتِكَ
عَلَى كَسْرِهِ وَلَا تَرْزُقَنَّ عَلَى شَيْءٍ كَرْزُقَكَ عَلَى إِزْجَائِهِ ، وَاجْعَلْ أَعْظَمَ رِزْقِكَ فِيهِ وَأَحْسَنَ
نَوَابِكَ عَلَيْهِ حَقْنَ دَمِ الْمَرْجِي وَتَوْفِيرَ مَالِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّكَ أَحْمَدْتَ أَمْرَهُ حِينَ
عَفَّ وَاعْتَصَمَ مِنْ أَنْ يَهْلِكَ » .

وَقَرَأْتُ فِي التَّاجِ أَنَّ أَبِرْوَيْزَ قَالَ لِصَاحِبِ بَيْتِ الْمَالِ : « إِنِّي لَا أَحْتَمِلُكَ عَلَى
خِيَانَةِ دَرْهِمٍ وَلَا أَحْمَدُكَ عَلَى حِفْظِ أَلْفِ أَلْفِ دَرْهِمٍ ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا تَحْقِنُ بِذَلِكَ دَمَكَ
وَتَعْمُرُ بِهِ أَمَانَتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ خَنْتَ قَلِيلًا خَنْتَ كَثِيرًا . وَاحْتَرَسْ مِنْ خَصْمَتَيْنِ :
النَّقْصَانِ فِيمَا تَأْخُذُ ، وَالزِّيَادَةِ فِيمَا تَعْطَى . وَاعْلَمْ أَنِّي لَمْ أَجْعَلْ أَحَدًا عَلَى ذَخَائِرِ الْمُلْكِ وَعِمَارَةِ
الْمَمْلُوكَةِ وَالْعُدَّةِ عَلَى الْعُدُوِّ إِلَّا وَأَنْتَ آمِنٌ عِنْدِي مِنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَخَوَاتِيمِهِ
الَّتِي هِيَ عَلَيْهِ ، فَحَقِّقْ ظَنِّي فِي اخْتِيَارِي إِيَّاكَ أَحَقِّقْ ظَنِّكَ فِي رَجَائِكَ لِي ، وَلَا تَتَعَوَّضْ
بِخَيْرٍ شَرًّا وَلَا بِرَفْعَةٍ ضَعْفًا وَلَا بِسَلَامَةٍ نَدَامَةً وَلَا بِأَمَانَةٍ خِيَانَةً » . وَكَانَ يَقَالُ : « كَفَى بِالْمَرْءِ
خِيَانَةً أَنْ يَكُونَ أَمِينًا لِلْخُونَةِ » .

قدم معاذ من ائمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان ، حساب من الله وحساب منكم ؟ لا والله لا ألي لكم عملا أبدا .

ذكر أعرابي رجلا خائفا فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لئلا وإن فلانا يحسوها حسوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلا تعمل طويلا وألزم العفاف يلزمك العمل ، وإياك والرشا يشتد ظهورك عند الخصام » .

القضاء

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا بشر بن المفضل بن لاحق قال حدثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالما قبل أن يستعمل ، مستشيرا لأهل العلم ، ملقيا للرتع^(١) ، منصفيا للخصم ، محتملا للأئمة^(٢) » .

حدثني علي بن محمد قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق الأنصاري عن عبد الله بن هبة عن عبد الله بن هبيرة عن علي عليه السلام أنه قال : « ذمتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العبر^(٣) ألا يهلك على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على التقوى سبخ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله الى الله رجل قمش جهلا غارأ بأغباش الفتنة عيما بما في عقد الهدنة سماه أشباهه من الناس عالما ولم يغني في العلم يوما سالما . بكر^(٤) »

(١) الحرص والطمع . (٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وصوابه « مقتديا بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر في العقد الفريد وفي البيان والتبيين بما نصه : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأي . (٣) في النسختين الألمانية والفتوغرافية « يبيع » والتصويب عن نهج البلاغة . (٤) في الاصلين « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فاستكثر، ما قل منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكثر من غير طائل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره، إن نزلت به إحدى المبهمات هيا حشوا رثا من رأيه، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت . لا يعلم اذا أخطأ، لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب . خباط عشوات ركاب جهالات . لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعص في العلم بضرس قاطع . يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم، تبكي منه الدماء وتصرخ منه المواريث ويستحل بقضائه الفرج الحرام . لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرظ به

قال ابن شبرمة

- ما في القضاء شفاعة لخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون على اذا قضيت بسنة * أو بالكاتب برغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظار معروفة ومعالم
- ١٠ الهيثم عن ابن عيَّاش عن الشَّعْبِيِّ قال : كان أول قاضٍ قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها، ثم قضى بالمدائن، ثم عزله عمر واستقضى شرحبيل بن المدائن، ثم عزله واستقضى أبا قرَّة الكندي وهو اسمه فاختلف الناس الكوفة وقاضيه أبو قرَّة . ثم استقضى شريح بن الحارث الكندي فقضى نحسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة إلى البصرة واستقضى مكانه مسروق بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة في زمن ابن الزبير فقعد ولم يقض في الفتنة . فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجلا شريحا في الطريق فقال : يا أبا أمية قضيت والله بجور، قال : وكيف ذلك ؟ ويحك ! قال : كثرت
- ٢٠

(*) في الأصلين « رأيا » والتصويب عن نهج البلاغة .

سُنُّكَ واختلط عقلك وارثتي ابنك ، فقال [شريح لا جرم] (*) لا يقولها أحد بعدك .
 فأتى الجحاج فقال : والله لا أقضى بين اثنين . قال : والله لا أعفك أو تبغيني رجلاً .
 فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى . فاستقضاه الجحاج
 وألزمه سعيد بن جبيرة كاتباً ووزيراً .

وروى الثوري عن علقمة بن مرثد أنه لقي محارب بن دثار وكان على القضاء
 فقال له : يا محارب ، إلى كم تردد الخصوم ؟ فقال له : إلى والخصوم كما قال الأعشى
 أرقئت وما هذا الشهاد المؤرق * وما بي من سقم وما بي معشوق
 ولكن أراني لا أزال بمحدث * أغادى بما لم يمس عندي وأطرق

حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
 ابن الشهيد قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة ١٠
 فطول فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الفتيا فعليك بالحسن معلى ومعلم أبي ،
 وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى — وكان على قضاء البصرة
 يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بمحمد الطويل ، وتدرى ما يقول لك ؟
 يقول لك : حطّ شيئا ، ويقول لصاحبك : زده شيئا حتى نصلح بينكما ، وإن
 كنت تريد الشغب فعليك بصالح السندوسي ، وتدرى ما يقول لك ؟ يقول لك :
 ١٥ اجمد ما عليك . ويقول لصاحبك : ادع ما ليس لك وادع بينة غيباً .

قرأت في الآيين : « ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحق العدل والقضاء العدل غير
 الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بثبوت وروية ويتحقق من الشبهة » . والقضاء
 الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس ، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد ،
 ٢٠ والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أنحى الأصمعي قال حدثني عمي الأصمعي قال قال أعرابي لقوم يتنازعون : هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ ف قيل : وما يكون خيرا من الحق ؟ قال : التحاط والهضم فان أخذ الحق كله مرة .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في شيء فحكما رجلا له في المخطئ هوى ، فقال للمخطئ : من يقول بقولك أكثر .

الهيثم بن عدي قال : تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد الى عبد الملك بن عمير وهو قاضي الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمى بها فقضى لها ، فقال هذيل الأشجعي

أتاه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما أدعت من صامت المال والحوّل
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقه * وكان وليد ذا مرأى وذا جدل
ففتنت القبطى حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السور الطول
فلو كان من في القصر يعلم علمه * لما استعمل القبطى فينا على عمل
له حين يقضى للنساء تحاوض * وكان وما منه التواوض والحوّل
إذا ذات دُلّ كلمته لحاجة * فهم بأن يقضى تتنح أو سعل
[وبرق عينيه ولاك لسانه * يرى كل شيء ما خلا شخصها جلل]^(١)

فكان عبد الملك بن عمير يقول : والله لربما جاءتنى السعلة أو التنحج وأنا في المتوضأ فأكف عن ذلك .

وقال ابن منذر في خالد بن طليق وكان قد ولى قضاء البصرة :

قل لأمير المؤمنين الذى * من هاشم في سرها واللباب

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) في القاموس : وابن منذر ويضم فيصرف شاعر بصرى لأنه محمد بن المنذر بن المنذر وفي الأغاني أنه اذا قيل له ابن منذر يفتح الميم يفض ثم يقول أماذر الصغرى أم منذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز . انما هو منذر على وزن مفاعل من ناذر فهو منذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسَّخْطَةِ عاقبتنا * بخالد فهو أشدَّ العقاب
كان قضاةُ الناسِ فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب
يا عجبًا من خالد كيف لا * يخطئ قُتْبًا مرةً بالصواب

وقال فيه

جُعل الحاكم يا للنَّاسِ من آل طَلِيقٍ
مُحْكَمٌ يحكم في النِّسَاءِ * س برأى الجاثليق^(١)
أى قاض أنت في النِّقَصِ وتعطيل الحقوق
يا أبا الهيثم ما أنست لهذا بخليقي
لا ولا أنت لما حُمِلَتْ منه بمُطِيقٍ

١٠ أراد عدي بن أرطاة بكر بن عبد الله المزني على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن القضاء، فإن كنت كاذباً أو صادقاً فما يحل لك أن توليني .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لما عزل ابن شبرمة عن القضاء قال له والى اليمن : اختر لنا رجلاً نوليه القضاء . فقال له ابن شبرمة : ما اعرفه . فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل إليه بخاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدري لم دُعيت؟ قال : لا . قال : إنك قد دعيت لأمر عظيم ، للقضاء . قال : ما أيسر القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شيء يسير منه ، قال : سل . قال له ابن شبرمة : ما تقول في رجل ضرب بطنَ شاةٍ حاملٍ فألقت ما في بطنها ؟ فسكت الرجل ، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناك^(٢) فما وجدنا عندك شيئاً . فقل له : ما القضاء فيها ؟ قال ابن شبرمة] تُقَوِّمُ حاملًا وتُقَوِّمُ حائلاً ويغرم قدر ما بينهما .

٢٠ (١) في القاموس : الجاثليق بفتح الهمزة المثناة رئيس للصاري في بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب التاج وهو المعروف الآن بالقتل كقنفذ . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(*)
حدثني عبد الله بن محمد الخَلَنجِي قال : كان يحيى بن أكرم يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

- ٥ ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال : إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها ولا غنى بنا عن ريفك . فقال له عبد الملك : إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما إذا أولدتما ، فعلت . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ، فإن أصاب لزمي الحرمان ، وإن أخطأ آتسع لي العذر . فدعا بالبحدلي فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتني على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالزماح ، أحدهما عم الآخر والآخر خاله .

- ١٠ قال ابن سيرين : كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبّة له وبين يديه كائون له فيه نار بجاء رجل بفلس معه على فراشه فسأره بشيء لا ندري ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضع لي إصبعك في هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل على بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدك كله في نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعاه إلى القضاء .

كان يقال : « ثلاث إذا كنّ في القاضي فليس بكامل : إذا كره اللوازم ، وأحب المحامد ، وكره العزل . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان عالماً ، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم » .

- ٢٠ (*) . في النسخة الفروعرافية : « عبد الرحمن » وفي أنساب السمعاني ما يؤيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضي الى العدل في لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .
قال الشعبي : حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت عينيها فبكت فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يكون .

بلغني عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الأشعري كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا بياس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأس فراجعت فيه نفسك وهُديت لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شيء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، وأعرف الأشياء والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ثم اعمد لأحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينة أخذ بحقه وإلا استحللت عليه القضاء . والمسلمون عدول في الشهادة إلا مجلودا في حد أو مجريا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة . إن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات . وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فانه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شأنه الله ، والسلام » .

وقال سلمة بن الخُرَشُب لسُبَّيع التغلبي في شأن الرُّهْن التي وضعت على يديه في قتلى
عبس وذُبْيَان .

أبلغُ سُبَّيْعَا وأنت سيدنا * قَدَمَا وأوفى رجالنا ذِمَّا
أن بَغِيضًا وأن إخوتها * ذُبْيَان قد ضَرَمُوا الذي اضْطَرَمَا
نَبَّئْتُ أن حَكْمُكَ بينهم * فلا تقولن بئس ما حَكَمَا
إن كنت ذا عِرْفَةٍ بِشَأْنِهِمْ * تعرفُ ذا حَقِّهِمْ ومن ظَلَمَا
وتُنْزِلُ الأمر في منازلهم * حَكَمَا وعلمَا وتحضر الفَهَمَا
فاحكم فانت الحكيم بينهم * لن يعدموا الحقَّ باردا صَتَمَا
وأصدع أديمَ السَّوَاءِ بينهم * على رضا من رَضِيَ ومن رَغِمَا
إن كان مالا فثَلَّ عِدَّتَهُ * مَالٌ بِمَالٍ وإن دَمًا فَدَمَا
هذا وإن لم تُطَقْ حُكُومَتُهُمْ * فانبذ إليهم أمورهم سَلَمَا
وأنشد عمر بن الخطاب شعر زهير بن أبي سلمى، فلما بلغ قوله
فإن الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفاق أو جلاء

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحق من
إحدى ثلاث إما يمين أو محاكمة أو حجة .

وقال ابن أبي ليلى الفقيه في عبد الله بن شبرمة

وكيف تَرَجَّى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم في نفسك
وتزعم أنك لابن الجَلَّاح * وهيأت دعواك من أصلها
عبد الله بن صالح العجلي قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخيزران وقد
أقبلت تريد الحج، فأتى، "شاهي" فأقام بها ثلاثاً ولم تُؤَافِ نخف زاده وما كان
معه من الخبز فجعل يبئله بالماء ويأكله بالملح، فقال العلاء بن المتهال الغنوي

فان كان الذي قد قلت حقا * بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك موضعاً في كل يوم * تلقى من يمحج من النساء
مقياً في قرى شاهي ثلاثا * بلا زاد سوى كسير وماء
يزيد الناس خيراً كل يوم * فترجع ياشريك الى وراء
وقال فيه أيضاً

فليت أبا شريك كان حياً * فيقصر حين يبصره شريك
ويترك من تدريه علينا * اذا قلنا له هذا أبوك^(١)
وأنشد لبعض الشعراء في بعض الحكم

أبكي وأندب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكم
إن الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني القاسم بن الفضل قال حدثني رجل من بني
جرير أن رجلاً منهم خاصم رجلاً الى سوار بن عبد الله فقضى على الجريري، فمر
سوار ببني جرير فقام اليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول

رأيت أحلاماً فعبثتها * وكنت للأحلام عبّاراً
رأيتني أختق ضباً على * بجحروكان الضب سواراً

في الشهادات

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال لي أيوب^(٢) : إن من أصحابي من أرجو
دعوته ولا أجيز شهادته . قال وقال سوار : ما أعلم أحداً أفضل من عطاء السلمي،
ولو شهد عندي على فلّسين لم أجز شهادته . يذهب الى أنه ضعيف الرأي ليس بالحازم،

(١) في هذا الشعر الإقواء، وهو المخالفة بين القوافي في حركة الإعراب، وقد أورد صاحب اللسان هذين
البيتين في جملة الشواهد المسوقة عليه . (٢) في النسخة الألمانية « أبو أيوب » .

- لا أنه يطعن عليه في دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنه ؟ قال : كما أعلم أنك سوار بن عبد الله ابن عترة بن ثقب . قال : وشهد رجل عند سوار في دار قد ادّعاها رجل قال : أشهد أنها له من الماء إلى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أي شيء أكتب ؟ فقال : كل شيء يخرج الدار من يد هذا ويجعلها في ملك هذا فاكتبه . [قال أبو حاتم بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه] قال وشهد رجل عند سوار، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدب . قال : فانا لا نجيز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إني أكرهت على القضاء . قال : يا هذا، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلم شهادتك، فأجازها . قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبي فراس، وزيدونا . فقبل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف مُحَصَّنَة . وجاء أبو دلامة ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك
- إِنَّ الْقَوْمَ غَطَّوْنِي تَغْطِيتُ دُونَهُمْ ۖ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَإِنْ حَفَرُوا نَرَى حَفْرَتُ بَنَاتِهِمْ ۖ لِيُعْلَمَ مَا تَخْفِيهِ تِلْكَ النَّبَاتُ
- فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء .

- (٢) أتى رجل ابن شبرمة يقوم يشهدون له على قراح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم : كم في القراح من نخلة ؟ قالوا : لا نعلم . فردّ شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلمنا : كم فيه من أسطوانة ؟ فأجازهم .
- (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفنوغرافية أنه ابن سيرين والأول أقرب اذ لم تقف في ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصم لا يرتجى النجاة له * يوما إذا كان خصمه القاضى

قدم رجل خصما له الى زياد فى حق له عليه ، فقال : إن هذا الرجل يُدَلُّ بخاصة
ذكر أنها له منك . قال : نعم . وسأخبرك بما ينفعه عندى من خاصته : إن
يكن الحق له عليك آخذك أخذا عنيقا ، وأن يكن الحق لك عليه أقيض عليه ثم
أقيض عنه .

وقال أبو اليقظان : كان عبيد الله بن أبي بكرة قاضيا وكان يميل فى الحكم الى إخوانه .
فقليل له فى ذلك . فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ .

قال المدائنى : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مداراة فى واد بالمدينة . قال
فقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص ، فأتياه فقال لهما : أنتم فى فضلكما وقديم سوابقكما
ونعمة الله عليكما تختلفان ! وقد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت
وحضرتما من قوله مثل الذى حضرت فيمن اقتطع شبرا من أرض أخيه بغير حق
أنه يطوّقه من سبع أرضين ! والحكم أحوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن
الحكم إذا جازى دينه والمحكوم عليه إذا جبر عليه رزى عرض الدنيا [إن شئتما
فادليا بحجتكما] [إن شئتما فاصالحا ذات بينكما . فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما
صاحبه الرضا .

وكان السّندى ابن شَاهِك لا يستعطف المكارى ولا الحائك ولا الملاح
ويجعل القول قول المدعى مع يمينه ، ويقول : اللهم إني أستخيرك فى الجمال ومعلم
الصبيان .

وقال أبو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العذّيوط ولا المغدّي ببوله . قال أبو البيداء : فضحكت والله حتى كدت أبول في ثوبي .

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبري : أتجزّ شهادته رجل عفيف تقيّ أحمق؟ قال : لا ، وسأريكم . ادعوا لي أبا مودود حاجبي ، فلما جاء قال له : انرج حتى تنظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها شيء من الجنوب . فقال : أتروني كنت بجيزا شهادة مثل هذا؟

قال الأعمش قال لي محارب بن دثار : وليت القضاء فبكي أهلي وعُزلت عنه فبكوا ، فما أدري مم ذاك؟ فقلتُ له : وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فبكي أهلك ، وعُزلت عنه ففكرت العزل وجزعت منه فبكي أهلك . فقال : إنه لكأ قلت .

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام قسّم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتي؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقض حاجته وأخرجه من الشام لا يفسد على الناس .

قال أعرابي لخصم له : « والله لئن هملجت إلى الباطل إنك عن الحق لقطوف » .

(١) في النسخة الفتيوغرافية : مورد . (٢) في الأصل "عليك" والنصيب عن البيان والتبيين . ٢٠

باب الأحكام

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدث عن عكرمة عن أبي هريرة قال : « قضى رسول الله عليه وسلم إذا اختلف الناس في الطرق أنها سبع أذرع » .

حدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك الغفاري عن أبيه عن جده قال : « كفل النبي عليه السلام رجلا في تهمة » .

قال وحدثني أيضا عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جده قال قال أبو هريرة : « حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حبسا يسيرا حتى استبرا » .

حدثني يزيد قال حدثني الوليد عن جرير بن حازم عن الحسن : « أت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب » وقال لي رجل بالمدينة : هو ذورباب .

حدثني أحمد بن الخليل عن سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى بن حكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : « أتى ماعز بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني زني يا رسول الله . فقال : لعلك مسست أو لمست أو غمزت . فقال : لا ، بل زني . فأعادها عليه ثلاثا ، فلما كان في الرابعة رجمه » .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقرع عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أتى بامرأة سرق ، فقال : أسرقت ؟ قولي : لا .

(١) في النسخة الألمانية : "خيم" ولم نشر على ما يرجح الرايتين .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "أبو الوليد" .

حدّثني سهل بن محمد قال حدّثني الأصمعي قال : جاءوا زيادا بلصّ وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فاتهموه وقالوا : اصدق الأمير . فقال الأحنف : إن الصديق أحيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدّثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن حدّثه عن ابن عباس قال « جزّ الرأس واللحية لا يصلح في العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نسكاً لمرضاته » .

حدّثني شبابة عن القاسم عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال « إياكم والمثلة في العقوبة جزّ الرأس واللحية » .

حدّثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدّثنا سَلَمُ بن قتيبة قال حدّثنا يونس عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى في رجل فزّع رجلاً فضرط بأربعين درهما .

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن جُوَيْر عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحل في هذه الأمة غل ولا صَفْدٌ ولا تجريدٌ ولا مدٌّ » .

حدّثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان عامر بن الظرب العدواني حَكَمَ العرب ، فنزل به قوم يستفتونه في خنثى وله جارية يقال لها خُصَيْلَة^(١) . وربما لامها في الإبطاء في الرعي وفي الشيء يجده عليها . فقال : يا خُصَيْلَة لقد حبست هؤلاء القوم وريثهم حتى أسرع في غنمي . قالت وما بكن عليك من ذلك ؟ أتبعه مباله . فقال لها : "مَسَى خُصَيْلَ بعدها أوروحي" .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « جميلة » وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب خُصَيْلَة هذه في حكايات العرب قال ولعلها هي التي كان أبوها عامر يقول لها "مَسَى تخيل بعدها أوصبحي" بناء على أنها كانت تسمى سخيلا أيضا . وقد ذكر الميداني أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا وذكر القصة .

قال: وأتى ابن زياد بانسان له قُبُلٌ وذَكَرٌ ولا يُدرى كيف يُورَثُ. فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل الى جابر بن زيد. فأرسل اليه، فجاء يرسف في قيوده فقال: ما تقول: في هذا؟ فقال: ألزقه بالحدار فان بال عليه فهو ذَكَرٌ، وإن بال في رجله فهو أنثى. حدثني محمد بن خالد بن خَدَّاش قال حدثنا سَلَمٌ بن قتيبة قال حدثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين أن رجلا كسر طنبورا لرجل نخاصمه الى شريح، فقال شريح: لا أقضى في الطنبور بشيء.

[حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال: قال لي أبو العجاج: يا ابن أصمَعٍ والله لئن أقررت لألزمك . أى لا تقر.]

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه عن معمر قال: رد رجل على رجل جارية اشتراها منه، نخاصمه الى إياس بن معاوية، فقال له: بم تردّها؟ قال له: بالحق. فقال لها إياس: أى رجلك أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليسة ولدت؟ قالت: نعم. فقال إياس: رد رد.

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن قيس عن أبي حصين قال: رأيت الشَّعْبِيَّ يقضى على جلد أسد.

الظلم

[حدثني عبد الرحمن (*) بن عبد الله بن قُريب قال حدثني الأصمعي] قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلا وأمرأته اختصما الى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المتنقب قبيحة المسفر، وكان لها لسان فكأن العامل مال معها فقال: يعمد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء اليها! فأهوى زوجها الى النقب فألقاه

(*) زيادة في النسخة الألمانية.

عن وجهها فقال العامل : عليك اللعنة ! كلامٌ مظلومٌ ووجهٌ ظالمٌ . وأنشد الراشقي
في نحو هذا

رأيتُ أبا التجنّاء في الناس جائراً * ولون أبي المجنّاء لونُ البهائم
تراه على ما لاحه من سواده * وإن كان مظلوماً له وجه ظالم

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان رجل من العرب
في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلم ويمتدّى يقول : فلان لا يموت سويّاً . فيروُن ذلك
حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقبل له : مات فلان سويّاً . فلم يقبل حتى
تتابعت الاخبار . فقال : إن كنتم صادقين إن لكم داراً سوى هذه تجازون فيها .^(١)

كتب رجل من الكُتّاب الى سلطان : « أعيذك بالله من أن تكون لاهياً عن
الشكر محجوباً بالنعم صارفاً فضل ما أوتيت من السلطان الى ما تَقِلّ عائدته وتَعْظُم تبعته
من الظلم والعدوان ، وأن يسترلك الشيطان بخدعه وغروره وتسويله فيُزِيل عاجل
الغِيْبة وينسيك مذموم العاقبة ، فان الحازم من يذكر في يومه المخوف من عواقب
غده ولم يغره طولُ الأمل وتراخي العناية ولم يضرب في غمرة من الباطل ولا يدري
ما تتجلى به مغبتها . هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المتقلب وقبح الذكر الذي لا يفنيه
كرّ الحديدین واختلاف العصرین » .^(٢)

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إبراهيم السقاء
عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتى بمعلم الصبيان يوم القيامة فان كان عدل بين الغلمان^(٣)
والا أقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إني لأستحي أن أظلم [من لا يجد

(١) كذا بالأصل ولعل الفاء سقطت من الناصح . (٢) في الفتوغرافية : الكُتّاب .

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

على ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إني لأستحي أن أظلم [وأخرج أن أظلم » .
وكان يقال : إذا أراد الله أن يُخفف عبدا قيض له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : « أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم
بالانصاف من بُسِطت بالقدره يداه » .

ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب : إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن
الظلم يُخرب الديار . فقال ابن عباس أنا أوجدُ مسكته في القرآن ، قال الله عز وجل
(فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا) .

حدثني سهل بن محمد عن الأضمعي قال : كان فرعان وهو من بني تميم لا يزال يُغير
على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها الى أن أغار على رجل فأصاب له جملا ،
بفاء الرجل فأخذ بشعره فغذبه فبرك ، فقال الناس : كبرت والله يا فرعان . فقال : لا والله
ولكن جذبني جذبة مُحِقٌّ . وكان سُديف بن ميمون مولى اللّهييين يقول : اللهم قد
صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار
للأمة . واشتريت الملاحى والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المسلمين
أهل الذمة وتولى القيام بأموهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل
وبلغ نهايته واجتمع طريقه . اللهم فاتح له يدا من الحق حاصدة تبدد شمله وتفرق
أمره ليظهر الحق في أحسن صوره وأتم نوره .

ولى أعرابي بعض النواحي بجمع اليهود في عمله وسأله عن المسيح فقالوا : قتلناه
وصلبناه . فقال : فهل أدبتم ديتة؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤذوها .
فلم يبرحوا حتى أذوها .

كان أبو العجاج على جَوَالِي البصرة فَأَتَى بِرَجُلٍ مِنَ النصارى : فقال ما أسمك ؟
فقال : بنداذ شهر بنداذ . فقال : اسمٌ ثلاثيةٌ وجزيةٌ واحد ! لا والله العظيم . قال :
فأخذ منه ثلاثَ حَزَى .

ولى أعرابي "تَبَالَةً" فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير
أعزنا الله وإياه ولآنى بلادكم هذه ، وإنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى ،
ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم
ولا يرتفعون إليه . قال بعض الشعراء

بنى عَمْنَا لا تذكروا الشعر بعد ما * دفتم بصحراء الغمير القوافيا^(١)
فلسنا كمن كنتم تصيبون سَلَّةً * فنقبَل ضِيًّا أو نحسَّكم قاضياً
ولكن حكم السيف فيكم مسلَّط * ففرضى إذا ما أصبح السيفُ راضياً
فان قَلَّم إنا ظَلَمنا فلم نَكُن * ظَلَمنا ولكنَّا أسانا ألتقاضيا
[وقال آخر

تفرحُ أَنْ تغلبنى ظالماً * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]
وكانوا يتوقَّون ظلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إني أعوذ
بالرحمن منك إن كنت تقيا ، آخسئوا فيها ولا تكلمون ، أخذتُ سمعك وبصرك بسمع
الله وبصره . أخذت قوتك بقوة الله . بينى وبينك سِرَّ النبوة الذى كانت الانبياء
تستتر به من سَطَوَات الفراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومجد
أمامك والله مطلع عليك ويحييُكَ عنى ويمنعنى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك فى الحماسة منسوباً للشَّيْذَرِ الحارثى . والغمير موضع بين
ذات عرق والبستان وقبله بملين قبر أبى رغال كما فى ياقوت ثم ذكر أنه اسم لموضع آخر . وقد ورد
فى الفتوغرافية هكذا « العيط » محرفاً عن « أَلْعَيْط » وفى اللسان والمعجم أنه اسم واد ومنه صحراء العيط
وقد ورد فى شعر امرئ القيس

فأتى بصحراء الغبيط بَعَاة * كصرع اليماني دى العياب المحمل

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء

ونستعدى الأمير إذا ظلمنا * فمن يُعدي إذا ظلم الأمير

[وقال آخر^(١)

إذا كان الأمير عليك خصما * فلا تُكثِر فقد غلب الأمير]

وكتب رجل إلى صديق له : قد كنت أستعديك ظالماً على غيرك فتحكم لي وقد

استعديتكم عليكم مظلوما فضاق عني عدلك ، وذكري قول القائل

كنت من كُربى أقر إليهم * فهم كُربى فإين الفرار

[ونحوه^(١)

والخصم لا يُرتجى النجاح له * يوما إذا كان خصمه القاضى]

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان يقال : ما أُعطي أحد قط النصف

فأباه إلا أخذ شرا منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرضت النصفة قط على أحد

فقبلها إلا دخلتني له هيبة ولا ردّها إلا اختبأتها في عقله .

وقال البعيث

وإني لأعطي النصف من لوظلمته * أقر وطابت نفسه لي بالظلم

وقال الطائي

يرى العلقم المأدوم بالعزيز أريّة * يمانية والأرى بالضم علقا

إذا فرشوه النصف نامت شدائته * وإن رتّعوا في ظلمه كان أظلما

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبي قومنا أن ينصفونا فأنصفت * قواطع في أيمننا تقطر الدما

تركاهم لا يستحلون بعدها * لذي رجم يوما من الدهر محرّما]

(١) زيادة في النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثاني في صحيفة ٧٠

بلغنا عن ضمرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله :
أما بعد فاذا دعيتك قدرتك على الناس الى ظلمهم فاذا ذكر قدرة الله عليك وفناء ما تُؤتي
اليهم وبقاء ما يؤتون اليك ، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلمه ، فقال : أقصريا هذا ، لا يربح عليك
ظلمك .

قولهم في الحبس

[في الحديث المرفوع : ^(١) «شكا يوسف عليه السلام الى الله عز وجل طول الحبس
فاوحى الله اليه : مَنْ حَبَسَكَ يَا يُوسُفُ ، أَنْتَ حَبَسْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ قُلْتَ (رَبِّ
السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) وَلَوْ قُلْتَ : الْعَافِيَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ لَعُوفِيَتْ» .]

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه
السلام دعا لأهل السجن دعوة لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم اعطف
عليهم قلوب الأخيار ولا تُعم عليهم الأخبار» . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر
في كل بلد .

وكتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وتجربة الصديق
وشماتة الأعداء» .

أنشدني الرياشي

ما يدخل السجن إنسان فتسأله : ما بال سجنك إلا قال مظلوم

وقال أعرابي

ولما دخلت السجن كبر أهله * وقالوا أبوليلي الغداة حزين

وفي الباب مكتوب على صفحاته * بأنك تترؤم سوف تلين

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

ويقال : إن قولهم « تتر وتلين » رُوى مكتوبا على باب حبس فضربه الناس
مثلا .

وقال بعض المسجونين

وبتُّ بأحصنها منزلا * ثقيلًا على عنق السالكِ
ولستُ بضيف ولا في كرا * ولا مُستعير ولا مالكِ
ولستُ بنصيب ولا كالرَّهون * ولا يشبه الوقف عن هالكِ
ولى مُسمعات فأدناها * يغنى ويسمع في الحالكِ
وأقصاهما ناظرٌ في السما * عمدا وأوسخ من عاركِ

٥

المُسمع الأول قيده والثاني صاحب الحرس ، ونحوه قول الآخر
ولى مُسمعات وزمارة * وظلٌ مديد وحصن أمق

١٠

الزمارة الغل ، وأصل الزمارة السَّاجور .

قال أبو عبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل الى بلال بن أبي بردة ، فقضى
للرجل على خالد ، فقام خالد وهو يقول

* سحابة صيف عن قليل تَقشَع *

فقال بلال : أما إنها لا تَقشَع حتى يصيبك منها شؤبوبُ برد . وأمر به الى
الحبس ، فقال خالد : علام تحبسنى ؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة .
فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمت وأقيادٌ يقال وقيم يقال له حَفَص .

١٥

قال الحجاج للغضبان بن القُبَعَثِيِّ ورآه سميئا : ما أسمئك ؟ قال : القيدُ والرَّتعةُ ،
ومن كان في ضيافة الأمير سمن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكميث الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال

ولما أحلوني بصلعاء صَيِّم * بإحدى زُبي ذى اللَّبدتين أبي الشَّبل
نرجتُ خروج القُدح قدح ابن مُقبل * على رغم آناف النواج والمُشلى
على ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة مرءٍ أشبهت سلة النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأنى لأرجو خالدا أن يَفُكَّنِي * ويطلق عني مقفلات الحدائد;
فإن يك قيدي ردَّ همتي فربما * تناولت أطراف المومم الأبعاد
وما من بلاء غير كلِّ عشيّة * وكلَّ صباح زائرٍ غير عائد
يقول لي الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخر قاعد

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسرى حين حبس

لعمري لقد أعمرتُ السجن خالدا * وأوطأتموه وطأة المتناقل
فإن تحبسوا القسرى لا تحبسوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل
(١)

وقال بعض المسجنين

أسجنُ وقيد واغتراب وعُسرة * وفقد حبيب! إن ذا العظيم
وإن أمراً تبقى موثيقُ عهده * على كل هذا، إنه لكرم

وقال آخر مثله

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفي يده كشف المصيبة والبلوى
نرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

(١) كذا بالنسخين الفئوغرافية والألمانية وفي هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المسجونين»

ولم نجد التضعيف لا في القاموس ولا في اللسان .

إذا جاءنا السجّان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
وتعجبنا الرؤيا بفعل حديثنا * إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت لم تأت عجلي وأبطأت * وإن قبحت لم تحتبس وأنت عجلي
وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس : يا لهفي على طلبة بمائة الف وفرج في جبهة
أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال

أصبح في قيدك الساحة والسجود وحمل لمضليع الأتقال
فقال : أتمدحني على هذه الحال؟ فقال : أصبتك رخيصة فاشتريتك .^(١)
وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من الحبس بآيات منها
تفديك نفسي من كل ما كرهت * نفسك إن كنت مذنباً فاغفر
يا ليت قلبي مصورك ما * فيه لتستيقن الذي أضمر
فوقع الرشيد في رقعة : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها
كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس * وقد وقعت «ليس عليك بأس»
فامر بطلاقه

الحجاب

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه أن عبد العزيز بن زُرارة الكلبي وقف على باب
معاوية فقال : من يستأذن لي اليوم فأدخله غدا؟ وهو في شملتين، فلما دخل على
معاوية قال : هنزت ذوائب الرجال إليك إذ لم أجد معولا إلا عليك . أمتطى الليل
بعد النهار وأسم المجاهل بالآثار . يقودني نحوك رجاء وتسوقني إليك بلوى، والنفوس
مستبعدة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقزبه . فقال في ذلك

(١) في الأصل : «فأسلفتك» والتصويب عن العقد الفريد . (٢) في الفتوغرافية : الرجاء .

دخلتُ على معاويةَ بنِ حرب * وذلك إذ يئستُ من الدخول
وما نلتُ الدخول عليه حتى * حلتُ محلةَ الرجل الذليل
وأغضيتُ الجفونَ على قنأها * ولم أسمع الى قالٍ وقيل
فأدر كُت الذي أملتُ فيه * بمكثٍ والخطأ زاد العُجول

وقال غير العتي: لما دخل عبد العزيز بن زُرارة على معاوية قال له : «إني رحلتُ
إليك بالأمل واحتملتُ جفوتك بالصبر، ورأيتُ بياك أقواما قدّمهم الخطأ، وآخرين
باعدتهم الحرمانُ . وليس ينبغي للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن يياس . وأول المعرفة
الاختبار فأبُلُ واختبر» وفي حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر
من يأذن اليوم لعبد العزيز * يأذن له عبدُ عزيز غدا

قال أبو اليقظان : كان عبد العزيز بن زُرارة فقي العرب .

استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال
لا عدمتُ من قومي من إذا شاء حجّني . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء :
من يغشَّ سُدَدَ السلطان يغم ويقعد ومن صادف بابا عنه مغلقا وجد الى جانبه بابا
فُتِحا ، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطى .

قال رجل لحاجبه : إنك عين أنظرُ بها وجنةُ أستنيم إليها ، وقد ولّيتك بابي ،
فما تراك ضائعا برعيتي ؟ قال : أنظرُ اليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك
وأضعهم في إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث
وَضَعهم ترتيبك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك . قال : قد وقّيتَ ما لك وما عليك
إن صدقته بفعل . وكان يقال : حاجبُ الرجل حارس عِرْضه .

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقم من مستغيثا ولا تضرع ذا شرف بصعوبة حجاب ولا ترفعن ذا ضعة بسهولة . وضع الرجال مواضع أخطارهم ، فمن كان مقدما له الشرف ممن أزدرعته ولم يهدمه من بعد بنائه فقدمه على شرفه الأول وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدم فلم يضمن ذلك إبلاغا به ولم يزدعه تمهيرا له فألحق بأبائه مهلة سبقهم في خواصهم ، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه . لا تأذن له إلا دبرا ولا تأذن له إلا سارا . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عمالي فلا تحبس عنه طرفة عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول اليها ، وإن أتاك مدع لنصيحة فاستكتبها سرا ثم ادخله بعد أن تستأذن له . حتى إذا كان مني بحيث أراه فادفع الي كتابه ، فإن أحدث قبلت وإن كرهت رفضت ، ولا ترفعن الي طلبة طالب إن منعته بخلي وإن أعطيته أزدراي ، إلا بمؤامرة مني من غير أن تعلمه أنك قد أعلمتني وإن أتاك عالم يستأذن علي لعلم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك ؟ ثم استأذن له فإن العلم كاسمه ، ولا تحجب سخطه ولا تأذن رضا ، اخصص بذلك الملك ولا تخص به نفسك » .

الهيثم قال : قال خالد بن عبدالله لحاجبه : « لا تحجب عني أحدا إذا أخذت مجلسي ، فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث : عني يكره أن يطلع عليه منه ، أوربية ، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الوراق فقال

إذا اعتصم الوالي باغلاق بابه * ورد ذوى الحاجات دون حجابيه
ظننت به إحدى ثلاث وربما * نزع بظن واقع بصوابه
فقلت به مس من العي ظاهر * ففى إذنه للناس إظهار ما به
فان لم يكن عي اللسان فغالب * من البخل يحى ما له عن طلابه
فان لم يكن هذا ولا ذا فريية * يصر عليها عند إغلاق بابه

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عِرضَ المَلِكِ حاجبه
فيه تبدو محاسنه * وبه تبدو معاييه

وقال آخر

كم من فتي تُحمد أخلاقه * وتسكن الأحرار في ذمته
قد كثُر الحاجبُ أعداءه * وسلطَ الذم على نعمته

حضر بابَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعةٌ منهم سهيل بن عمرو وعُيينة
ابن حصن والأقرع بن حابس فخرج الأذنُ فقال : أين صُهيب ؟ أين عمار ؟ أين
سلمان ؟ فتمعرت وجوهُ القوم . فقال واحد منهم : لمَ تمعرت وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا
فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لَمَّا أعد الله لهم في الجنة أكثرُ .

وقال بعض الشعراء

سأترك هذا الباب ما دام إذنه * على ما أرى حتى يخف قليلا
إذا لم نجد للاذن عندك موصلا * وجدنا الى ترك المجيء سبيلا

وقال آخر لحاجب

سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحوّلت رجلى مُسرعا نحو مالك

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف

لئن عدت بعد اليوم إلى لظالم * سأصرف وجهي حيث تُبغى المكارم
متى ينبجُ النفاذى إليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم ؟

وقال آخر

ولست بمتخذ صاحب * يُقيم على بابه حاجبا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ ألقيته ظابطاً
ويُكْزَمُ إخوانته حَقُّه * وليس يرى حَقَّهُم وإِجبا
فلستُ بلاقيه حتى الماتِ * إذ أنا لم ألقه راكبا

وقال عبد الله بن سعيد في حاجب الحجاج وكان يحجبه دائماً
ألا رُبَّ نصيح يُغلق البابُ دونه * وغشَّ إلى جنب السرير يُقرب
وقال آخر

ما ضاقت الأرض على راغب * يَطْلُبُ الرزق ولا هارب
بل ضاقت الأرض على طالب * أصبح يشكو جفوة الحاجب

ومُجِبُّ رجل عن باب سلطان فكتب إليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنية
والهمم القصيرة وابتذال الحزنية، فإن نفسي والحمد لله أبتة ما سقطت وراء همّة
ولا خذلما صبر عند نازلة ولا استرقها طمع ولا طُيعت على طبع وقد رأيتك وأيت
عِرْضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يَشِينه وجعلت ترحمان عقلك من يُكْثِرُ من
اعدائك وينقص من أوليائك [ويسىء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك] وَيُضْغِنُ
قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصديق منزلة، ويُرْزِلُ
المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العلى إلى مرتبة الوضيع ويرفع الدنى إلى مرتبة
الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عينه عن ذى البذاذة ويميل إلى ذى اللباس
والزينة ويقدم على الهوى ويقبل الرشا» .

وقال بشار، وقيل هو لغيره

تأبى خلائق خالد وفعاله * إلا تَجَنَّبَ كُلَّ أمر عائب
فاذا أتيت الباب وقت غدائه * أذن الغداء برغم أنف الحاجب

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وهذا ضد قول الآخر

إذا تغذى فتر بوابه * وأرتد من غير يد بابه
ومات من شهوة ما يُحتسى * عياله طرأ وأصحابه

وقال آخر

يا أميرا على جريب من الأر * ض له تسعة من الحجاب
قاعدا في الخراب يُحجب عنه * ما سمعنا بحاجب في خراب!

وقال آخر

على أي باب أطلب الاذن بعد ما * نُحجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

وقال الطائي

يا أيها الملك النائي برؤيته * وجوده لمراعى جوده كُشِبُ
ليس الحجاب يُقص عنك لي أملا * إن السماء ترجى حين تمنحجب

وقال أيضا

ومحجِب حاولته فوجدته * نجما عن الركب العفاة شسوعا
أعدمته لما عدمت نواله * شكرى فرحنا معدمين جميعا

وقال آخر

قد أطلنا بالباب أمس القعودا * وجُفينا به جفاء شديدا
وذمنا العبيد حتى إذا نحن * بلونا المولى عذرنا العبيدا

ومحجِب رجل فكتب

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبلة قوما فانت لها نُبل
فلا ترتفع عنا لشيء وليته * كما لم يصغر عندنا شأنك العزل

- وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى الى صديق له : «إن كان ذهولك عنا لدنيا
أَخْضَلَتْ عَلَيْكَ سَمَائُهَا وَأَرْتَبَتْ بِكَ دِيَمُهَا^(١) إِنْ أَكْثَرَ مَا يَجْرِي فِي الظَّنِّ بِكَ بَلْ فِي الْيَقِينِ
مِنْكَ أَنْكَ أَمْلَكُ مَا تَكُونُ لِعَنَانِكَ أَنْ يَجْتَمِعَ بِكَ وَلِنَفْسِكَ أَنْ تَسْتَعْلَى عَلَيْكَ إِذَا لَانَتْ لَكَ
أَكْثَانُهَا^(٢)] وَأَنْقَادُ فِي كَفِّكَ زَمَامُهَا لَأَنَّكَ لَمْ تَتَلَّ مَا نَلْتَ خَلْسًا وَلَا خَطْفًا ، وَلَا عَنْ مَقْدَارِ
جَرَفٍ إِلَيْكَ غَيْرَ حَقِّكَ وَأَمَالٍ نَحْوِكَ سِوَى نَصِيْبِكَ . فَانْ ذَهَبْتَ إِلَى أَنْ حَقِّكَ
قَدْ يَحْتَمِلُ فِي قُوَّتِهِ وَسَعْتِهِ أَنْ تَضُمَّ إِلَيْهِ الْجَفْوَةُ وَالنُّبُوَّةُ فَيَتَضَاعَلُ فِي جَنْبِهِ وَيَصْغُرُ عَنْ
كَبِيرِهِ فَغَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنْ ذَلِكَ . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ لَا مَا بُلِيْتُ بِهِ النَّفْسُ مِنَ الظَّنِّ بِكَ وَأَنَّ مَكَانَكَ
مِنْهَا لَا يَسْتَدُهُ غَيْرُكَ نَسَخْتُ عَنْكَ وَذَهَلْتُ عَنْ إِقْبَالِكَ وَإِدْبَارِكَ وَلَكَانَ فِي جَفَائِكَ مَا يَرِدُ
مِنْ غَيْرَتِهَا وَيَبْرُدُ مِنْ غُلَّتِهَا ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا تَكَامَلَتِ النِّعْمَةُ لَكَ تَكَامَلَتِ الرَّغْبَةُ فِيكَ » .
- ١٠ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْعَتَبِيِّ قَالَ : قَالَ مَعَاوِيَةُ لِحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذَرِ وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ
فِي أُخْرِيَاتِ النَّاسِ : يَا أَبَا سَاسَانَ كَأَنَّهُ لَا يُحَسِّنُ إِذْنُكَ . فَانْشَأَ يَقُولُ
كُلَّ خَفِيفِ الشَّانِ يَسْعَى مَشْمُرًا * إِذَا فَتَحَ الْبُؤَابَ بِأَبْكَ إِصْبَعًا
وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكُثُونَ رِزَانَةً * وَحَلَمْنَا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ أَجْمَعًا
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي بَشَرِ بْنِ مَرْوَانَ
بَعِيدُ مَرَدِّ الْعَيْنِ مَا رَدَّ طَرَفَهُ * حِذَارَ الْغَوَاشِيِ بَابُ دَارٍ وَلَا سِتْرُ
وَلَوْ شَاءَ بَشَرَكَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ * طَلَّاطِمُ سُودٌ أَوْ صِقَالِبَةٌ حَمْرُ
وَلَكِنْ بَشَرًا يَسَّرَ الْبَابَ لِلَّتِي * يَكُونُ لَهُ فِي غَيْبِهَا الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ
وَقَالَ بَشَرُ
- فَلَا تَبْخُلَا بِخَلِّ أَهْنٍ قَرْعَةً إِنَّهُ * مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ

(١) كَذَا بِالْأَصُولِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا وَلَعَلَّ الْفَاءَ سَقَطَتْ مِنْ قَلَمِ النَّاسِخِ .

(٢) كُلُّ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْسَيْنِ الْمَرْبَعَيْنِ غَيْرُ مُوجُودٍ بِالنَّسْخَةِ الْفَتْوَعَرِافِيَّةِ وَقَدْ قُلْنَا عَنْ النَّسْخَةِ الْأَلْبَانِيَّةِ .

إذا جئت في العُرف اغلق بابه * فلم تلقه إلا وأنت كمين
فقل لأبي يحيى متى تدرك العلا * وفي كل معروف عليك يمين

وقال ابن هرمة يمدح

هش إذا نزل الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام
وإذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدري أيهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل

فكتب إليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعذر تعلل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عكراش

ولماني لأرثي للكريم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبه
وأرثي له من مجلس عند بابه * كثرיתי للطرف والعليج راكمه

وكتب عبد الله بن أبي عيينة إلى صديق له

أتيتك زائراً لقضاء حق * فخال السُّر دونك والحجاب

ولست بساقط في قِدر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذباب

أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال: كتابا بـالفضل بن الربيع وهم يأذنون
لذوى الهيئات والشارات وأعرابي يدنو فكلما دنا طُرح ، فقام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذينا يعتام برزتنا * وليس للحسب الزاكي بمُعْتام

ولو دُعينا على الأحساب قدمنى * مجدُّ تليد وجَد راجح نامى

متى رأيت الصقور الجُدَل يقدّمها * خِلطان من رَخم قُرع ومن هام

دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية : من أنت؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه . مثلك ينكر مثلي من رعيته ! فقال له معاوية : إن معرفتك متفرقة ، أعرف وجهك إذا حضرت في الوجوه ، وأعرف اسمك في الأسماء إذا ذكرت ، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه ، فاذكري اسمك تجتمع معرفتك .

استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر ، ثم أذن للآخر فدخل عليه بجلوس فوق صاحبه . فقال معاوية : إن الله قد ألزمتنا تأديبكم كما ألزمتنا رعايتكم ، وإنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك ، فقم لا أقام الله لك وزنا .

دخل أبو مجلز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان ، فلم يقبل عليه . فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس : هذا أبو مجلز . فردّه واعتذر إليه وقال : إني لم أعرفك . قال : يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتني .

قال أشجع السلمي يذكر باب المنصور بن زياد

على باب ابن مصور : علامات من البذل
جماعات وحسب الباء بفضلا كثرة الأهل

وكانت العرب نتعوذ بالله من قرع الفناء ومن قرع المراح . وقال بعض الشعراء
مالي أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابك نجس الأسواق
أرجوك أم خافوك أم شاموا الحياء * بحرآك فانتجعوا من الآفاق

وقال آخر

يزدحم الناس على بابه * والمشرع العذب كثير الزحام

(١) هكذا في النسخة الألمانية . وفي الفتوغرافية منصور . والصواب محمد بن منصور كما في الكامل للبرد وهو المطابق لقوله « ابن منصور » في البيهقي . (٢) الحرا والحراة الناحية .

وقال آخر * إن الندى حيث ترى الضغاطا *

يعنى الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يلد طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتثر الحب * وتغشى منازل الكرماء

دق رجل على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر: من هذا؟ قال أنا. قال عمر: ما نعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا.

خرج شبيب بن شيبه من دار الخلافة يوما فقال له قائل: كيف رأيت الناس؟ فقال: رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا.

قال أبو العتاهية

إذا أشتد دوني حجابُ أمرئ * كفت المؤونة مُجابه

مُجب أعرابي على باب السلطان فقال

أهين لهم نفسى لأكرمها بهم * ولا يُكرم النفس الذى لا يُهينها

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوك وفودهم * تُنفث شواربهم على الأبواب

وقال آخر

فلما وردت الباب أيقنت أننا * على الله والسلطان غير كرام

وقال أبو القمقام الأسدي^(٢)

أبلغ أبا مالك عنى مغلغلة * وفى العتاب حياة بين أقوام^(٣)

(١) فى النسخة الفنواغرية عمرو بن عبيد.

(٢) كذا بالنسخين الألمانية والفتوحرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر فى البيان والتبيين ونسبه لهمام الرقاشى ونسبه المرتضى فى التاج لمصام بن عبيد الزتاني.

(٣) كذا بالأصل ويوافقه لسان العرب وفى البيان للجاحظ والتاج للرتضى: أبا مسعم

أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ * مِنْ قَبْلُ أَنْ يَلْجُوا الْبُوابَ قَدَامِي
لَوْ عُدَّ بَيْتٌ وَبَيْتٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ * بَيْتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنَازِلِ الدَّامِ
فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ * بِيَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْسَامِ

التلطف في مخاطبة السلطان

وإلقاء النصيحة إليه

العتبي قال قال عمرو بن عُتْبَةَ اللوليد حين شكر له الناس : يا أمير المؤمنين إنك تُطَقِّنِي
بِالْأَنْسِ بَكَ وَأَنَا أَكْفَيْتُ ذَلِكَ بِالْهَيْبَةِ لَكَ . وَأَرَاكَ تَأْمِنُ أَشْيَاءَ أَخَافُهَا عَلَيْكَ ، أَفَاسْكُتُ
مَطِيعًا ؟ أَمْ أَقُولُ مَشْفِقًا ؟ فَقَالَ : كُلُّ مَقْبُولٍ مِنْكَ ، وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ نَحْنُ صَائِرُونَ
إِلَيْهِ . وَنَعُودُ فَتَقُولُ : فَقَتِلْ بَعْدَ أَيَّامٍ .

وفي إلقاء النصيحة إليه : قرأت في كتاب للهند أن رجلاً دخل على بعض
ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبة في الحقير الصغير بله الجليل الخطير
ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جنب
صلاح العاقبة وتلا في الحادث قبل تفأقه لكان خرقاً مني أن أقول ، وإن كنا إذا رجعنا
إلى أن بقاءنا [موصول ^(١)] ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بُدًّا من أداء الحق
إليك وإن أنت لم تستلني [أو خفت ^(١) ألا تقبل مني] ، فانه يقال : من كتم السلطان
نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثه فقد خان نفسه .

الخفوت في طاعته

قال بعض الخلفاء لجريز بن يزيد : إني قد أعددتك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين ،
إن الله قد أعد لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ويدها مبهسوبة بطاعتك وسيفاً مشحوذاً
على عدوك فإذا شئت فقل .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وفي مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لي جعفر بن يحيى أغدُ عليّ غدا لكذا .
فقلت : أنا والصبح كفرنسي رهان . وفي مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال
له : أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من النعل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرداء
وأذل لك من الحذاء .

التلطف في مدحه

٥

قال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته ،
فانك قد زنتها . ومن كانت شرفته فانك قد شرفتها ، فانت كما قال القائل
وإذا الدّر زان حسن وجوه * كان للدّر حسن وجهك زينا
فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا .

- ١٠ وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : « إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه
فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن
رايك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى فيك بعد أن
میل بينك وبين الذين سموا لرتبتك وجروا إلى غايتك فأسقطهم مضمارك وخفوا
في ميزانك ولم يزدك رفعة إلا ازددت لله تواضعا ، ولا بسطا وإيناسا إلا ازددت له
هيبة وإجلالا ، ولا تسليطا وتمكينا إلا ازددت عن الدنيا عز وفا ، ولا تقريبا إلا ازددت
١٥ من العامة قربا . ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته ، ولا إيثار حقه
عن الأخذ لها بحققها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمن ما عليه ، ولا تشغلك
جلائل الأمور عن التفقد لصغارها ، ولا الجذل بصلاحها واستقامتها عن استشعار
الحذر وإمعان النظر في عواقبها » .

- ٢٠ وفي مدحه : دخل العُماني الراجز على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخُف
ساذج ، فقال له الرشيد : يا عُماني ، إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور

(١) وخفان دلقان فبكر إليه من الغد وقد تزيّا بزى الأعراب ثم أنشده وقبل يده وقال :
يا أمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته
ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفاح ثم المنصور ثم المهدي . كل هؤلاء
رأيت وجوههم وقبلت أيديهم وأخذت جوائزهم ، الى كثير من أشباه الخلفاء وبيكار
الأمراء والسادة والرؤساء ، والله ما رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجهها ولا أنعم
كفا ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين . فأعظم له الجائزة على شعره وأضعف له
على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام .

وفي المديح : كتب الفضل بن سهل الى أخيه الحسن بن سهل فقال : « إن الله
قد جعل جنتك عاليا وجعلك في كل خير مقدما وإلى غاية كل فضل سابقا وصيرك ، وإن
نأت بك الدار ، من أمير المؤمنين وكرامته قريبا ، وقد جتد لك من البر كيت وكيت .
وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله » .
وفي مدحه : قال الرشيد يوما لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعر فيك فوق قدرى ، ولكنني أستحسن
قول العتّابي

ما ذا يرى قائلٌ يثنى عليك وقد : ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهير
فُت المدايح إلا أن السُنا * مُستَنطقات بما تخفى الضمائر
[في عثرة لم تقم إلا بطاعتهم * من الكتاب ولم تُقَضّ المشاعر
هذي يمينك في قُرباك صائلة * وصارمٌ من سيوف الهند مأثور]

- (١) كذا بالأصل غير مضبوط والدلقم كما في القاموس دوية كالتسور . وفي العقد المريد « دلقان » .
وفي البيان والتبيين « دمالقان » والدمايق الحجر الأملس .
(٢) زيادة في النسخة الألمانية .
(٣) في الأصل « عبرة » بالباء الموحدة والتصحيح عن الأغاني .
(٤) في الأصل « جدراك مائلة » والتصحيح عن الأغاني .

وفي مدحه : كتب بعض الكتاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على
المُثنى عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه تقيصة
الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها . ومن
سعادة جَدَّك أن الداعي لك لا يعدم كثرة المشايخين ومساعدة النية على ظاهر القول » .

وفي مثله كتب بعض الأدباء الى الوزير : « مما يُعين على شكرك كثرة المنصتين له ،
ومما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين له » .

وفي مثل ذلك : لما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمر
ابن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإن يزيد
ابن معاوية أمل تأملونه وأجل تأمنونه ، إن استضيفتم إلى حِلْمِهِ وَسِعِكم ، وإن احتجتم
الى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم الى ذات يده أغناكم ، جَدَّعُ قَارِحُ سُوَيْقُ فسبق
ومُوجِدُ فَمَجِدُ وقُورِعُ فخرج فهو حَلَفُ أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية :
أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

وفي مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير ، أمسكتني عن وصفك
تساوي أفعالك في السوود وحيرني فيها كثرة عددها فليس الى ذكر جميعها سبيل ،
وإن أردت ذكر واحدة اعترضت أخثها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فلست
أصفها إلا باظهار العجز عن صفتها » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمعني في بقاء النعمة
عليك ، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك
من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم ، والشئ
يتغلغل في معدنه ويحترق إلى عنصره ، فإذا صادف منيته ولز في مفرسه ضرب بعرقه
وسمق بفرعه وتمكن تمكن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر الى بعض الوزراء : « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالخبر
عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذى لا يخفى على ناظر، وأيقنت أنى حيث
اتهى بى القول منسوبٌ الى العجز مقصراً عن الغاية فانصرفتُ عن الثناء عليك الى
الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك الى علم الناس بك » .

٥ وفي مثله كتب العتّابى الى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلفك وبقية
أعلام أهل بيتك، المسدود بك ثلهم والمجدد بك قديم شرفهم والمنبه بك أيام صيتهم
والمنبسط بك [آمألنا والصائر بك أكألنا والمأخوذ بك ^(١)] حظوظنا، فانه لم ينجل من
كنت وارثه، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا آحمت معاهد من خلفته
فى مرتبته » .

١٠ وفى شكره : قرأت فى التاج قال بعض الكتاب للـك : « الحمد لله الذى أعلفنى سببا
من أسباب الملك ورفع خسيستى بمخاطبته وعزز ركنى من اللّلة به وأظهر بسطى
فى العائمة وزين مقاومى فى المشاهدة وفقاً عنى عيون الحسدة وذلل لى رقاب الجبابرة
وأعظم لى رغبات الرعية وجعل لى به عفا يوطأ وخطرا يُعظم ومزية تحسن، والذى
حقق فى رجاء من كان يأملنى وظاهر به قوة من كان ينصرنى وبسط به رغبة من
كان يستوفدنى، والذى أدخلنى من ظلال الملك فى جناح سترنى، وجعلنى من أكافه
فى كنف آتسع على » .

وفى شكره وتعداد نعمه : قرأت فى سير العجم أن أردشير لما استوسق له أمره
جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفة والطاعة وحذرهم المعصية
وصنف الناس أربعة أصناف، فخر القوم سُجّدا وتكلم متكلمهم مجيبا فقال : « لا زلت

- أيها الملك محبوباً من الله بعزة النصر ودرك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت
نتابع لديك النعم وتُسبِّح عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زواها
ولا تنقطع زهرتها في دار القرار التي أعنتها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده والحظوة
لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور
والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوك عليها ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق
علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الشمس ووصل إلينا من عظيم رأفتك
ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ، بجمعت الأيدي بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها
وألفت بين القلوب بعد تباغضها وأذهبت الإحن والحسائلك بعد استعمار نيرانها ،
وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يحصى بتعداد ، ثم لم ترض بما عمتنا به من هذه
النعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحببت توطيدها والاستيثاق منها وعملت لنا
في دوامها كعملك في إقامتها وكفّلت من ذلك ما نرجو نفعه في الخلوفا والأعقاب ،
وبلغت همتك لنا فيه حيث لا تبلغ همم الآباء للأولاد ، بخراك الله الذي رضاه تحزيت
وفي موافقته سعيت أفضل ما التمسست ونويت .

- وفي مثله : قال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه : « قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من
نظرك ومجلسك وصلاتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد » .
وفي شكره : كتب بعض الكتاب الى الوزير يشكره : « من شكر لك عن درجة
رفعتك إليها أو ثروة أفدته إياها فان شكرى إياك على مهجة أحييتها وحشاشة تبقيتها
ورمقي أمسكت به وقت بين التلف وبينه » .

- وفي شكره : قرأت في كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي إليه ومدى
توقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطرف خلا هذه النعمة التي فأت الوصف
وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَّا جَمَّةٌ أَبَقَتْ لِلْمَاضِينَ مِنَّا وَلِلْبَاقِينَ نَحَرَ الْأَبَدِ وَرَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمَتْ عَنَّا
 أَنْفَ الْحَسُودِ وَبَسَطَتْ لَنَا عِزًّا تَتَدَاوَلُهُ ثُمَّ نَخْلُفُهُ لِلْأَعْقَابِ فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَتَفِ كَرِيمٍ وَقَلْبِ عَطُوفٍ وَنَظَرِ رُءُوفٍ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ
 الشَّاكِرُ مِنَّا وَأَيْنَ يَبْلُغُ اجْتِهَادُ مُجْتَهِدِنَا وَمَتَى تَوَدَّى مَا يُلْزِمُنَا وَتَقْضَى الْمَفْتَرَضُ عَلَيْنَا وَهَذَا
 كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا بَائِهِ الرَّاشِدِينَ عِنْدَ مَنْ مَضَى مِنَّا وَمَنْ غَيَّرْنَا
 إِلَّا مَا وَرَدَ مِنْ صَنُوفِ كِرَامَتِهِ وَأَيَادِيهِ وَلَطِيفِ أَلْفَاظِهِ وَمَخَاطَبَتِهِ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ
 مَا يَحْسُنُ الشُّكْرَ وَيُسْتَفْرِغُ الْمَجْهُودَ .

التلطف في مسألة العفو

قال كسرى ليوشن المغني^(٤) وقد قتل فهلوز حين فاقه وكان تلميذه : « كُنْتُ
 أُسْتَرِيحُ مِنْهُ إِلَيْكَ وَمِنْكَ إِلَيْهِ فَأَذْهَبَ شَطْرَ تَمَتُّى حَسْدُكَ وَنَغَلَّ صَدْرُكَ » ثم أمر
 أَنْ يُلْقَى تَحْتَ أَرْجْلِ الْفِيلَةِ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِذَا قَتَلْتُ أَنَا شَطْرَ طَرِيكَ وَأَبْطَلْتُهُ
 وَقَتَلْتَ أَنْتَ شَطْرَهُ الْآخَرَ وَأَبْطَلْتَهُ، أَلَيْسَ تَكُونُ جَنَائِيكَ عَلَى طَرِيكَ بِكُنَائِي عَلَيْهِ ؟
 قَالَ كَسْرَى : دَعُوهُ، مَا دَلَّهُ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مَا جُعِلَ لَهُ مِنْ طَوْلِ الْمُدَّةِ .
 وَفِي الْعَفْوِ أَيْضًا . قَالَ رَجُلٌ لِلنَّصُورِ : « الْإِنْتِقَامُ عَدْلٌ وَالتَّجَاوُزُ فَضْلٌ وَنَحْنُ نَعْبُدُ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَوَكْسِ النَّصِيِّينَ دُونَ أَنْ يَبْلُغَ أَرْفَعِ الدَّرَجَتَيْنِ » .
 وَفِي الْعَفْوِ : جَلَسَ الْحِجَاجُ يَقْتُلُ أَصْحَابَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ :
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي لِي عَلَيْكَ حَقًّا . قَالَ : وَمَا حَقُّكَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : سَبَّكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَوْمًا
 فَرَدَدْتُ عَنْكَ . قَالَ : وَمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنُشَدَ اللَّهُ رَجُلًا سَمِعَ ذَلِكَ
 إِلَّا شَهِدَ بِهِ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَسْرَى فَقَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : خَلَوْا

(*) في الأغاني ج ٥ ص ٥٨ : الفهليد .

بعنه . ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكروا ؟ قال : لتقديم بغضى إياك . قال : ويخلى هذا لصدقه .

وفي العفو: أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه ، فلما أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذي أمكن منك . قال : لا تقل ذلك فانها مصيبة . قال : وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرتني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي . اضربا عنقه . فقال : آلهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك ترضى قتلي ، ولكن قتلتني في الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو أهله ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال : قاتلك الله ! لقد سببت فأوجعت في السب ودعوت فأبلغت في الدعاء . خليا سبيله .

وفي مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال .
 ١٠ يدى يا أمير المؤمنين أعيدوها * بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
 فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة * إذا ما شمالي فارقتها يمينها .

فأبى إلا قطعه ، فدخلت عليه أتمه فقالت : يا أمير المؤمنين ، واحدى وكاسبي .
 فقال : بئس الكاسب ! هذا حد من حدود الله . فقالت : اجعله من الذنوب
 ١٥ التي تستغفر الله منها . فعفا عنه .

وفي مثله : أخذ عبد الله بن علي أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما رُفع السيف ليضرب به شرط الشأى فوق العمود بين يدي الغلام ونفرت دابة عبد الله فضحك وقال : اذهب فأنت عتيق آستك . فالتفت إليه وقال : أصلح الله الأمير ! رأيت ضربة قط أنجحت من الموت غير هذه ؟ قال : لا ، [قال] هذا والله الإدبار . قال :
 وكيف ذلك ؟ قال : ما ظنك بنا وكنا ندفع الموت بأستتنا فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا .
 ٢٠

وفي مثله : نخرج النعمان بن المنذر في غيب سماء فتر برجل من بني يثغر جالس على غدير ماء، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال اليشكري : أليس ابن سألني ؟ قال : نعم . قال : والله لربما أمررت يدي على فرجها . قال له : ويحك، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيت اللعن ، إنك والله ما رأيت شيئا أكذب ولا الأم ولا أوضع ولا أعص بيطر أمه من شيخ بين يديك . فقال النعمان : دعوه ، فأنشأ يقول :

تعفو الملوك عن العظمى* من الذنوب لفضلها

ولقد تُعاقب في اليسير* وليس ذاك لجهلها

إلا ليُعرف فضلها* ويُخاف شدة نصيحها

١٠

وفي مثله : لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي استشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أنت يكونا قد نصحا لك في عظم الخلافه وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا، ولكك تأبي أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . وكان في اعتذاره اليه أن قال : إنه وإن بلغ جرمي استحلال دمي فإني أعلم أمير المؤمنين وفضله يُبلغاني عفوه ولي بعدهما شفعة الإقرار بالذنب وحق الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن في حق سببك حق^(*) الصفح عن جرمك لبلغك ما أملت حسنُ تنصُّلك ولطف توصُّلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عني المأمون صلة لرحمي ولا محبة لاستحيائي ولا قضاء لحق عمومتي ، ولكن قامت له سوق في العفو فكره أن يفسدها بي . ومن أحسن ما قيل في مثله قول العتابي

٢٠

رحل الرجاء إليك مُغترباً* حُشدت عليه نوائب الدهر

(*) هكذا بالفتوغرافية وفي العقد الفريد "نسبك" .

رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمَلٌ * وَثَنِي إِلَيْكَ عِنَانَهُ شُكْرِي
وَجَعَلْتُ عَتَبَكَ عَتَبَ مَوْعِظَةٍ * وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عَذْرِي

وقول علي بن الجهم للتوكل

عفا الله عنك ألا حرمةً * ^(١) تعوذ بعفوك أن أبعدا
لئن جلّ ذنب ولم أعتدّه * لآتت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طوره * وموّلّي عفا ورشيدا هدى
ومفسد أمر تلافيته * فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلني أقالك من لم يزل * ^(٢) يقيك ويصرف عنك الردى

وفي مثله . ووجد بعض الامراء على رجل بخفاء وأطرحه حيناً ثم دعا به ليسئله

عن شيء فرآه ناحلاً شاحباً . فقال له : متى اعتلأت ؟ فقال
ما مسّني سُقْمٌ وَلِحْكَنِي * جفوت نفسي إذ جفاني الأمير ^(٣)
فعاد له .

وقال آخر

ألا إن خير العفو عفو معجل * وشر العقاب ما يُجَازُ به القدرُ

وكان يقال : بحسب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب .

وفي العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيت وإن عفوت أحسنت والعفو

أقرب للتقوى .

(١) في الأصلين الفتوح في والألماني «تجود» والتصويب عن الأغاني .

(٢) في نسخة : العدا .

(٣) كذا بالفتوحرافية والألمانية على أنه شعر والكلام في ذاته مستقيم الوزن ، وأورده صاحب العقد
نثراً وبعده «وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى إلا نظرت فى أمرى نظراً من برئى أحب إليه من سقعى وبراءتى أحب إليه من جرمى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة .
وفى مثله : أتى الأحنف ابن قيس مصعب بن الزبير فكلّمه فى قوم حبسهم ، فقال ، أصلىح الله الأمير : إن كانوا حبسوا فى باطل فالحق يخرجهم ، وإن كانوا حبسوا فى حق فالعفو يسعهم ، فغلاهم .

وفى مثله : أمر معاوية بعقوبة رّوح بن زبّاع فقال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيصة أنت رفعتها أو تتقض منى مرة أنت أبرمتها أو تُشمت بى عدوا أنت وقته ^(١) وإلا أتى حلمك وعفوك على جهلى وإساءتى . فقال معاوية : خلّيا عنه . ثم أنشد

* إذا الله سنّى عقد أمر تيسرا *

وفى مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به ليفعلن . فقال له رجاء بن حيوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفى مثله : قال ابن القريّة للحجاج فى كلام له : أقلني عثرتى وأسغني ريقى فانه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة . فقال الحجاج : كلا ، والله حتى أوردك جهنم . ألسن القائل برستقباد : تغدوا الجدى قبل أن يتعشاكم .
وفى مثله : أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله ، فاعف له فانك به تُعان وإليه تعود . نفلى سبيله .

(١) تهرته وأذله .

(٢) كذا بالأصل وفى الأمالى وأسألك بالله إلا أتى حلمك الخ .

وفي مثله . قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه ^(١) [بما عذبه به] : إن القدرة
تذهب الحفيظة وقد جَلَّ قدرُك عن العتاب ونحن مقرون بالذنب ، فإن تعف فاهل
العفو وإن تعاقب فيما كان منا . فقال ^(١) [أولى لك] أما حتى تأتي الشام راجلاً فلا عفو .
وفي مثله : ضرب الجحاج أعناق أسارى أتى بهم ، فقال رجل منهم : والله لئن كنا
أسانا في الذنب فما أحسنت في المكافاة . فقال الجحاج : أف لهذه الحيف ! أما كان
فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكف عن القتل .

وفي مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه .
فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة
ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول أي رب سبل مصعباً فيم
قتلني . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض . قال أعطوه
مائة ألف . قال : بأبي أنت وأمي ، أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين
ألفا . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء
يتقى الله في الأمور وقد أفلح من كان همّة الاتقاء

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك موضعاً للصنيعة ، وأمره بلزومه وأحسن
إليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفي مثله : قال عبد الملك بن الجحاج التغلبي لعبد الملك بن مروان : هربتُ اليك
من العراق . قال : كذبت ، ليس إلينا هربت ، ولكك هربت من دم الحسين
وخيّفت على دمك فليجأت إلينا . ثم جاء يوماً آخر فقال

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) في النسخة الألمانية « عبد الله » .

أَدْنُو لَتَرْحَمْنِي وَتَرْثُقَ خَلَّتِي * وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعِ

ونحوه قول الآخر

كُنْتُ مِنْ كَرْبَتِي أَفْزَالِيهِمْ * فَهَمُّ كَرْبَتِي فَأَيْنَ الْفَرَارِ

وفي مثله : قَنَّعَ الْجَحَاجُ رَجُلًا فِي مَجْلِسِهِ ثَلَاثِينَ سَوْطًا وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ

وَلَيْسَ بِتَغْزِيرِ الْأَمِيرِ نَحْرَايَةً * عَلَى إِذَا مَا كُنْتُ غَيْرَ مُرْئِبٍ

ونحوه

وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ * لَكَالْدَهْرِ، لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

وفي مثله : مَرَّ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِرَجُلٍ يُقَادُ مِنْهُ . فَقَالَ لِلْوَلِيِّ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنَّكَ

لَا تَدْرِي لَعَلَّ هَذَا قَتَلَ وَلِيَّكَ وَهُوَ لَا يَرِيدُ قَتْلَهُ ، وَأَنْتَ تَقْتُلُهُ مَتَعَمِدًا ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ .

قال : قد تركته لله . ١٠

وفي مثله . حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَيْسَى بْنِ عَمْرٍو قَالَ : رُمِيَ الْجَحَاجُ

فَقَالَ : انْظُرُوا مِنْ هَذَا ؟ فَأَوْمَأَ رَجُلٌ بِيَدِهِ لِيَرْمِي . فَأُخِذَ فَأُدْخِلَ عَلَيْهِ وَقَدْ ذَهَبَتْ

رُوحُهُ . قَالَ عَيْسَى بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ يَحْكِي الْجَحَاجَ : أَنْتَ الرَّامِيْنَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ ؟ قَالَ :

نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : الْعِيُّ وَاللَّؤْمُ . قَالَ : خَلُّوا

عَنْهُ . وَكَانَ إِذَا صُلِقَ انْكَسَرَ ١٥

وفي مثله : حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عُمَانَ الشَّحَامِ قَالَ : أَتَى الْجَحَاجُ

بِالشَّعْبِيِّ فَقَالَ لَهُ : أَنْحَرِجْتَ عَلَيْنَا يَا شَعْبِيُّ ؟ قَالَ : أَجْدَبُ بَنَى الْجَنَابُ وَأَحْزَنُ بَنَى الْمَنْزَلُ

وَاسْتَحَلَسْنَا الْخُوفَ وَاسْتَحَلَلْنَا السُّهْرَ وَأَصَابَتْنَا نَحْرِيَّةٌ لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَتَقِيَاءَ وَلَا بَقَرَةً

أَقْوِيَاءَ . فَقَالَ الْجَحَاجُ : اللَّهُ أَبُوكَ . ثُمَّ أَرْسَلَهُ .

٢٠ (١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَلَعَلَهُ النِّي .

وفي مثله: أتى موسى بن المهدي برجل كان قد حبسه بفعل يُقرّعه بذنوبه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذاري مما تقرّعني به ردّ عليك وإقرارى بما تعتدّه علىّ يلزمني ذنبا لم أجنيه، ولكنني أقول

فان كنت تريحو بالعقوبة راحة * فلا ترهّدن عند المعافاة في الأجر

وفي مثله: قال الحسن بن سهل لنعيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظمه:
 ٥ على رسلك أيها الرجل، تقدّمت لك طاعة وتأنّرت لك توبة، وليس لذنوب بينهما مكان، وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو.

وفي الدعاء له: قال رجل لبعض الأمراء: «إني لو كنت أعرف كلاما يجوز أن ألقى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظم من أمره، غير أني أسأل الله الذي لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من
 ١٠ نيات القلوب أن يجعل ما يطلع عليه مما تبلغه نيتي في إرادته للأمر أدنى ما يؤتیه إياه من عطاياه ومواهبه».

وفي الدعاء له: قرأت في كتاب رجل من الكتاب «لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلغه وأمل فيك لم تحقّقه حتى نتمل من الأعمار أطولها وترقى من الدرجات
 ١٥ أفضلها».

وفي الدعاء: دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعه فقال: السلام عليك أمير المؤمنين. محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وآبن دولتك وغصن من أغصان دوحتك، أأذن له في الكلام؟ قال: نعم. فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه. فقال «نستمع الله لحياة ديننا ودينانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك
 ٢٠ يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويقيك

(١) في النسخة الفتوغرافية «لا جتبت» وهو تحريف.

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائد بظلك الهارب الى كنفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك » ثم تكلم في حاجته .

وفي شكر السلطان وفي حمده : قدم رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته فقال له : ما أقدمك عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت اليها وفاضت في رجالنا وتناولها الأقصى والأدنى منا ، وأما الرهبة فقد أمتنا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسين سيرتك فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وفي حمده : كتب بعض الكتاب الى وزير : « كلّ مدّي يبلغه القائل بفضلك والواصف لأيامك والشارك للنعمة الشاملة بك قصد أمم عند الفضائل الموفرة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجب على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها ، فقد جمع الله بك الشّات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدي الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأمنت سرب البرى وخففت جأشه وأخفت سبل الجانى وأخذت عليه مذاهبه ومطالعه ووقفت بالخاصة والعامة على قصد من السيرة أمتوا بها من العثار والكبوة » .

وفي حمده على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شيبه للمهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .



تم كتاب السلطان، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَمْنُوا لقاء العدو فمسي أن تُبْتَلُوا بهم ولكن قولوا اللهم آكفنا وكف عنا بأسهم ، وإذا جاءكم يَعرِفون ويَرَحِفون ويصيحون فعليكم الأرض جلوسا ، ثم قولوا : اللهم أنت ربنا وربهم ، ونواصينا ونواصيهم بيدك ، فإذا غَشَوْكم فتوروا في وجوههم » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عن حدثه أن أبا الدرداء قال : أيها الناس ، عملٌ صالح قبل الغزو فأنما تقاتلون بأعمالكم .

حدثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله وأمضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تُجْبِنُوا عند اللقاء ولا تَمْتَلُوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هَرِمًا ولا امرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند

(١) في الألمانية "الحكم" .

(١) حُمة النهضات وفي شق الغارات . ولا تَغْلُوا عند الغنائم ونزوها الجهاد عن عرض الدنيا وأبشروا بالربّاح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

استشار قوم أكرم بن صيفي في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال :
أقلّوا الخلاف على أمراءكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز
لا محالة . تثبتوا فإن أكرم الفريقين الركين ، ورُبّت عجلة تُعقب ريثا ، وآتروا للحرب
وادرعوا الليل فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف عليه .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا
تَسَارِعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

١٠ حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي
قال ، قال عُتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم — يعني أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم — جُثيًا على الركب كأنهم نُحُرس يتلمظون تلمظ الحيات . قال :
وسمعتهم عائشة ^(٢) يُكبرون يوم الجمل فقالت : لا تكثرُوا الصياح فإن كثرة التكبير
عند اللقاء من الفشل .

١٥ وذكر أبو حاتم عن العُتبي عن أبي إبراهيم قال : أوصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن
أبي سفيان حين وجهه إلى الشام فقال : يا يزيد سر على بركة الله . فاذا دخلت
بلاد العدو فكن بعيدا من الحملة فاني لا آمن عليك الجولة . وأستظهر بالزاد وسر
بالأدلاء ولا تقا تل بجروح فأن بعضه ليس منه ، وأحترس من البيات فأن في العرب

(١) أي شدتها ومعظمها . (٢) في الفتوغرافية «القتال» .

غِرة، وأقلل من الكلام فانما لك ما وعى عنك، وإذا أتاك كتابي فأنفذه فانما أعمل على حسب إنفاذه. وإذا قِدمت عليك وفود العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وأمنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين. ولا تلحّن في عقوبة ^(١) [فإن أدناها وجع] ولا تسرعن اليها وأنت تكتفى بغيرها. وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سرائرهم. ولا تجسس عسكرك فتفضحه ولا تهمله فتفسده. وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه.

^(١) [قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه إلى عُثْمَانَ : يا عكرمة سر على بركة الله ولا تنزل على مستأمن ولا تؤمن على حق مسلم وأهدر الكفر بعضه ببعض. وقدم النذر بين يديك. ومهما قلت إنى فاعل فافعله ولا تجعل قولك لغوا في عقوبة ولا عفو. ولا ترج إذا أمنت ولا تخاف إذا خوت وكن أنظر متى تقول وما تقول. ولا تعدّ معصية بأكثر من عقوبتنا فإن فعلت أثمت وإن تركت كذبت. ولا تؤمن شريفا دون أن يكفل بأهله ولا تكفل ضعيفا أكثر من نفسه. وأتق الله فإذا لقيت فاصبر.]

^(٢) وأوصى عبد الملك بن صالح أمير سريّة إلى بلاد الروم فقال: أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحا تجر، وإلا احتفظ برأس المال. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة. وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك.

وحدثني محمد بن عبيد عن ابن عيينة قال: أخبرني رجل من أهل المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمر بن العاص: «إذا بعثك في سرية فلا تنتقمهم واقتطعهم فإن الله ينصر القوم بأضعفهم».

(١) زيادة في النسخة الألمانية.

(٢) كذا بالنسخين الفتوغرافية والألمانية وفي العقد الفريد «مروان».

حدثني محمد بن عبيد^(١) [عن ابن عيينة] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال :
غزانا نبي من الأنبياء أو غير نبي فقال : « لا يغزوت معي رجل بنى بناء لم يكمله ،
ولا رجل تزوج امرأة لم يبين بها ، ولا رجل زرع زرعاً ثم لم يحصده » .

[وذكر ابن عباس علياً فقال : ما رأيت رئيساً يوزن به . لראيته يوم صفين وكأن
عيينه سراجاً ساطعاً وهو يمتس أصحابه إلى أن انتهى إلى وأنا في كثيف^(٢) فقال : معشر
المسلمين ، استشيروا الخشية وعنوا الأصوات وتجلّبوا السكينة وأكلوا اللؤم^(٣) وأخفوا^(٤)
الخنون وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل السلة^(٥) وألحظوا الشرر وأطعنوا النبر^(٦) وناخوا^(٧)
بالظبا ووصلوا السيوف بالخطأ والرمح بالنبل وآمشوا إلى الموت مشياً سجعاً . وعليكم
بهذا السواد الأعظم والرواق المطنّب فأضربوا ثجبه فان الشيطان راكد في كسره ناخج
خُصيه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وأحرللكوص رجلاً] .

ولما ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد خراسان قال له : إن أباك كفى أخاه
عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك .
وإياك مني قبل أن أقول إياي منك ، فان الظن إذا أخلف فيك أخلف منك .
وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا تريح نفسك ، وكن
لنفسك تكن لك ، واذكر في يومك أحاديث غلك ترشد إن شاء الله .

قال الأصمعي قالت أم جبنويه ملك طخارستان لنصر بن سيار الليثي : ينبغي
للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفشي إليه سره ، وحصن يلجأ إليه
إذا فزع فينجيه — يعني فرساً — وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف خونه ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « كنف » وهو تعريف والكشف الحشد والجماعة .
(٣) من العناية أي الحبس والأمر أي أحبسوا أصواتكم ولا ترفعوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجده في نهج
البلاغة ولعله « أخفوا الخوذ » جمع خوذة أي اجعلوها خفيفة حتى لا تثقلكم في الحرب . (٥) يقال طعن
نبر : مختلس كأنه ينبر الريح عنه أي يرفعه بسرعة . وفي نهج البلاغة : والحظوا الخرز وأطعنوا الشرر .

وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له بما يشتهيه .

وبلغني عن عباد بن كثير عن عقیل ^(١) [بن خالد] ^(٢) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غلب قوم قط يبلغون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» . ^(٣) [وقال رجل يوم حنين: لن تغلب اليوم عن قلة . وكانوا اثني عشر ألفا فهزم المسلمون يومئذ وأنزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَدْ جَاءَ الْفِيلُ) . وقالوا كان يقال: ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ بَعِيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى (وَلَا يَحِيْقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والنكث، قال عز وجل (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وقرأت في كتاب للهند: لا ظفر مع بغي، ولا صحبة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بر مع شح، ولا اجتناب محرم مع حرص، ولا محبة مع زهو، ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سودد مع انتقام، ولا رياسة مع غرارة ومُحِب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزراء .

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فاهمه ذلك فقليل له: ما يهملك منهم؟ وجهه اليهم وكيع بن أبي سود فانه يكفيكمهم . فقال: لا، إن وكيعا رجل به كبر يحقر أعداءه، ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غيرة .

(١) زيادة في السخة الألمانية . (٢) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي النسخة الألمانية: الزهري والصواب الأول فان المعروف في كتب طبقات المحققين أن عقيل بن خالد يروي عن الزهري والزهري يروي عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) في الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

- وقرأت في بعض كتب العجم أن ملكا من ملوكهم سئل : أيّ مكاييد الحرب أحرم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء الغلبة وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتباس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغش ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسد ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم في القتال فقال : مخاتلة العدو عن الرّيف وإعداد العيون على الرّصد وإعطاء المبلّغين على الصدق ومعاينة المتوصلين بالكذب والألّحجج هاربا الى قتال ولا تُضيق أمانا على مستأمن ولا تُسبّ عن أصحابك للبغية ولا تُشدّ هتك الغنيمة عن المحاذرة .

وقرأت في كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال . يحذر المواثبة إن قُرب ، والغارة إن بُعد ، والكيّن إن انكشف ، والاستطراد إن ولى ، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ما وجد بُدّا لأن النفقة فيه من الأنفس والنفقة في غيره من المال .

وقرأت في الآيين : قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر في الميسرة ليكون لقاءه يسرا ورميه شزرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدما وترك ذلك على حال مُمايلة أو مُجانبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشرفا ويلتمس وضعه فيه فإن أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان فإن زالت المادّتان لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة ، [وإذا عى الجند فليُناوش أهل الميمنة والمادّتان فاما الميسرة] فلا يُشدّت منهم أحد إلا أن يبادر اليهم من العدو من يخاف باثقتة فيردّون عاديتهم مع أن أصحاب الميمنة والمادّتين لا يقدرّون على لقاء من يناوشهم والرجوع الى أصحابهم عاطفين ، وأصحاب الميسرة لا يقدرّون على مناوشة

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا "المادّيان" ولم نوفق الى تصويبها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

- الا مائلين ويعجزهم الرجوع عاطفين . ولا يألون صاحب الجيش على حال من الحال أن يستدبر جنده عين الشمس والريح ، ولا يحاربن جندا الا على أشد الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بد ، فاذا كان كذلك فليجهد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب الى آخر النهار . وينبغي على كل حال أن يخلى بين المنهزمين وبين الذهاب ولا يحبسوا . وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يحال بينهم وبينه لئلا يخرجوا الى الجدة في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فان وقت طلب ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فان أسلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . ولتسير الطلائع في قرار من الأرض ويقفوا على التللاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها . وليكن الكمين في الخمر والأماكن الخفية . وليطرح الحسك في المواضع التي يتخوف فيها البيات . وليجتري صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فان في انتشاره فساد العسكر وانتقاضه . وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجريين ذوى حنكة وبأس فيدار العدو الجند الى الوقعة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بد فيدار الجند الى مقاتلة العدو أفضل للجند . وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوا إلا أن تكون عدتهم أربعة أضعاف عدة العدو أو ثلاثة أضعافهم ، فان غزاهم عدوهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدة العدو مثل نصف عدتهم . وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم ، وينبغي أن ينتخب للكين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سعال ولا عطاس ويختار لهم من الدواب مالا يسهل ولا يغث^(١) ، ويختار لكونهم مواضع لا تغشى ولا تؤتى ، قرية من

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة المتوغرافية "يعنت" . ولعل الصواب ينهت كيعرب والنهات

النفس بانين وهو الزحير .

- الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا . وأن يكون إيقاعهم كضريم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من الممكن متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة الرمايا، وإذا أونس من طلائعهم تواف وتفر يط واذا أمر جوا دوابهم في الرعى، وأشد ما يكون البرد في الشتاء وأشد ما يكون الحر في الصيف . وأن يرفضوا ويفترقوا إذا ثاروا من مكثهم بعد أن يستخير بعضهم بعضا وأن يسرعوا الإيقاع بعدوهم ويتركوا التلبث والتلفت . وينبغي للبيتين أن يفترصوا البيات إذا هبت ريح أو أونس من نهر قريب منهم تحريره فانه أجدر ألا يُسمع لهم حس . وأن يتوحي بالوقعة نصف الليل أو أشد ما يكون إظلاما . وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وبقيتهم حوله ، ويبدأ بالوقعة من يصير منهم في الوسط ليُسمع بالضجة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله ، وأن يُسرّد قبل الوقعة الأفره فالأفره من دوابهم ويقطع أرسائها وتهمز بالراح في أعجازها حتى تتحير وتغير ويُسمع لها ضوضاء ، وأن يهتف هاتف ويقول : يا معشر أهل العسكر النجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق . ويقول قائل : أيها الرجل استجيني لله . ويقول آخر : العفو العفو . وآخر : أوه أوه ، ونحو هذا من الكلام . وليعلم أنه إنما يُحتاج في البيات إلى تحيير العدو وإخافته وليجتنبوا التقاط الأمتعة وأستياق الدواب وأخذ الغنائم . قال : وينبغي في محاصرة الحصون أن يُستمال من يُقدر على استمالته من أهل الحصن والمدينة ليظفر منهم بمحصلتين : إحداهما استنباط أسرارهم ، والأخرى إخافتهم وإفزازهم بهم ، وأن يدسّ منهم من يصغر شأنهم ويؤيسهم من المدد ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكيدتهم ، وأن يُفاض حول الحصن ويشار إليه بالأيدى كأن فيه مواضع حصينة وأخر ذليلة ومواقع يُنصب المجانيق

(١) في النسخة الفوتوغرافية بعد هذا زيادة : وأشد

فأوه بذكرها إذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض دورها رسما

عليها ومواضع تُهَيِّئُ العَرَّادَاتُ لها ومواضع تُتَّقَبُ نَقَباً ومواضع توضع السَّلامُ عليها ومواضع يُتَسَوَّرُ منها ومواضع يُضْرَمُ النارُ فيها لِيَمْلَأَهم ذلكُ رعباً، وَيَكْتُبُ عَلَى نُشَابَةِ: إِيَّاكُمْ أَهْلَ الْحَصَنِ وَالْأَغْتَارِ وَإِغْفَالِ الْحِرَاسَةِ، عَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْأَبْوَابِ فَإِنَّ الزَّمَانَ خَبِيثٌ وَأَهْلَهُ أَهْلٌ غَدَرٌ فَقَدْ خُدِعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحَصَنِ وَاسْتُمِيلُوا، وَيُرْمَى بِتِلْكَ النُّشَابَةِ فِي الْحَصَنِ ثُمَّ يُدْسُ لِمَخَاطِبَتِهِمُ الْمِنْطِيقُ الْمُصِيبُ الدَّهْيَ الْمَوَارِبِ الْخَائِلِ غَيْرِ الْمُهْذَارِ وَلَا الْمَغْفَلِ. وَتَوَثَّرَ الْحَرْبُ مَا أَمَكْنَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِي الْحَارِبَةِ جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَى مَنْ حَارِبَهُمْ وَدَلِيلًا عَلَى الْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْحَارِبَةِ فَلْيَحَارِبُوا بِأَخْفِ الْعُدَّةِ وَأَيْسَرِ الْأَلَةِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ الْعَدُوُّ عَلَى الْأَرْضِ ذَاتِ الْخَمَرِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ لِلْعَسْكَرِ وَمَصَافِّ الْجُودِ وَيُخَلِّي بَيْنَ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ بَسَاطَةِ الْأَرْضِ وَدَكَاذِكِهَا.

١٠ وَفِي بَعْضِ كُتُبِ الْعِجَمِ أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ سَأَلَ عَنْ أَشَدِّ الْأُمُورِ تَدْرِيبًا لِلْجُنُودِ وَشَحْنًا لَهَا، فَقَالَ: اسْتِعَادَةُ الْقِتَالِ وَكَثْرَةُ الظَّفَرِ، وَأَنْ تَكُونَ لَهَا مَوَادٌّ مِنْ وَرَائِهَا وَغَنِيمَةٌ فِيهَا أَمَامَهَا بِأَنْ يَكْرَامَ لِلْجَيْشِ بَعْدَ الظَّفَرِ وَالْإِبْلَاحُ بِالْمُجْتَهِدِينَ بَعْدَ الْمُنَاصِبَةِ، وَالتَّشْرِيفُ لِلشَّجَاعِ عَلَى رِءُوسِ النَّاسِ.

١٥ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ ^(١) [قَالَ نَصْرَبْنِ سِيَّارَ]: كَانَ عِظَاءُ التَّرْكِ يَقُولُونَ: الْقَائِدُ الْعَظِيمُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْحَيَوَانِ: شَجَاعَةُ الدِّيكِ، وَتَحَنُّنُ الدَّجَاجَةِ، وَقَلْبُ الْأَسَدِ، وَحَمَلَةُ الْخَزِيرِ، [وَرَوْغَانُ الثَّعْلَبِ، وَخَتْلُ الذِّئْبِ. وَكَانَ يُقَالُ فِي صِفَةِ الرَّجُلِ الْجَامِعِ: لَهُ وَثْبَةُ الْأَسَدِ، وَرَوْغَانُ الثَّعْلَبِ، وَخَتْلُ الذِّئْبِ ^(١)] وَجَمْعُ الذَّرَّةِ، وَبُكُورُ الْغُرَابِ.

وَكَانَ يُقَالُ: أَصْلَحَ الرِّجَالُ لِلْحَرْبِ الْمَجْرَّبُ الشَّجَاعُ النَّاصِحُ.

(١) زيادة في النسخة الألمانية.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصم قال ، قيل لعمر بن معاوية العُقيلي
 وكان صاحب صَوَائِف : بم ضبطت الصوائف ؟ أي الثغور قال : بِسَمَانَةِ الظَّهَرِ وكثرة
 الكمك والقديد . وفي كتاب الآيين : ليكن أول ما تحمله معك خبزاً ثم خبزاً ثم خبزاً .
 وإياك والمفارش والثياب . أبو اليقظان قال قال شبيب الخارجي : الليل يكفيك
 الجبان ونصف الشجاع . وكان إذا أمسى قال لأصحابه : أتاكم المَدَدُ ، يعني الليل .
 وقيل لبعض الملوك : بَيَّتْ عَدُوُّكَ . قال : أكره أن أجعل غَلْبَتِي سرقة .

المدائني قال : لما اشتغل عبد الملك بمحاربة مُصْعَب بن الزبير اجتمع وجوه
 الروم الى ملكهم فقالوا : قد أمكثت الفرصة من العرب بتشغل بعضهم ببعض ،
 فالرأي أن تغزوهم في بلادهم . فنهاهم عن ذلك وخطأ رأيهم ، ودعا بكليين فأرشد
 بينهما فاقْتَتَلَا قتالا شديداً ، ثم دعا بشغلب نخله بينهما ، فلما رأى الكلبان الثعلب تركا
 ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثلنا ومثلهم .
 فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال : لا يَكُنْ العدو الذي قد كشف لك عن
 عداوته بأخوف عندك من الظنن الذي يستتر لك بمخاتلته ، فانه ربما تخوف الرجل
 السُّمُّ الذي هو أقتل الأشياء وقتله المَاء الذي يحيي الأشياء ، وربما تخوف أن يقتله
 الملوك التي تملكه ثم قتلته العبيد التي يملكها . فلا تكن للعدو الذي تُنَاصِبُ بأحذر
 منك للطعام الذي تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منه نَذِيرُكَ وإن عظم آمن مني
 من كل أمر عرَّيته من نَذِيرُكَ وإن صغر . واعلم أن مدينتك حُرْز من عدوك ،
 ولا مدينة تحرَّز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطيبك ، وليست من هذه الأربع
 واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك .

وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك، حين فصل مع حُطَّبة من خراسان، بينا هو على سطح بيت في قرية قد نزلاها وهم يتفقدون نظرا إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لحطبة: أيها الأمير ناد في الناس: يا خيل الله اركبي، فإن العدو قد نهّد إليك وحثّ، وغاية أصحابك أن يُسْرِجُوا ويُلْجِمُوا قبل أن يروا سُرعان التحيل، فقام حطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يعاين غبارا، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير لا تشاغل بي وناد في الناس. أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها لجمعا كثيفا. قال: فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد أضطلم.

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: أمرك بالتقدم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد من قبل دخولك في غد كما تُعَدُّ السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عتاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدري لعلها لا تصيبه، بل كما تعدّ الطعام لعدد الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته.

[وقرأت في كتاب سير المعجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطلة ببُلخ، فلما انتهى إلى بلاده اشتد رعب اخشنوار منه وحذره له، فناظر أصحابه ووزرائه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موثقا وعهدا تطمئن اليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتحسن اليهم وتحلفني فيهم، ثم أقطع يدي ورجلي وألّقي على طريق فيروز حتى يمر بي هو وأصحابه فأكفيك مؤوتهم [وشوكتهم] وأوزطهم مورطا تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار: وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلك]

ولم تَشْرَكَ في ذلك؟ قال : إني قد بَلَغْتُ ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا موقن بأن الموت لا بد منه وإن تأنرأيا ما قلائل ، فأحب أن أختم عمري بأفضل ما تُنَحَّم به الأعمار من النصيحة لآخواني والنكاية في عدوي فيشرف بذلك عقي وأصيب سعادة وحُظوة فيما أُمِى ، ففعل به ذلك وأمر به فألقى حيث وصف له .

فلما مرَّ به فيروز سألَه عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به وأنه احتال حتى سُمِل إلى ذلك الموضع ليدلَّه على عورته وِغْرَتِه وقال : إني أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى ، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجموا عليه فينتقم الله لي منه بكم ، وليس في هذا الطريق من المكروه الا تَقْوِيرُ يومين ثم تُفْضون إلى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزرأه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك ، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم إلى موضع من المفازة لا صَدْر عنه ثم بين لهم أمره ففارقوا في المفازة يمينا وشمالا يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم إلا عِدَّة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدون لهم فواقعهم على تلك الحَالَةِ وعلى ما بهم من الضر والجهد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم ، ثم رغب فيروز إلى اخشنوار وسأله أن يَمُنَّ عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يَحْدُ فيما بينه وبين مملكته حدًا لا تجاوزه جنوده ، فرضى اخشنوار بذلك ونخل سبيله وانصرف إلى مملكته ، فمكث فيروز بُرْهة من دهره كئيبا ثم حمله الأنْفُ على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه إلى ذلك فردوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نتخوف عليك عاقبة البغي والغدر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة .

فقال لهم : إني إنما شَرَطْتُ له ألا أجُوز الحجر الذي جعلته بيني وبينه فأنا آمر بالحجر

(١) في الأصل : فواقعهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والتصويب واضح .

- ليحمل على عَجَلَة أماننا . فقالوا له : أيها الملك ، إنَّ العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمَل على ما يُسَرَّ المعطى لها ولكن على ما يُعلن المعطى ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عَرَفَه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى في غَزَاتِهِ حتى انتهى إلى الهياطلة وتصافَّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيهم ليكلمه ، فخرج إليه فقال له اخشنوار ٥
- قد ظننت أنه لم يدُعك إلى غزونا إلا الأُنْف مما أصابك . ولعمري لئن كُنَّا احتلنا لك بما رأيت ، لقد كنت التمسْت بنا أعظم منه ، وما ابتدأناك ببغى ولا ظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ، ولقد كنت جديرا أن تكون ، من سوء مكافأتنا بمننا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وُكِّدَ على نفسك ، أعظم أنفاً وأشدَّ امتعاضاً مما نالك منا ، فإنَّا أطلقناكم وأتمم أسرى ومننا عليكم وأتمم مُشْرِفون ١٠
- على الهلكة وحققنا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإننا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك وميل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشدَّ عارا وأقبح سماعا ، إن طلب رجل أمرا فلم يُتَّعَ له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغيته وأستمكن منه عدوه على حال جهده . وضِيعَة منه ومن معه ، فمن عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطاحوا عليه فاضطر لمكروه ١٥
- القضاء واستجيا من النكث والغدر أن يقال امرؤ نكث العهد وختر الميثاق . مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تتق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُدَّتِهِم وطاعتهم لك ، وما أجدني أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شُخْوصِك بهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم إلى ما يُسَخِّط الله ، فهم في حربنا غير مستبصرين ونيأتهم في مناصحتك اليوم مدخولة ، فانظر ما قدر غنائ من ٢٠
- يقاتل على مثل هذه الحال ، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر فم عار وإن قُتل فإلى النار، فأنا أذكرك الله الذي جعلته على نفسك كفيلاً
 ونعمتي عليك وعلى من معك بعد ياسكم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك
 إلى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مضوا على ذلك
 في كل ما أحبه أو كرهه، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنك
 ٥ لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لنهتك فينا وإنما تلتبس منا أمراً تلتبس منك
 مثله وتناوى عدواً لعله يُمنح النصر عليك فقد بالغت في الاحتجاج عليك وتقدمت
 في الإغذار إليك ونحن نستظهر بالله الذي أعترزنا به ووثقنا بما جعلته لنا من عهده
 إذا استظهرت بكثرة جنودك وأزدهتك عدة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله
 ما كان أحد من نصحاءك ببالغ لك أكثر منها ولا زائدك عليها، ولا يحرمك منفعتها
 ١٠ فخرجها مني فإنه لا يُزري بالمنافع عند ذوى الرأي أن كانت من قبل الأعداء كما
 لا يُحبب المضار اليهم أن تكون على أيدي الأولياء، واعلم أنه ليس يدعوني إلى
 ما تسمع من مقاتلي ضعف أحسنه من نفسي ولا قلة من جنودي، ولكني أحببت
 أن أزداد بذلك حجة وأستظهرًا، وأزداد به من الله للنصر والمعونة استيجاباً ولا أوثر
 على العافية والسلامة شيئاً ما وجدت اليهما سبيلاً، فأبى فيروز إلا تعلقاً بحجته
 ١٥ في الحجر الذي جعله حداً بينه وبينه وقال: لست ممن يردعه عن الأمر يهيم به وعيدٌ
 ولا يقتاده التهديد والترهيب، [ولو كنت أرى ما أطلبك غداً مني ما كان أحد أنظر
 ولا أشد اتقاءً مني على نفسي فلا يغرنك منّا الحال التي صادفتنا عليها في المرة الأولى
 من القلة والجهد والضعف]، قال اخشونار: لا يغرنك ما تخدع به نفسك من حملك
 الحجر أمامك، فإن الناس لو كانوا يعطون العهود على ما تصف من إسرار أمير وإعلان
 ٢٠ آخر، إذا ما كان ينبغي لأحد أن يغتر بآمان ولا يثق بعهد، وإذا لما قبل الناس شيئاً

- مما يعطونه من ذلك، ولكنه وُضع على العلانية وعلى نية من تُعقد العهود والشروط له .
فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة ،
وما رأيتُ للفرس الذي كان تحته نظيرا في الدواب فانه لم يُزل قوائمه ولم يرفع حوافره
عن موضعها ولا صهل ولا أحدث شيئا يقطع به المحاورة في طول ما تواقفنا . وقال
اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كله فلم يحرك رأسه
ولم ينزع رجله من ركابه ولا حنا ظهره ولا ألقت يميناً ولا شمالاً ، ولقد توركت
أنا مرارا وتمطيتُ على فرسي وتلفتُ الى مَنْ خلفي ومددتُ بصرى في أمامى وهو
متصبُّ ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى . وإنما
أرادا بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان في أهل عسكريهما فيُشغلا
بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان في اليوم الثانى أخرج اخشنوار
الصحيفة التى كتبها لهم فيروز ، فرفعها على رُح لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا
غدره وبغيه ويخرجوا من متابعتة ، فانتقض عسكر فيروز وأختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً
حتى أنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى
قال : لا راد لما قُدر ، ولا أشد إحالة لمنافع الرأى من أهوى وألجأج ، ولا اضيع
من نصيحة يُمنحها من لا يوطن نفسه على قبوطها والصبر على مكروهاها ، ولا أسرع
عقوبة ولا أسوأ عاقبة من البغى والغدر ، ولا أجلب لعظيم العار والفُضوح من إفراط
الفخر والأنفة .

- وقال أبو اليقظان : لما خرج شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى بالموصل بعث اليه
الجباج قائداً فقتله ثم قائداً فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم
وكان أحد القواد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم خرج شبيب من الموصل يريد
الكوفة وخرج الجباجُ من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الجباج قبل

أن يصل الى الكوفة فأختم الجحاجُ خيله فدخل الكوفة قبله ، ومرت شبيب بعتاب بن ورقاء فقتله ومرت بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه ، وقدم شبيب الكوفة وإلى ألا يبرح عنها أو يلقى الجحاج فيقتله أو يقتل دونه ، فخرج الجحاج إليه في خيله ، فلما قرب منه عمدا الى سلاحه فألبسه أبا الورد مولاه وحمله على الدابة التي كان عليها ، فلما تواقفا قال شبيب : أروني الجحاج ، فأومأوا له الى أبي الورد فحمل عليه فقتله ، ثم نخرج من الكوفة يريد الأهواز فغرق في دجيل وهو يقول (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) .

الأوقات التي تختار للسفر والحرب

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري قال : كان أحب الأيام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعقد فيه رايته يوم الخميس ، وكان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .

وقالت العجم : أئخر الحرب ما استطعت فان لم تجد بدا فاجعل ذلك آخر النهار .

وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن عون عن محمد بن سيرين أن النعمان بن مقرن قال لأصحابه : إني لقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من أحب ما يلقى فيه إذا لم يلقى في أول النهار إذا زالت الشمس وحلت الصلاة وهبت الرياح ودعا المسلمون . ويروى قوم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يكره الجمجمة والابتداء بعمل في محاق القمر وفي حوله في برج العقرب . [وقال بعضهم : كنت مع عمر ابن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب ، فنظرت فاذا القمر بالدبران فقلت : أنظر الى القمر ما أحسن استواءه !

فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزلته فضحك ، وقال : إنما أردت أن ننظر الى منزلته ، وإنا

لا تقيم لشمس ولا لقمر ولكنا نسير بالله الواحد القهار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وابتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حرب وديم ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج ، ويوم الجمعة يوم خطب ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

٥ حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رجاء قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا اشتدت حلقه البلاء وكانت الضيقة : « تضيق تفرجى » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كف عنا بأس الذين كفروا إنك أشد بأساً وأشد تنكيلاً فما ينخفص يديه المباركتين حتى ينزل الله النصر .

١٠ وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عتبة عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا تفتنوا لقاء العدو وأسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فأثبتوا وأصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال ١٥ « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » وقال أبو النضر : وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال : « اللهم أنت ربنا وربهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وانصرنا عليهم » .

حدثني محمد بن عبيد قال : لما صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل ٢٠ عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى اليمينه جانح على سية قوسه

(١) كذا بالنسخين وهو عمرو بن عبيد الله كافي تقريب التهذيب . (٢) سية القوس ما أعطف من طرفها .

يُنْضِضُ بِإصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ . فَقَالَ قَتَيْبَةُ : تِلْكَ الإِصْبَعُ الْفَارِدَةُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ مِائَةِ
أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَسَنَانٍ طَرِيرٍ . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ لِمُحَمَّدٍ : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟
قَالَ : كُنْتُ أَخْذُ لَكَ بِجَمَاعِ الطَّرِيقِ .

الصَّبْرُ وَحُضُّ النَّاسِ يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَيْهِ

٥ حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ كَانَ عَاصِمُ بْنُ الْحَدَّاثِ رَجُلًا مِنَ
الْعَرَبِ عَالِمًا قَدِيمًا وَكَانَ رَأْسَ الْخَوَارِجِ بِالْبَصْرَةِ وَرَبَّمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ مِنْهُمْ مِنَ
الْجَزِيرَةِ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْأُمْرِ يَخْتَصِمُونَ فِيهِ فَمَرَّبَهُ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ لِأَبْنِهِ : أَنْشُدْ
أَبَا فِرَاسٍ فَأَنْشُدْهُ

وَهُمْ إِذَا كَسَرُوا الْجَفُونَ أَكْرَمُ * صَبْرٌ وَحِينَ تُحْلَلُ الْأَزْرَارُ
يَغْشَوْنَ حَوَامِيتِ الْمَنُونِ وَإِنَّمَا * فِي اللَّهِ عِنْدَ نَفْسِهِمْ لِصَغَارِ
يَمْشُونَ فِي الْخَطَى لَا يَنْتَبِهُهُمْ * وَالْقَوْمُ إِذَا رَكَبُوا الرِّمَاحَ يَجَارُ ١٠

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : وَيْحَكَ ! أَكْتُمُ هَذَا لَا يَسْمَعُهُ النَّسَاجُونَ فَيَخْرِجُوا عَلَيْنَا
بِخُفَوْفِهِمْ . فَقَالَ عَاصِمٌ : يَا فَرَزْدَقُ ، هَذَا شَاعِرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ شَاعِرُ الْكَافِرِينَ .^(١)

١٥ حَدَّثَنَا سَهْلٌ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ قَالَ سَلِيطُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ لِإِسْطَاطِ بْنِ قَيْسٍ
لِقَوْمِهِ : تَرِدُونَ عَلَى قَوْمٍ آثَارُهُمْ آثَارُ نِسَاءٍ وَأَصْوَاتُهُمْ أَصْوَاتُ صِرْدَانٍ وَلَكِنَّهُمْ صَبْرٌ
عَلَى الشَّرِّ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ . وَفِي هَؤُلَاءِ يَقُولُ مَعَاوِيَةُ : لَوْ أَنَّ النُّجُومَ تَنَاقَرَتْ لَسَقَطَ
قَرْمَا فِي حُجُورِ بَنِي يَرْبُوعَ : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قُلْتُ لِسَلِيطَ : أَكَانَ عُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ^(٢)
ضَخْمًا ؟ قَالَ : لَا وَلَا مِنْ قَوْمِ ضَخْمٍ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ .

(١) الْحَفُّ الْمُنْسَجُّ رَجْعُهُ حَفُوفٌ . (٢) فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ «عَيْبَةُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(١) [وقال عمر بن الخطاب لبني عبس: كم كنتم يوم الهبأة؟ فقال: كنا مائة كالذهب،
لم نكثر فنتوا كل ولم نقل فنذل. قال: فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر
منهم عدداً ولا مالا؟ قال: كنا نصبر بعد اللقاء هنية. قال: فلذلك إذا. قيل
لعنثة العبيس: كم كنتم يوم الفروق؟ قال: كنا مائة لم نكثر فنشبل ولم نقل فنذل].
وكان يقال: النصر مع الصبر. ومن أحسن ما قيل في الصبر، قول نهشل بن حري
ابن ضمرة

ويوم كأن المصطليين بحره * وإن لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يئوخ وإنما * تفرج أيام الكريهة بالصبر

ومثله قول الآخر

١٠ بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا * مطلاً كإطلال السحاب إذا أكفهز
فقلت له لا تبك عينك إنما * يكون غدا حسن الثناء لمن صبر
فما أتر الإجمام يوماً معجلاً * ولا عجل الإقدام ما أتر القدر
فآسى على حال يقل بها الأسي * وقاتل حتى آستبهم الورد والصدر
وكر حفاظا خشية العار بعد ما * رأى الموت معروضا على منهج المكر

١٥ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه: احرص على الموت
توهب لك الحياة. وتقول العرب: الشجاع موقى. وقالت الخنساء
نُهين النفوس وهون النفوس * س يوم الكريهة أوقى لها

وقال يزيد بن المهلب

تأثرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن أتقدما

- (١) زيادة في النسخة الألمانية. (٢) أرض لعطفان ويومها من أيام العرب كان فيه النصر لعبس
على ذبيان. (٣) موضع بديار بني سعد ويومه من أيام حروب عبس وذبيان أيضا.
(٤) في الألمانية مظللا كإطلال الخ بالظاء المعجمة.

وقال قطري بن الفُجاءة

وقولك كلما جشأت وجاشت * من الأبطال ويحك لا تُراعى
فأنك لو سألت حياة يوم * سوى الأجل الذي لك لم تُطاعى
[وقال معاوية بن أبي سفيان شجعني على علي بن أبي طالب قول عمرو بن الإطنابة .

أبت لي عفتي وأبي بلائي * وأخذني الحمد بالثمن الربيع
واقدمي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت لنفسي * مكانك تُحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات * وأحمي بعد عن عرض صحيح
أبت لي أن أقضي في فعالي * وأن أغضي على أمر قبيح

وقال ربيعة بن مقروم

ودعوا نزالي فكننت أول نازل * وعلّام أركبه إذا لم أنزل
وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يذمر^(١) الناس ويقول : يا أهل الاسلام ، إن
الصبر عز وإن الفشل عجز وإن النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .
إن الشواء والنشيل^(٢) والرغف * والقينة الحسناء والكأس الأثف
للضارين الخيل والخيل قطف

وقال أعرابي : الله يُخلف ما أتلّف الناس ، والدهر يتلف ما جمعوا ، وكم من ميتة
علتها طلب الحياة ، وحياة سببها التعرض للموت . ومثله قول أبي بكر الصديق لخالد :
أحرص على الموت تُوهب لك الحياة .

[قُدمت مُنْهَزَةُ الروم على هِرَقل وهو بأنطاكية ، فدعا رجلا من عظمائهم فقال :
ويحكم ! أخبروني ما هؤلاء الذين تقاتلونهم ؟ أليسوا بشرًا مثلكم ؟ قالوا : بلى . يعني

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .

(٣) ما طبخ من اللحم بغير تابل .

- العرب . قال : فأتى أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن .
- قال : ويلكم ! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا ، فقال شيخ منهم :
- أنا أخبرك أيها الملك من أين تؤتون . قال : أخبرني . قال : إذا حملنا عليهم صبروا
- وإذا حملوا علينا صدقوا ، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال : ويلكم
- فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون ؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت
- من أين هذا ؟ قال له : من أين هو ؟ قال : لأن القوم يصومون بالنهار ويقومون
- بالليل ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون أحداً
- ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وتنقض العهد
- ونغصب ونظلم ونأمر بما يسيخط الله وننهي عما يرضى الله ونفسد في الأرض .
- قال : صدقتني ، والله لأخرجن من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وأتم هكنا .
- قالوا : تشهدك الله أيها الملك . تدع سُورِيَّةَ وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد
- الخصي والتراب ونجوم السماء ولم يؤت عليهم] .

ذكر الحرب

- قالت العرب : الحرب غشوم ، لأنها تنال غير الجاني . وقال الكمي
- الناس في الحرب شتى وهي مقبلة * ويستون اذا ما أدبر القُبل
- كُلُّ بَأْسِيَّهَا طَبٌّ مَوَلِيَّةٌ * والعالمون بذى غُدُوِّهَا قُلُل
- وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمر بن معديكرب : أخبرني عن الحرب .
- قال : مُرَّةُ المَذَاقِ إِذَا قَلَصَتْ عَنْ سَاقٍ ، مَنْ صَبَرَ فِيهَا عُرِفَ وَمَنْ ضَعِفَ عَنْهَا
- تَلَفَ . وهي كما قال الشاعر
- الحرب أَوَّلُ مَا تَكُونُ فِتْنَةً * تسعى بزيتها لكل جهول

- (١) حتى اذا استعرت وشب ضرامها * عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمتاء جزت رأسها وتكرت * مكروهةً للثم والتفيل
- كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصر بن ميار فكان لا يمتد بالرجال ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار حراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال
- أرى خلل الرماد وميض حمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وإن الحرب أولها الكلام
فان لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري * أياظ أمية أم نيام
- ونحو قوله: «الحرب أولها الكلام» قول حذيفة: إن الفتنة تُلَقَّح بالنجوى وتُنتج بالشكوى .
- العتبي عن أبيه قال قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لأبنة الحسن : يا بني لا تدعون أحداً إلى البراء، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبتَه فإنه بغي .

في العدة والسلاح

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصيفة عن السائب
- أبن يزيد — فيما حفظت إن شاء الله — أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه درعان يوم أُحد . قيل لعباد بن الحصين وكان أشد رجال أهل البصرة : في أىّ عدة تحب أن تلقى عدوك؟ قال : في أجل مُستأنح .
- حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة قال : لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجَنُوبُ لِلشَّمالِ : أنطلقى بنا مُمدَّ
- (١) في المعقد الفريد «حليل» بالحاء المهملة وفيه أيضاً كما في الفتوغرافية «الشم» بدل الثم .
- (٢) في الأصل «حصىة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إن الحزاة لا تسرى بالليل ، فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن أبي الزناد قال : ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطعه الى القربوس فقالوا : ما أجود سيفك ! فغضب ، يريد أن العمل ليد له لا لسيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحتري يصف سيفاً

ماض وإن لم تُمضه يد فارس * بطل ومصقول وإن لم يُمقل
متوقد يفري بأول ضربة * ما أدركت ولو أنها في يدبيل

وقال آخر

وما السيف إلا بزغاة لزينة * إذ لم يكن أمضى من السيف حامله

رؤى الجراح بن عبد الله في بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، ف قيل له في ذلك . فقال : إني لست أقي بدني وإنما أقي صبري . واشترى يزيد بن حاتم أدراعاً وقال : إني لم أشترا أدراعاً إنما اشتريت أعماراً .

وقال حبيب بن المهلب : ما رأيت رجلاً في الحرب مُستلياً إلا كان عندي

رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندي واحداً . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إن للسلاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصريح : السلاح^(٢) السلاح ولا ينادون : الرجال الرجال . [قال المهلب لبنيه : يا بني لا يقعدن أحد منكم في السوق ، فإن كنتم لا بد فاعلين فإلى زراد أو سراج أو وراق .] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن معد يكرب : أخبرني عن السلاح . قال : سئل عما شئت منه . قال : الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك . قال النبيل ؟ قال : منايا تخطى وتصيب .

(١) في النسخة الألمانية «الكوفة» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

قال : التُّرس؟ قال : ذاك المِجَنّ وعليه تدور الدوائر . قال : الدَّرْع ؟ قال :
مُثْقِلَةٌ^(١) للراجل مُتَّعِبَةٌ للفارس ، وإنَّها لَحِصْنٌ حَصِينٌ . قال : السيف؟ قال : ثُمَّ ،
قَارَعَتْكَ أُمُّكَ عَنِ الشُّكْلِ . قال عمر : بل أُمُّكَ . قال " الْحُمَّى أَضْرَعَتْكَ لَكَ " ^(٢) .

وقال الطائي يصف الرِّمَاحَ ،

مُتَقَفَّاتٌ سَلَبَنَ الرُّومَ زَرْقَتَهَا * والعُربُ سُمِّرَتَهَا والعاشقُ الْقَضْفَا^(٣)

وقال دَعْبِلُ يصف الرُّمَحَ

وَأَسْمِرُ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقٌ * مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي

وقال الشاعر

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنَسٍ * فَاَلَمُوتَ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

أَظْلَمَهُ مِنْكَ حَتْفٌ قَدْ تَجَلَّلَهُ * حَتَّى يُؤَامِرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدَرُ^(٤)

أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ إِلَّا عِنْدَ قُدْرَتِهِ * وَلَيْسَ لِلْسَّيْفِ عَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ

وقال آخر

مَتَى تَلْقَانِي يَعْدُو بِبَزِيٍّ مَقْلُصٍ^(٥) * كُتِبَتْ بِهَيْمٍ أَوْ أَغَرَّ مَحْجَلُ

تَلَاقٍ أَمْرًا إِنْ تَلَقَّاهُ فَبَسِيفِهِ * تُعَلِّمُكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

وقال عليّ رضي الله عنه : السيف أنمي عددا وأكثر ولدا . وفي الحديث « بَقِيَّةُ^(٦)

السيف مباركة » يعني أن من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده . وقال

المهلب : ليس شيء أنمي من سيف . ويقال : لا يجسد أسرع من مجد سيف .

(١) في الأصلية « مشغلة » والتصويب عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد في جميع الأمثال وفي النسخة

الألمانية : « إليك » . (٣) النحافة . (٤) في الفتوغرافية « ربه » (٥) قال في اللسان : البزُّ

والبرّة السلاح ويدخل فيه الدرع والمنفر والسيف . (٦) هكذا في النسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية

« السيف أنمي عددا وأكرم ولدا » ، وفي نهج البلاغة بقية السيف أبقي عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع عليّ رضي الله عنه صدرا لا ظهر لها فقيـل له في ذلك فقال : إذا
استمكن عدوى من ظهري فلا يُبقِ . وقال أبو الشّيص .

ختلته المنون بعد اختيال * بين صفّين من قنا ونصال
في رداء من الصفيح صقيل * وقيص من الحديد مُدال

بلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرّ فبعث ابنه الأغر وقال :
يا بُني كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيـف فانه ظلّ الموت ، وآتق
الريح فانه رشاء المنية ، ولا تقرب السّهام فانها رُسل لا تُؤامر مُرسّلتها . قال : فيها ذا
أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر

جَلَامِيدُ يَمْلَأَنَّ الْأَكْفَ كَأَنهَا * رءوس رجال حُلِّقَتْ فِي الْمَوَاسِمِ

وقال الخزيمى في بغداد أيام الفتنة

يا بؤس بغداد دار مملكة * دارت على أهلها دوائرها
أهلها الله ثمّ عاقبها * لما أحاطت بها بكائرها
رق بها الدين وأسُخِفَ بذى الشّفضل وعزّ الرجال فاجرها
وصار ربّ الحيران فاسقهم . وأبترّ من الدروب شاطرها

يحرق هذا وذا يهدمها * ويشتفي بالنّهاب داعرها
والصّكرخ أسواقها معطّلة * يَسْتَنُّ شَدَا^(١)ها وعائرها
أخرجت الحرب من أساقطهم . أساد غيل غلبا تُساورها
من البوّارى ترأسها ومن الشّخوص إذا استلّمت مغافرها^(٢)
لا الرزق تبغى ولا العطاء ولا * يحشّرها بالعناء حاشرها^(٣)

(١) في الطبرى «عيّارها» . (٢) جمع بارى بتشديد الياء وهو الحصار المنسوج .

(٣) في الطبرى «لَقَاء» .

ونحوه قول علي بن أمية

دهتنا أمور تُشيب الوليد * ويخُلُّ فيها الصديق الصديق
فناء مُبِيد وذُعر عَتِيد * وجوع شديد وخوف وضيق
وداعى الصباح بطول الصباح السلاح السلاح فما نستفيق
فبالله نبْلُغ ما نرتجى * وبالله ندفع ما لا نُطيق

جنى قوم من أهل الإمامة جناية فأرسل إليهم السلطان جندا من بُخَّارية^(١) ابن زياد، فقال رجل من أهل البادية يذمر قومه : يا معشر العرب ويا بني المحصنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لينة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وضعوها بالأرض ولا عتراكم من نُشَاب معهم في جعاب كأنها أيور الفيلة ينزعون في قيسي كأنها العتل فيئط أحدهن أطيط الزرنوق يَمَغْط أحدهم فيها حتى يتفرق شعر إبطيه ثم يرسل نُسابة كأنها رِشاء منقطع فما بين أحدهم وبين أن تنفضخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة، نفلح قلوب القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال : كتب عمر رضي الله عنه : اتزروا وارثدوا واتعلوا وألقوا الخفاف وارموا الأغراض وألقوا الرُكْبَ وأنزوا نزوا على الخيل وعليكم بالمعدية، أو قال العربية . ودعوا التنعم وزى العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكنا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : لن تحور قوى ما كان صاحبها ينزع ويتزوء . يعني ينزع في القوس وينزوع على الخيل من غير استعانة بالركب . وقال

(١) كذا بالأصلين والصواب بخارية زياد وحى سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخارى حين استولى عليها من خاتون ملكتها وكانوا جيدي الرمي بالنشاب .

العمري . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه ^(١) [اليمنى وبيده اليسرى أذن فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرامِيْزَه وَيَثْبُ فكَأَنَّمَا خُلِقَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صَفَيْنَ : عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ فَانَه أَنْبَى لِلسَّيُوفِ عَنْ الْهَامِ . وَأَقَامُوا رِجْلًا بَيْنَ الْعُقَايِينِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : طُدْ رِجْلَكَ وَأَصِرْ إِنْ صَرَّ الْفَرَسُ وَادْكِرْ أَحَادِيثَ غَدٍ وَإِيَّاكَ وَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَانَه مِنَ الْفُشْلِ . [وقال غيره طُدْ رِجْلَكَ إِذَا اعْتَصَمْتَ بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا وَأَنْتَ مُخَيَّرٌ ^(٢) فِي رَفْعِهِ سَاعَةَ الْمَسَالِمَةِ وَالْمَوَادَعَةِ] . ^(٣)

وَقَرَأْتُ فِي الْآيِينَ أَنَّ مِنْ إِجَادَةِ الرَّمْيِ بِالنَّشَابِ فِي حَالِ التَّعَلُّمِ إِمْسَاكَ الْمُتَعَلِّمِ الْقَوْسَ بِيَدِهِ الْيَسْرَى بِقُوَّةِ عَضْدِهِ الْأَيْسَرِ وَالنَّشَابَ بِيَدِهِ الْيَمْنَى وَقُوَّةِ عَضْدِهِ الْيَمْنِ وَكَفَّهُ أَصْدْرِيَه ^(٤) وَالْقَاوَهُ بِبَصَرِهِ إِلَى مَعْلَمِ الرَّمْيِ وَإِجَادَتِهِ نَصَبَ الْقَوْسِ بَعْدَ أَنْ يَطَاطِعَ مِنْ سَيْبَتِهَا ^(٥) بَعْضَ الطَّاطَاةِ وَضَبْطَهُ إِيَّاهَا بِثَلَاثِ أَصَابِعَ وَإِحْنَاوَهُ السَّبَابَةَ عَلَى الْوَتَرِ ، وَإِمْسَاكَهُ بِثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ كَأَنَّمَا ثَلَاثَةٌ وَسِتُونَ وَضَمَهُ الثَّلَاثَةَ ضَمًّا وَتَحْوِيلَهُ ذَقْنَهُ إِلَى مَنْكِبِهِ [الْأَيْسَرِ] وَإِشْرَافَهُ رَأْسَهُ وَإِرْخَاؤَهُ عُنْقَهُ وَمِيلَهُ مَعَ الْقَوْسِ وَإِقَامَتَهُ ظَهْرَهُ وَإِدَارَتَهُ عَضْدَهُ وَمَغْطَهُ الْقَوْسَ مُتَرَاْفِعًا وَنَزْعَهُ الْوَتَرَ إِلَى أُذُنِهِ وَرَفْعَهُ بِيَاضَ عَيْلِيهِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيفٍ لِأَسْنَانِهِ وَتَحْوِيلَ لَمِينِهِ وَارْتِعَاشٍ مِنْ جَسَدِهِ وَاسْتِبَانَتِهِ مَوْضِعَ زِيَجَةِ النَّشَابِ .

وَقَرَأْتُ فِي الْآيِينَ : مِنْ إِجَادَةِ الضَّرْبِ بِالصُّوْلِحَانِ أَنْ يَضْرِبَ الْكُرَّةَ قَدُّمَا ضَرْبَ خُلْسِيَةٍ يُدِيرُ فِيهِ يَدَهُ إِلَى أُذُنِهِ وَيُمِيلُ صَوْلِحَانَهُ إِلَى أَسْفَلِ مَنْ صَدْرُهُ وَيَكُونُ ضَرْبُهُ مُتَشَاوِرًا مُتَرَفِّقًا مُتَرَسِّلًا وَلَا يُغْفَلُ الضَّرْبُ وَيُرْسَلُ السَّنَانُ خَاصَةً وَهُوَ الْحَامِيَةُ لِمَجَازِ الْكُرَّةِ إِلَى غَايَةِ الْغَرَضِ ثُمَّ الْجَزْءُ لِلْكُرَّةِ مِنْ مَوْقِعِهَا ، وَالتَّوَنُّخِيُّ لِلضَّرْبِ لَهَا تَحْتَ مَحْزَمِ

٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية وفي البيان والتبيين « يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية . (٣) كذا بالأصلين ولعله « رضعهما » . (٤) في الألمانية : « وكفه إلى صدره » . (٥) عبارة النسخة الفتوغرافية ولا يغفل الضرب (ترسلا البنيان؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قبل لبتها في رفق ، وشدة المزاولة والمجاحشة على تلك الحال والتبرك للاستعانة في ضرب الكرة بسوط والتأثير في الأرض بصولجان والكسير له جهلا باستعماله أو عقير قوائم الدابة ، والاحتراش من إيذاء من جرى معه في ميدانه ، وحسن الكف للدابة في شدة جريه ، والتوقى من الصرعة والصدمة على تلك الحال ، والمجانبة للغضب والسب ، والاحتمال والملاهة ، والتحفظ من إلقاء كرة على ظهر بيت وإن كان ست كرين بدرهم ، وترك طرد النظارة والجُلوس على حيطان الميدان فإن عرض الميدان إنما جعل ستين ذراعا لئلا يُحَالَ ولا يُصَارَّ من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدعوة لرجاله : أشعروا قلوبكم بالجرأة عليهم فإنها سبب الظفر، واذكروا الضغائن فإنها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فإنها حصن المحارب .

المسير في الغزو والسفر

حدثنا شبابة عن القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عياش عن معدان بن حدير الحضرمي عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل الذين يغزون من أمتي يأخذون الجُعل يتقَوُّون به على عدوهم كمثل أم موسى تُرضع ولدها وتأخذ أجرها» . حدثني محمد بن عبيد عن ابن عُيينة عن عبد الرحمن ابن حرملة عن سعيد بن المسيَّب قال : لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المُعرَّس أمر مناديا فنادى : لا تطرقوا النساء . فتعجل رجلان فكلأهما وجد مع امرأته رجلا . وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم . وتأمر بالمِحَلَّات وهي الدلو والفأس والسفرة والقدر والقِدَاحَة ، وإنما قيل لها مِحَلَّات لأن المسافرين يحملها حيث شاء ولا يبالي ألا يكون بقربه أحد .

(١) في الميداني «السفر ميزان السفر» أي أنه يسفر عن أخلاق المسافرين ، وفي الفتوغرافية السفر مجلدة القوم وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضا .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال ، قال لقمان لابنه : « يا بني إذا سافرت فلا تم على دابتك فان كثرة النوم سريع في دبرها ، فاذا نزلت أرضا مكثت فاعطها حظها من الكلاء وأبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك وإذا بعدت عليك المنازل [فعليك بالدَّج ^(١) فان الأرض تطوى بالليل . وإذا أردت النزول] فلا تنزل على قارة الطريق فانها مأوى الحيات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لوفا وألينها تربة وأكثرها كلاء فأنزلها ، وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) . وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض وعليك بالسُّترة . وإذا ارتحلت من منزل فصل ركعتين وودع الأرض التي ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة من الأرض أهلاً من الملائكة . وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فان الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضاً : هل مرة بكن اليوم ذاكر لله ؟ وإن أستطعت ألا تطعم طعاماً حتى تتصدق منه فأفعل . وعليك بذكر الله جل وعز مادمت راكباً وبالتسبيح مادمت صائماً وبالدعاء مادمت خالياً . وإياك والسير في أول الليل وعليك بالتعريس والدُّبْلَة من نصف الليل الى آخره . وإياك ورفع الصوت في سيرك إلا بذكر الله ، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك وخفك وعمامتك وإبرتك وخيوطك وتزود معك الأدوية تنفع بها وتنفع من صحبك من المرضى والزمنى . وكن لأصحابك موافقاً في كل شيء يُقربك إلى الله ويباعدك من معصيته . وأكثر التَّسْمُّ في وجوههم وكن كريماً على زائدك بينهم وإذا دعوك فأجبهم ، وإذا استعانوك فأعنه وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم وأجهد رأيك . وإذا رأيتهم يمشون فامس معهم أو يعملون فاعمل معهم ^(١) . [وإن تصدقوا أو أعطوا فاعط] . واسمع لمن هو أكبر منك . وإن تحيرتم في طريق فانزلوا ، وإن شككتكم في القصد فتثبتوا وأمروا ، وإن رأيتم خيالا واحداً

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

فلا تسألوه عن طريقكم فإن الشخص الواحد في القلاة هو الذي حيركم واحذروا
الشخصين أيضا ألا أن تروا ما لا أرى فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن
العاقل إذا أبصر شيئا بعينه عرف الحق بقلبه .

علم أعرابي بنيه إتيان الغائط في السفر فقال لهم : اتبعوا الخلاء وجانبوا الكلا
وأعلوا الضراء^(١) وأخفجوا إخراج النعامة وامسحوا بأشملكم .

[وقال عمرو بن العاص للحسن بن علي بن أبي طالب رحمهما الله : يا أبا محمد، هل
تنتعت الخراءة؟ فقال : نعم، تبعد المشي في الأرض الضخضخ حتى نتواري من القوم،
ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالروثة ولا العظم ولا تبذل في الماء الراكد].

أراد الحسن البصري الحج ، فقال له ثابت : بلغني أنك تريد الحج فأحببت
أن نصطحب . فقال : ويحك ! دعنا نتعاشر بستر الله ، إني أخاف أن نصطحب
فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه . وفي الحديث المرفوع عن بقية عن الوضين بن
عطاء عن محفوظ بن علقمة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه
« أما إنك إن ترافق غير قومك يكن أحسن لخلقك وأحق أن يقتفى بك » .

أتى رجل هشاما أخا ذى الرمة الشاعر فقال له : إني أريد السفر فأوصني . قال : صل
الصلاة لوقتها فانك مصليا لا محالة فصلتها وهي تنفعك ، وإياك وأن تكون كلب رفقك
فإن لكل رقة كلبا ينبع دونهم ، فإن كان خيرا شركوه فيه وإن كان طارا تقلده دونهم .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه
قال : إذا ضللت لأحدكم ضالة فليقل : اللهم رب الضالة تهدي الضالة وترد الضالة
اردد على ضالتي ، اللهم لا تبلىنا بهلاكها ولا نتعبنا بطلبها ، ما شاء الله لا حول ولا قوة
إلا بالله . يا عباد الله الصالحين ردوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل
فقل : يا عباد الله أعينونا . [وقال أبو عمرو^(٢) : إذا ضأت لأحدكم ضالة فليتوضأ

(١) الضراء ما وارك من شجر . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ثم يشهد ويقول : بسم الله، اللهم يا هادي الضال وراة الضال اردد على ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك] .

حدثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وعلة عن رجل من مراد يقال له أبو جعفر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي ، أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن . وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن محمد بن عجلان عن عمرو ابن شعيب قال : أراد عمر أن يغزو البحر جيشاً ، فكتب اليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود بين غرق وبرق^(١) قال عمر : لا يسألني الله عن أحد حملته فيه . وحدثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول في السفر إذا أشعر : سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا . ويقول : اللهم صاحبنا فأفضل علينا ثلاثاً ، اللهم عانذ بك من النار ثلاثاً لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ١٥ في سفره حين هاجر : « الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً مذكوراً ، اللهم أعني على أهويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالي والأيام وآكفني شر ما يعمل الظالمون في الأرض ، اللهم في سفري فأصحبني ، وفي أهلي فأخلفني ، وفيما رزقتني فبارك لي ، ولك في نفسي فذلّني ، وفي أعين الصالحين فعظمني ، وفي خلق فقومي ، وإليك ربّ خبّيتي ، الى من تكلي ربّ المستضعفين وأنت ربّي » . ٢٠

(١) البرق الحيرة والدهش . وفي النسخة الألمانية « برق » وهو تحريف .

وحدثني أيضا عن معاوية عن أبي اسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر يقول : «اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المقلب والخور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل» وزاد غيره «اللهم أطولنا الأرض وهون علينا السفر» .

٥ وقال مطرف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيئتين وخير الأمور أوساطها وشتر السير الحققة . وفي الحديث « لا تُحَقِّقْ فتقطع ولا تَبَاطَأْ فتُسَبِّقْ ولكن أَقِصِدْ تَبْلُغْ » والحققة أشد السير . وفي حديث آخر « إن المُنَبَّتْ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقال المَرَّار

تُقَطِّعُ بالنزول الأرض عَنَّا * وَبُعْدَ الأرض يقطعها النزول

١٠ الأصمعي قال، قيل لرجل أسرع في سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال كنت آكل الوجبة وأعرس إذا أشعرت وأرتحل إذا أسفرت وأسير الوضع وأجتنب الملع بختكم لمسي سبغ . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذكوان مولى آل عمر بن الخطاب ، سار من مكة الى المدينة في يوم وليلة ، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلى العتمة ، فقال له أبو هريرة : حاج غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال : لأنك نفرت قبل الزوال . فأخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال

ألم ترني كلقتهم سير ليلة * من آل منى نصا الى آل يثرب
فأقسمت لا تنفك ما عشت سرتي * حديثا لمن وافى بجمع المحصب

ومن السير المذكور مسير حذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن [النعمان بن] المنذر ابن ماء السماء وسار في ليلة مسيرة ثمان، فقال قيس بن الخطيم

٢٠ هممنا بالإقامة ثم سرنا * كسير حذيفة الخير بن بدر

- قال الشَّرْقِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ: خرجت من الموصل أريد الرِّقَّةَ فصحبني قتي من أهل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِرْزُودٌ وَرَكُوةٌ وعصا، ورأيتُه لا يفارقها مُشاةً كما أوركبنا وهو يقول: إن الله جعل جماع أمر موسى وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه، ويكثر من هذا وأنا أضحك متهاوينا بما يقول، فتخلف المكارى فكان حمار القتي إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حماري ولا شيء في يدي فيسبقني ٥ إلى المنزل فيستريح ويُرِيح ولا أقدر على البرّاح حتى يوافيني المكارى، فقلت: هذه واحدة. ثم خرجنا من غد مُشاةً فكان إذا أعيّا توكأ على العصا وربما أحضر ووضع طرفا على الأرض فاعتمد عليها ومَرَّ كأنه سهم زالَجٌ حتى اتَّهينا وقد تفسّختُ من الكلال وإذا فيه فضل كثير، فقلت: وهذه أخرى. فلما كان في اليوم الثالث هجمنا على حيّة منكّرة فسارت إلينا فأسلمتهُ إليها وهربت عنها فضربها بالعصا حتى قتلها، فقلت: هذه ثالثة. [وهي أعظمهنّ] وخرجنا في اليوم الرابع وبنّا قَرْمَ ١٠ إلى اللحم فاعترضتنا أرنب فخذفها بالعصا وأدركنا ذكاتها فقلت: هذه رابعة. فأقبلتُ عليه فقلت: لو أن عندنا نارا ما أخرت أكلها إلى المنزل. فأخرج عُويدا من مِرْزُوده ثم حكّه بالعصا فأورّت إبراء المَرخ والعقار، ثم جمع ما قدر عليه من الغنّاء والحشيش وأوقد نارا وألقى الأرنب في جوفها فأخرجناها وقد لزق بها من الرماد ١٥ والتراب ما يفيضها إلى فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب جنوبها بالعصا وأعراضها ضربا رقيقا حتى انتثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس، فقلت: هذه خامسة. ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملاّنة رَوْنَا وترابا فلم نجد موضعا نطل فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نصّابا لها ثم قام بغرف جميع ذلك الروث والتراب وجرّد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت: ٢٠ وهذه سادسة. ثم نزع العصا من الحديدة فاوتدها في الحائط وعلّق عليها ثيابه وثيابي

فقلت : هذه سابعة . فلما صرنا الى مَفْرِقِ الطريقين وأردت مفارقتة قال لى :
 او عدلتَ معى فبتَ عندى ! فعدلت معه فأدخلنى منزلا يتصل بيبعة فما زال يحدثنى
 ويُطْرِفنى الليل كله فلما كان السحر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى فقرع بها
 العصا فإذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله وإذا هو أحلق الناس به فقلت له : ويحك !
 أما أنت بمسلم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس ؟ قال : لأن أبى نصرانى
 وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ برئته بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأظرف الناس
 وأكثرهم أدبا نجبرته بالذى أحصيتُ من خصال العصا ، فقال : والله لو حدثتك عن
 مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « إذا كنتم فى الحُصْب فامكنوا الرُكَّابَ أسْتَمًّا^(١) ولا تَغْدُوا المنازل وإذا كنتم
 فى الجَدْب فاستنجوا^(٢) وعليكم بالدُّلْجَةِ فإن الأرض تُطَوَّى بالليل وإذا تقولت لكم
 الغِيْلَانُ فنادوا بالأذان ولا تصلُّوا على جَوَادِّ الطرق ولا تنزلوا عليها فإنها مأوى السَّباع
 والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحوائج فإنها للملآءِين » .

وأراد أعرابى سفرا فقال لامرأته

عُدِّى - السنين لغيبى وتصبرى * وذرى الشهور فإنهم قصار

فأجابته

اذكر صبا بتنا اليك وشوقنا * وأرحم بنايك إنهن صغار

(١) أورده ابن الأثير بلفظ « أعطوا الرُكْبَ أسْتَمًّا » وقال ناقلنا عن أبى عبيد ان كانت اللفظة
 محفوظة فكانها جمع الأسنان ، يقال لما تأكله الابل وترعاه من العُشْب من رجمه أسنان ثم أسنة . وقال
 الزمخشري ان الأسنة هنا الرماح وقال فى معناه : اعطوها ما تتمتع به من النحر لأن صاحبها اذا أحسن رعيها
 سميت وحسنت فى عينه فيبطل بها عن أن تحرف شبه ذلك بالأسنة فى وقوع الامتناع بها ، وهو كما ترى متكلف
 لا يساعد عليه سياق الحديث . (٢) أى أسرعوا .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي
طربت إلى الأصيبية الصغار * وهاجك منهم قرب المسزار
وكل مسافر يزداد شوقا * إذ أدنت الديار من الديار

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كُنَّا يوم بدر ثلاثة على بعير فكان عليّ
وأبو لُبَّابة^(١) زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا دارت عَقَبَتُهُما قالا :
يا رسول الله اركب ونمشي عنك . فيقول « ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن
الأجر منكما » .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فقال في خطبته : إذا غزوتهم فأطيلوا
الأظفار وقصروا الأشعار .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « لا سهر إلا لثلاثة : مُصَلٍّ أو عروس أو مسافر .
وقال بعض الشعراء

سُررتُ بجمعٍ والقرب منه * كما سُرَّ المسافر بالإياب
وكنْتُ بقربه إذ حلَّ أرضي * أميرا بالسكينة والصبوب
كمطور ببلدته فأضحى * غنيا عن مطالبة السحاب

وقال آخر في معناه

وكنْتُ فيهم كمطور ببلدته * فسرَّ أن يجمع الأوطان والمطرا

وقال آخر

إذا نحن أبنا سالمين بأنفس * كرام رجتُ أمر الخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها * تؤوب وفيها مأوها وحياؤها

(١) كذا بضم أوله وفتح ثانيه وهو كنية رفاعه بن عبد المنذر وهو صحابي معروف .

وقال آخر

رجعنا سالمين كما بدأنا * وما خابت غنيمة سالمينا
[وما تدرين أي الأمر خير * أما تهوين أم ما تكروهينا^(١)

وقال بعض المحدثين

قبح الله آل برمك إني * صرت من أجلهم أبا أسفار
إن يكن ذو القرنين قد مسح الأر * ض فإني موكّل بالعبّار]

التفويض^(٢)

حدثني أبي، أحسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب أبو بكر رضى الله عنه
إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام واليا مكان أبي عبيدة بن الجراح^(٣)، أخذ
على السماوة حتى انتهى إلى قرّاقر، وبين قرّاقر وسوى خمس ليال في مفازة، فلم يعرف
الطريق، فدلّ على رافع بن عَميرة الطائي وكان دليلاً خريّماً فقال لخالد : خلف
الأنقال وأسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال : لا بد
من أن نكون جميعاً . فقال له رافع : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه
وما يسلكها إلا مغرور مخاطر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال : لا بد من ذلك . فقال
الطائي لخالد : ابغني عشرين جرّوراً مسانّ عظاماً ففعل فظمأهن ثم سقاهن حتى
روين ثم قطع مشافرهنّ وكعّمهنّ لئلا تجترّ، ثم قال لخالد : سرباً بالخيول والأنقال
فكلما نزلت منزلاً نحررت من تلك الجرّور أربعة ثم أخذت ما في بطونها من الماء
فسقيته الخيل وشرب الناس مما ترؤدوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) يقال فوز الرجل بيايله إذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمانية وفي النسخة المتوعدة أبو عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ إذ اسم أبي عبيدة عامر
ابن عبد الله بن الجراح الفهري فاعلمه من سهو النساخ .

وَجَهْدِ النَّاسِ وَعِطِشَتْ دَوَابَّهُمْ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : وَيْحَكَ، مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ : أَدْرَكَتُ
الرِّىَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، انظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ شَجَرَةً عَوَّجَ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ؟ فَنَظَرُوا فَوَجَدُوهَا
فَقَالَ : أَحْفِرُوا فِي أَصْلِهَا حَفَرًا فَوَجَدُوا عَيْنًا فَشَرَبُوا مِنْهَا وَتَزَوَّدُوا، فَقَالَ رَافِعٌ : وَاللَّهِ
مَا وَرَدْتُ هَذَا الْمَاءَ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ. فَقَالَ رَاجِزُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ

لِللَّهِ دُرٌّ رَافِعٌ أَنِّي أَهْتَدِي * فَوَزَّ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى سُوَى
أَرْضَا إِذَا سَارَ بِهَا الْجَيْشُ بَنَى * مَا سَارَهَا قَبْلَكَ مِنْ إِنْسٍ أَرَى^(١)

قَالَ وَلَمَّا مَرَّ خَالِدٌ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْبِشْرُ طَلَعَ عَلَى قَوْمٍ يَشْرَبُونَ وَيَبْنِي أَيْدِيهِمْ
جَفَنَةً وَأَحَدُهُمْ يَتَغَنَّى

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ * لَعَلَّ مَنَايَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرَّرَا * عَلَى كُنْهَاتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٌ تَجْرِي
أُظِنَ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدَا * سَيَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبِشْرِ
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ * وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْخَدَرِ

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَرَّغَ مِنْ قَوْلِهِ شَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّيْفِ فَضْرَبَ
عُنُقَهُ فَإِذَا رَأْسُهُ فِي الْجَفَنَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ الْبِشْرِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.
ابْنُ الْكَلْبِيِّ قَالَ : أَقْبَلَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يَرِيدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَضَلُّوا
الطَّرِيقَ وَوَقَعُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَكَثَرُوا ثَلَاثًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْمَاءِ بِفَعْلِ الرَّجُلِ مِنْهُمْ
يَسْتَنْدِرِي بَنِي السَّمُرِ وَالطَّلَحِ يَأْسًا مِنَ الْحَيَاةِ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ أَقْبَلَ رَاكِبٌ عَلَى بَعِيرٍ
فَأَنشَدَ بَعْضُ الْقَوْمِ بَيْتَيْنِ مِنْ شِعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ

لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هُمَّا * وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَائِمِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ * يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَائِمِي

(١) كَذَا بِالْأَلْمَانِيَةِ، وَفِي الْفَتْوْغَرَاثَةِ «أَدَى» بِالْدَالِ وَلَعَلَّهُ «أَرَى» بِمَعْنَى عَادَ وَرَجَعَ.

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قالوا : امرؤ القيس . قال والله ما كذب ، هذا ضارج عندكم ، وأشار إليه ، فجثوا على الركب فإذا ماءٌ غَدَقَ وإذا عليه العَرْمَضُ والظِّلُ يفيء عليه فشربوا منه ريّهم وسقوا وحملوا حتى بلغوا الماء ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا يبتان من شعرا امرئ القيس قال : « ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسى في الآخرة خامل فيها ، يحيى يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب عن عمه الأصمعي عن رجل من بني سليم أن رُفقة ماتت من العطش بالشَّجى ، فقال الجمّاج : إني أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجهد فأخفروا في مكانهم الذي ماتوا فيه لعل الله يسقي الناس ، فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر

تراعت له بين الأولى وعُنَيزة : وبين الشَّجى مما أحال على الوادى
والله ما تراءت له إلا وهى على ماء . فامر الجمّاج عَضيدة السلى أن يحفر بالشَّجى بئرا فحفر فأنبَط ، ويقال : إنه لم يمت قوم قط عطشا إلا وهم على ماء .
قالت العرب « أن تَرَدَّ الماء بماء أكيس » . ويقال في مثل : « بَرْدُ غَدَاةٍ غَرَّ عبدا من ظمأ » .

في الطيرة والفأل

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هَرَبَ بعض البصريين من الطاعون فركب حمارا له ومضى بأهله نحو سَفَوَانَ فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول
لن يُسبق الله على حمار * ولا على ذى مَيْعَةٍ مَطَّار
أو يأتى الحَتَفَ على مقدار * قد يصبح الله أمام السَّارى

(١) في الألمانية عبيد الله وهو تعريف .

(٢) هكذا في النسختين الألمانية والفرنغرافية ، وفي معجم البلدان : « عبيدة السلى » .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدق بالطيرة ويعيها أشد العيب وقال : فرقت لنا ناقةً وأنا بالطّف فركبت في إثرها فلقيني هاني بن عتبة^(١) من بني وائل يرْكض وهو يقول
* والشرُّ يلقي مطالِعَ الأتَم *

ثم لقيني رجل آخر من الحى فقال وهو للبيد

ولئن بعثت لهم بُغا * ما البُغا بواجدين

ثم دفعت إلى غلام قد وقع في صغره في نار فأحرقته فقبّح وجهه وفسد، فقلت له : هل ذكرت من ناقةٍ فارقٍ؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها قد نُتجت ومعهما ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطلق ، وسجابة فارق : قد دنا هراقة مائها . قال المرقش^(٢)

١٠

ولقد غلوت وكنت لا * أغدو على وائٍ وحاتم
فإذا الأشائم كالآيا * من الأيا من كالأشائم
وكذاك لا خير ولا * شرٌ على أحد بدائم

[وقال آخر^(٣)]

١٥ . وليس بهيباب إذا شد رحله * يقول عدائي اليوم وائٍ وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مُقدما * إذا صد عن تلك الهنات الخثارم^(٤)

(١) في النسخة الفتوغرافية : « عيد » . (٢) في النسخة الفتوغرافية « المرقش » وهو تحريف وقد أورد في اللسان هذه الأبيات ونسبها للمرقش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب المرقش هذا فمن من أنكر الزهر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواق : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تشاء بهما . (٤) زيادة في النسخة الألمانية . (٥) في الأصل « الخثارم » وهو تحريف والخثارم كعلايط : الرجل المتطير . وقد أورد في لسان العرب هذه الأبيات ونسبها إلى خثيم بن عدي وقيل للرقاص الكلبي يمدح بها مسعود بن بحر وصوبه ابن بري . أنظر اللسان مادة « روقى » .

وقال آخر

تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا * عَلَى مَظْيَرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ
بَلَى، شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ * أَحَابِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: سألت ابن عون^(١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً فتسمع: يا سالم، أو باغيا فتسمع: يا واجد. وفي الحديث المرفوع «أَصْدَقُ الطَّيْرِ الْفَالُ» وفيه «الطَّيْرُ تَجْرِي بِقَدَرٍ»

أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعلّه كانت به فسمع منادياً ينادي: يامتوكل، فخطّ رحله وأقام.

وقال عكرمة كما جلوسا عند ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. [قال كعب لابن عباس: ما تقول في الطيرة قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل. يعني التوراة.]

حدثني محمد بن يحيى القطعي^(٥) قال حدثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة

(١) كذا بالنسخة الفتوغرافية وفي الألمانية «عون بن عبد الله» ولم نعرف في كتب التراجم على من تسمى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهذامات بين سنة عشر ومائة إلى عشرين ومائة هـ فلا تصح رواية الأصمعي عنه لأنه ولد سنة ١٢٢ فلعل ما في الفتوغرافية هو الصواب ويكون المراد به عبد الله بن عون بن أرمطان البصري فقد توفي هذا في سنة ١٥١ أي والأصمعي في السن التي يتلقى فيها عن مشايخه. (٢) في النسخة الألمانية «أبو العاتية». (٣) في الألمانية «لقينة كانت بها» وهو غير متناسب مع السياق. (٤) زيادة في النسخة الألمانية. (٥) كذا بالنسخة الألمانية من غير ضبط. وفي الفتوغرافية «القطعي» بضم أوله وفتح ثانيه بعدهما ياء مثناة والصواب أنه «القطعي» بضم أوله وفتح ثانيه من غير ياء كما ضبطه في تقريب التهذيب ولعله نسبته إلى قطيعة - بكهينة - بن عبس ابن بغيض وهو أبو حنيفة في القاموس وقد ذكر صاحب تهذيب التهذيب محمد بن يحيى هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى. وهو هنا يروي عنه. (٦) في الألمانية «ابن حسان» وهو تحريف.

يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما الطَّيْرَةُ في المرأة والدار والدابة فطارت شَفَقًا ثم قالت : كذب، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم، من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في الدابة والدار والمرأة» ثم قرأت : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) .

كان عبد الله بن زياد صوّر في دهليزه كلبا وأسدا وكبشا وقال : كلب نابج وكبش ناطح وأسد كالج ، وأنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ
يا أيها المضيرهما لا تُهْمُ * إنك إن تُقدّر لك الحمى تُحْمُ
ولو علوت شاهقا من العلم * كيف تَوَقَّيك وقد جفّ القلم

ولما أمر معاوية بقتل عُجْر بن عَدِيّ الكنديّ في ثلاثة عشر رجلا معه قال عُجْر : دعوني أصل ركعتين فتوضأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطول فليل له : أجزعت؟ فقال : ما توضأت قط إلا صليت، ولا صليت قط صلاة أخف منها. وإن أجزع فقد رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبرا محفورا، فليل له : مدّ عنقك، فقال : إن ذلك لدم ما كنت لأعين عليه، فقدم فضربت عنقه . وكان معاوية بعث رجلا يقال له هُدْبَة لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خثعم فقال : إن صدقت الطيرة قُتل نصفنا، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافتهم فلم يقتل الباقون .

نخرج كُثَيْرَ عَزْرَة الى مصر يُريد عَزْرَة، فلقيه أعرابي من نهد فقال : يا أبا صخر، أين تريد؟ فقال : أريد عَزْرَة بمصر . قال : فهل رأيت في وجهك شيئا؟ قال : لا،

(١) كذا بالألمانية، وفي الفتوغرافية «عبد الله» وهما من أولاد زياد بن أبيه كما في المعارف لابن

قتيبة، ولا ندرى أيهما صاحب القصة .

إلا أنى رأيت غرابا ساقطا فوق بانه ينتف ريشه . فقال له : تُوافي مصر وقد ماتت
عزرة . فانتهره كثير ثم مضى فوافي مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزرة ، فقال
فما أعيف التَّهْدَى لا تَرَدُّه * وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانه * ينتف أعلى ريشه ويُطايه
فأما غراب فاغتراب ووحشة * وبأن فين من حبيب تعاشره

وهوى بعد عزرة امرأة من قومه يقال لها : أم الحويرث . فخطبها فأبت وقالت :
لا مال لك ، ولكن أخرج فأطلب فإنى حابسة نفسى عليك . فخرج يريد بعض بنى
مخزوم ، فبينما هو يسير عن له ظبي فكره ذلك ومضى فاذا هو بغراب يبحث التراب
على وجهه فكرهه وتطير منه ، فاتتهى الى بطن من الأزدي قال لهم بنو لُهب ، فقال :
أفيكم زاجر ؟ قالوا : نعم ، فأرشدوه الى شيخ منهم فأتاه فقص عليه القصة ، فقال :
قد ماتت أو خلف عليها رجل من بنى عمها . فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال
تيممت لُهبأ أطلب العلم عندهم * وقد رُد علم العائفين الى لُهب
فقال جرى الطير السَّيِّح بَيْنَهَا * فدونك فاهيل جد مُهْمِر سَكَب^(١)
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كعب

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثني خالد بن يزيد الصَّفَّار قال حدثنا همام بن
يحيى عن قَتَادَةَ عن حَضَرَمِيِّ بن لَاحِقٍ أو عن أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كتب الى أمراءه : « اذا أبردتم الى بريدنا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » .
[خرج عمر الى حرة وأقيم فلقى رجلا من جُهَيْنَةَ فقال له : ما اسمك ؟ قال :
شهاب . قال : ابن من ؟ قال : ابن بَجْرَةَ . قال : ومن أنت ؟ قال : من الحُرَّة .

(١) كُنا بالأصل وقد حذف من الشعر بيتان ينصل بهما المعنى وهما .

فيمت شيئا منهم ذا أمانة * بصيرا بزجر الطير منعنى الصلب
فقلت له ماذا ترى فى سوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالترب
(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضرام . فقال له عمر : أدرك أهلك وما أراك
تدركهم إلا وقد احترقوا ، فاتاهم وقد أحاطت النار بهم] .

- خرج ابن عامر الى المدينة فاذا هو في طريقه بنعامات خمس ، فقال لأصحابه :
قولوا في هذه . فقال بشر بن حسان : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « لا عدوى ولا طيرة » ومن علم شيئاً فليقله ولكني أقول : فتنة خمس سنين .
قرأت في كتب العجم أن كسرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفوا
قال وهرز لغلام له : أخرج الى من الجعبة نُسابة وكان الأسوار يكتب على كل نُسابة
في جعبته ، فمنها ما يكتب عليه اسم الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها
ما يكتب عليه اسم ابنه ، ومنها ما يكتب عليه اسم امرأته . فأدخل العبد يده فأخرج
له نُسابة عليها اسم امرأته فتطير وقال : أنت المرأة عليك طائر السوء . ردها
وهات غيرها . فردها وضرب بيده فأخرج تلك النُسابة بعينها ففكر وهرز في طائره ثم
آتبه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن ، فاذا ترجمتها اضرب ذلك
قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها في كبد قوسه ثم قال : صفوا لي ملكهم ، فوصفوه
بياقوتة بين عينيهِ . ثم إنه مَنَط في قوسه حتى اذا ملأها سرحها فأقبلت أنها رشاء
منقطع حتى فَضَّت الياقوتة فطار فضاها ثم فلقَت هامته وهُزِم القوم . وقال المعلوط

تتأدى الطائران بين سلمي * على غصنين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمي * وفي الغرب اغتراب غير داني

أخذ معناها أبو الشيص فقال

أشاقك والليل ملقى الحران * غراب ينوح على غصن بان

أحص الجناح شديد الصباح * يتي بعينين ما تدرفان

وفي نعبات الغراب اغتراب * وفي البان بين بعيد التداني

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد الفرس . (٢) في الفتوغرافية « أياه » .

(٣) في الفتوغرافية : « حتى صلت الياقوتة فطار فضاها » .

وقال الطائيّ

أَتَضْمَعُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعْتُ * وَرَقَاءُ حِينَ تَضْمَعُ الْإِظْلَامَ
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا فَإِنْ بَكَاءَهَا * ضَحْكُ وَإِنْ بَكَاءُكَ اسْتِغْرَامَ
هَنْ الْحَمَامِ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً * مِنْ حَائِثٍ فَانْهِنِ حِمَامَ

٥ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنَّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَزَلْنَا دَارًا فَكَثُرَ فِيهَا عَدَدُنَا وَكَثُرَتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا ثُمَّ
تَحَوَّلْنَا مِنْهَا إِلَى أُخْرَى فَقُلْتُ فِيهَا أَمْوَالُنَا وَقَلَّ فِيهَا عَدَدُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ذَرُوهَا وَهِيَ ذَمِيمَةٌ » .

١٠ بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ كُنَّاسَةَ عَنْ مِبَارَكِ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ : بَلَغَنَا أَنَّ
أَعْرَابِيًّا أَضَاعَ ذَوْدَالَهُ فَنَجَرَ فِي الطَّلَبِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ، فَمَرَّ بِأَعْرَابِيٍّ يَحْتَلِبُ نَاقَةً
فَنَشَبَدَهُ ضَالَّتَهُ فَقَالَ لَهُ : مَتَى نَخْرُجُ فِي الطَّلَبِ ؟ أَدْنِ مِنِّي حَتَّى أُسْقِيكَ لَبَنًا وَأُرْشِدَكَ .
قَالَ : قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . قَالَ : فَمَا سَمِعْتَ ؟ قَالَ : عَوَاطِيسٌ حَوْلِي : مُغَاءُ الشَّيْءِ
وَرُغَاءُ الْبَعِيرِ وَنُبَاحُ الْكَلْبِ وَصِيَاحُ الصَّبِيِّ . قَالَ : عَوَاطِيسٌ تَمْنَاكَ عَنِ الْغَدْوِ . قَالَ :
١٥ فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ عَرَّضَ لِي ذَنْبٌ . قَالَ : كَسُوبٌ ذُو ظَفَرٍ . قَالَ : فَلَمَّا طَلَعَتِ
الشَّمْسُ لَقِيتُ نَعَامَةً . قَالَ : ذَاتُ رِيْشٍ وَاسْمُهَا حَسَنٌ ، هَلْ تَرَكْتَ فِي أَهْلِكَ
مَرِيضًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : ارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ ضَالَّتَكَ فِي مَتْرَاكَ .

٢٠ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ الْخَبَطِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ يَحْيَى بْنُ أَبِي
عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : كَانَتِ الشَّجَرَةُ تَتَبَتُ فِي مُحَرَابِ سُلَيْمَانَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلَّمَهُ بِلِسَانٍ ذَلِيقٍ فَتَقُولُ : أَنَا شَجَرَةٌ كَذَابٌ وَفِي دَوَاءٍ كَذَابٌ .
فَيَأْمُرُ بِهَا سُلَيْمَانٌ فَيَكْتُبُ اسْمَهَا وَمَنْفَعَتَهَا وَصُورَتَهَا وَتَقْطَعُ وَتَرْفَعُ فِي الْخَزَائِنِ حَتَّى كَانَ
(١) فِي الْأَصْلِ « الشَّيْبَانِيُّ » بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ وَالضَّبْطُ عَنْ تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ .

آحرما جاء منها الخزوبة فقالت : أنا الخزوبة . فقال سليمان : الآن نُعِيَتْ الى نفسي
وأُذِن في خراب بيت المقدس . قال الطائي يصف عمورية
بِكُرْفٍ اقترعتها كُفٌ حادثة * ولا ترقّت اليها همة النوب
جرى لها الفأل برحا يوم أنقصة * اذ غودرت وخشة الساحات والرحب
لما رأت أختها بالامس قد خربت * كان الخراب لها أعدى من الجرب

مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها

قرأت في الآين : كانت العجم تقول : اذا تحولت السباع والطير الجبلية عن
أماكنها ومواضعها دلت بذلك على أن المَشْتَى سيشتد ويتفاقم ، واذا نقلت الجرذان
براً وشعيراً أو طعماً الى رب بيت رزق الزيادة في ماله وولده ، وإن هي قرضت ثيابه
دلت بذلك على نقص ماله وولده ، فيذنبني أن يُقطع ذلك القرض ويُصلح . وإذا
شبت النار شبوباً كالصخب دلت على فرح شديد ، واذا شبت شبوباً كالبكاء دلت
على حزن ، وأما النار التي تشتعل في أسفل القدور فانها تدل على أمطار تكثر أو ضعف
يَحْضُر . وإذا فشا الموت في البقر وقع الموتان في البشر ، وإذا فشا الموت في الخنازير
عم الناس السلامة والعافية ، وإذا فشا الموت في السباع والوحوش أصاب الناس
ضيقة ، وإذا فشا الموت في الجرذان أخصب الناس . وإذا أكرث الضفادع
النقيق دلت على موتان يكون . واذا أن ديك في دار فشا فيها مرض الرجال ، واذا
أنث دجاجة فشا فيها مرض النساء ، واذا صرخت ديوك صراخاً كالبكاء فشا الموت
في النساء ، واذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت في الرجال . واذا نعب
غراب أسود بخاوبته دجاجة دل ذلك على خراب يعمر . واذا قوقت دجاجة وجاوبها
غراب دل على عمران يخرب . وإذا غطّ الرجل الحسيب في نومه بلغ سناً ورفعة ،
ومن نفخ في نومه أفسد ماله ، ومن صرّبت أسنانه في نومه دل ذلك منه على نيمه ،

وينبغي أن يضرب على فيه بجُفٍّ متخَرِّق . ومن سقطت قَدَامَهُ حية من بُحْزاً صابته
 معزّة ومضرة . وإذا رُئِيَ في الهواء دُخْنٌ وظلمة من غير علة تُخَوِّف على الناس الوباء
 والمرض . وإذا رُئِيَ في آفاق السماء في ليلة مصحية كاختلاف النيران غَشَى البلاد
 التي رُئِيَ ذلك فيها عدو ، فإن رُئِيَ ذلك وفي البلاد عدو انكشف عنها . وإذا نبح
 كلب بعد هَذَاةٍ نَجْمة بَغْتة دل على أن السُّرَّاق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما في
 تلك الدار أو ما جاورها . وإذا صَفَّقَ ديكٌ بجناحيه ولم يصرخ دل على أن الخير
 محتبس عن صاحبه . وإذا أَكْثَرَ البوم الصراخ في دار برئ مريض إن كان فيها .
 وإذا سُمِعَ لبيت تنقُضُ شَخْصٌ من فيه عنه ، وإذا عوت ذئاب من جبال وجاوبتها
 كلاب من قرى تفاقم الأمر في التحارب وسفك الدماء . وإذا عوت كلاب
 وجاوبتها ذئاب كان وباء وموتان جارفاً ، وإذا أَكْثَرَت الكلاب في البَغَتَات الهريـ
 دلت بذلك على إتيان العدو البلاد التي هي فيها ، وإذا صرخ ديك في دار قبل رقت
 صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بليّة قد شارفت تلك الدار ، وإذا صرخت دجاجة
 في دار كهراخ ديك كان ذلك تحذيراً لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . وإذا أَكْثَرَ
 ديك النّزوان على تُكَاة رب الدار نال شرفاً ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله نحول
 وضعة . وإذا ذَرَقَ ديك على فراشه نال مالا رغبيا وخيرا كثيرا وذلك إذا كان
 من غير تضييع من حشمه لفراشه ، فإن ذرقت دجاجة على فراشه نالت زوجته
 منه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب
 وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغي مباعده . وينبغي أن يُعرف
 كُفْهُ من كان مِنطِيقاً لعلّه لا يبيد العمل ، وحال من كان سَكِينًا مَترَمًّا لعلّه
 بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخلق
 فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزّين والكريه الاسم والحارية

البكر والغلام الذاهب الى المكتب ، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بقران والحيوان الموثق والدابة المقودة وحاملة الشراب والخطب والكلب ، ويستحبون الصحيح البسطن الرضى الاسم والمرأة الوسيمة الثيب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التي عليها حمولة من طعام أو تبن أو زبل . وكانوا لا ينجحون عن سمع الملك أحيان المغنيات وتقيض الصواري وصهيل الخيل والبراذين ويتخذون في مبيته ديكا ودجاجة . وإذا أهديت له خيل سُنع بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُبرح بها من يمينه الى يساره .

باب في الخيل

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن شبيب بن غرقدة ^(١) [عن عمرو] البارقي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني أشهل بن حاتم قال حدثني موسى بن علي بن رباح الحمصي عن أبيه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أعد فرسا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاشتره إذا أدهم أو كميته أقرح أرثم أو محجلا مطلق اليمين » وفي حديث آخر « فانها ميامين الخيل ثم أغرُ تسلم وتغنم إن شاء الله » .

حدثني سهل بن محمد قال أخبرني أبو عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بيانات الخيل فان ظهورها حرز وبطونها كثر » قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب من الدواب الشقرو يقول : « لو جمعت خيل العرب كلها في صعيد ^(١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب الى بارق - وهو كما قال السمعاني جبل ينزله الأزدي فيا أطن بيلاد الين - عمرو بن الجعد بن أبي الجعد البارقي الصعابي .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخل «ومُهْرَة مأمورة» يريد كثيرة التاج . قال : وكان يكره الشَّكَّال في الخيل . [قال أبوذر : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخرتنى لأبن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحب إليه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدي مطرب دزاج : أى الخيل أفضل ؟ قال : الذى اذا استقبلته قلت نافر ، واذا استعرضته قلت زافر ، واذا استدبرته قلت زاجر . قال : فأى البراذين شر ؟ قال : الغليظ الرقبة الكثير الحلبّة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرساني . قال : فأى البراذين خير ؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عنانة .

[وصف رجل برذونا فقال : ان تركته نَعَس وان حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخيل الذى اذا استقبلته ألقى وإذا استدبرته جَبَّ وإذا استعرضته استوى وإذا مشى رَدَى وإذا عدا دحا .

محمد بن سَلَّام قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابن عم له الى الشام ومصر يشتري له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : ألس صاحب قنص ؟ قال : بلى . قال :

(١) ان تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) فى العقد الفريد « زاجر » ولا معنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزفرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبدا من عظم جوفه وإجفارجنيه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالنسخين وفى العقد الفريد « زاجر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيت عظيم الكفل ممثله وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا .

(٥) جَبَّ : انكب على وجهه وقد أوردته فى الأمالى « جَنَّا » وهو أيضا بمعناه . وقال أبو على القالى الرديان أن يَرْجُم الأرض رجما بين المثنى الشديد والعدو . والدحو أن يرمى بيديه رميا لا يرفع سنكه عن الأرضي .

فانظر، كل شيء تستحسنه في الكلب فاطلبه في الفرس . فقدم بجيل لم يك في العرب
مثلا . وقالوا : سُميت خيلا لاختيائها .

وذكر أعرابي فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل جارى بشيطان^(١) في أشطان
فلما أرسلت لمع لمعة سحاب فكان أقربها إليه الذي تقع عينه عليه .

وسئل رجل من بني أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المير من المبطي^(٢)
المقريف . أما الجواد المير فالذي ^(٣)لُحِزَ لُحْزُ الْعَيْرِ وَأَنْفٌ تَأْنِيفُ السَّيْرِ، الذي اذا عدا أسلهب^(٤)
واذا قيّد أجلب وإذا انتصب آتلاب^(٥) . وأما المبطي المقرف فالمملوك الجبة الضخم^(٦)
الأرنب الغليظ الرقة [الكثير الجلبة] الذي إن أرسلته قال : أمسكني وإن أمسكته^(٧)
قال : أرسلني وأنشد الرياشي

كُهِرَ سَوْءٌ إِذَا سَكَنْتَ سِرَّتَهُ * رَامَ الْجَمَاحَ فَإِنْ رَفَعَتْهُ سَكَا

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء
أن عمر بن الخطاب شك في العتاق والمُجُنَّ، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فأخبره،
فامر سلمان بطست فيه ماء فوضع في الأرض ثم قدمت الخيل إليه فرسا فرسا
فساثنى منها سُنْبُكَةً فشرب هَجْنَةً، وها شرب ولم يثن سُنْبُكَةً عَرَبِيَّةً . وذلك لأن

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا (جاو الشيطان) الخ وفي لسان العرب : ووصف
أعرابي فرسا لا يحفى فقال كأنه شيطان في أشطان . ولعل أصل عبارة النسخة الفتوغرافية «جا» كأنه شيطان
في أشطان» فحرفها الناصح كما ترى . (٢) كذا بالفتوغرافية مضبوطا . وفي القاموس : الملهوز المضبر
الخلق والتصبير اكتناز اللحم فكأنه يريد أن يمدحه بأنه مكتنز الخلق كالعير الوحشي ويوافق ما في اللسان
ولكنه مضبوط بالبناء للفاعل ولعله خطأ . وفي الألمانية والعقد الفريد "نَهَزَ نَهْزَ الْعَيْرَ" . وفي اللسان
نهزت الدابة اذا نهضت بصدرها للسير، ولعل معناه أنه يندفع في السير كأنه يدفع العير الوحشي .

(٣) في اللسان : واذا أنف بأنف السير وهو تحريف دفع اليه توهم أن السير هنا بمعنى المشي لأن
المؤنّف هو المحدّد من كل شيء ومنه سير (جلد) مؤنّف أى مقدود على قدر واستواء والمراد أنه قد حثى
استوى كما يستوى السير المقدود . (٤) أسلهب . مضى . وأجلب : امتد على الأرض . وآتلاب : استوى .
(٥) حجة الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه ، ومملوكها الذي ليس لحجته اشراف فهي ماساء
مستوية . (٦) الأرنب الأنف . (٧) في الأصل الكبير والتصويب عن العقد الفريد .

في أعناق المُجَنِّ قَصْرًا فَهِيَ لَا تَنَالُ الْمَاءَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ خَتَى تَتَنَّى سَنَابِكُهَا وَأَعْنَاقُ
العنَاق طَوَالَ .

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : ذَكَرُوا أَنَّ كَسْرَى كَانَ إِذَا أَتَاهُ
سَائِسُهُ فَقَالَ : الْفَرَسُ يَشْتَكِي حَافَرَهُ ، قَالَ : الْمَطْبِخُ . وَإِذَا قَالَ : يَشْتَكِي ظَهْرَهُ ،
قَالَ : الْبَيْطَارُ .

وَأَنشَدَنِي أَبُو حَاتِمٍ لِأَبِي مَيْمُونٍ الْعِجْلِيِّ وَهُوَ النَّضْرَبِنْ سَلَمَةُ فِي شَعْرِ طَوِيلٍ لَهُ يَصِفُ
الْفَرَسَ ، وَقَالَ قَرَأْتَهُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَعَلَى الْأَصْمَعِيِّ

الْخَيْلُ مَنَى أَهْلٌ مَا أَنَّ يُدْنَيْنَ * وَأَنَّ يُقَرَّبْنَ وَأَنَّ لَا يُقْصَيْنَ
وَأَنَّ يُبَابَأَنَّ وَأَنَّ يُفَدَيْنَ * وَأَنَّ يَكُونَ الْمُحْضُ مِمَّا يُسْقَيْنَ
وَأَهْلُ أَنَّ يُعَلَّنَ أَوْ يُغَالَيْنَ * بِالطَّرْفِ وَالتَّلْدِ وَأَنَّ لَا يُجَفَيْنَ
وَأَهْلُ مَا مَحَبَّنَا أَنَّ يُقَفَيْنَ * وَأَهْلُ مَا أَعْقَبْنَا أَنَّ يُحْزَيْنَ
أَلَيْسَ عَزُّ النَّاسِ فِيمَا أَلْبَيْنَ * وَالْحَسْبُ الزَّاكِي إِذَا مَا يُقَنَيْنَ
وَالْأَجْرُ وَالزَّيْنُ إِذَا رِيمَ الزَّيْنُ * كَمْ مِنْ كَرِيمٍ جَدَّهُ قَدْ أَعْلَيْنَ
وَكَمْ طَرِيدٍ خَائِفٍ قَدْ أُنْجَيْنَ * وَمَنْ فَقِيرٍ عَائِلٍ قَدْ أُغْنَيْنَ
وَكَمْ بِرَأْسٍ فِي لَبَانٍ أَجْرَيْنَ * وَجَسَدٍ لِلْعَافِيَاتِ أُعْرَيْنَ
وَأَهْلُ حَصْنٍ ذِي امْتِنَاعٍ أُرْدَيْنَ * وَكَمْ لَهَا فِي النُّعْمِ مِنْ ذِي سَهْمَيْنِ
يَكُونُ فِيمَا اقْتَسَمُوا كَالرَّجُلَيْنِ * وَكَمْ وَكَمْ أَنْكَحْنَ مِنْ ذِي طِمْرَيْنِ
بَغِيرَ مَهْرٍ عَاجِلٍ وَلَا دَيْنَ * وَالْخَيْلُ وَالْخَيْرَاتُ فِي قَرَيْنَيْنِ
لَا تَشْتَكِينَ عَمَلًا مَا أَنْقَيْنَ * مَا دَامَ نَحْ فِي سُلَامَى أَوْعَيْنِ
* مَا بَلَّلَ الصُّوفَةُ مَاءُ الْبَحْرَيْنِ * .

(١) يُقَالُ لَهَا بَابِي أَنْتَ ، كِتَابَةٌ عَنِ الْإِحْفَازِ بِهَا . (٢) يُؤَثَّرُنْ . (٣) فِي اللِّسَانِ : وَصُوفُ
الْبَحْرِشِيِّ ، عَلَى شَكْلِ هَذَا الصُّوفِ الْحَيَوَانِي وَاحِدَتُهُ صُوفَةٌ وَفِي الْأَبْدِيَّاتِ : لَا آتِيكَ مَا بَلَّ بِحَرِّ صُوفَةٍ .

وأنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال : وقال لي أبو عبيدة لا أعرف قائل
 هذا الشعر وعروضه لا يخرج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخزاعي
 ذلك وقد أذعر الوحوشا * بصلت الخلد رخب لبأنه مجفرو^(١)
 طويل خمس قصير أربعة * عريض ست مقلص حشور^(٢)
 حدث له تسعة وقد عريت * تسع ففيه لمن رأى منظر^(٣)
 ثم له تسعة كسين^(٤) وقد * أرحب منه اللبان والمتخرو^(٥)
 بعيد عشر وقد قربن له * عشر ونحس طالت ولم تقصر^(٦)

- (١) اللبان الصدر ومجفرو يفتح الفاء واسع الجفرة وهي من الفرس وسطه .
 (٢) تعرض أبو صفوان الأسدي في قصيدة له الى مدح فرس وذكر أن ما طال منه تسع وفسرها
 ابن الاعرابي بالعنق ووظيفي الرجلين والبطن والذراعين والفخذين . قال أبو علي القالي : وتفسيره غير
 موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقل عن أبي العباس أن هذا غلط من
 الشاعر ثم ذكر أن الذي يستحب طوله في القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعين والثني وهي الشعر الذي
 في مؤخر الرسغ ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب الى هذا وأراد معها العنق جاز وصح قوله .
 (٣) عدها صاحب القصيدة السالفة الذكر تسعة فقال ابن الاعرابي في تفسيرها هي أربعة : أرساغه
 ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه . (٤) عدت في القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الاعرابي في تفسيرها
 هي الفخذان والوركبان والأوظفة . (٥) حشور : متفخ الجنين .
 (٦) ذكرت في تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الاعرابي : حديد الثمان : عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه .
 كذا في أمالي أبي علي القالي ولم يذكر الثامن .
 (٧) عدت في تلك القصيدة تسعة . قال ابن الاعرابي السبعة العارية : خداه وجبيته والوجه كله وقوائمه
 فكل هذا يستحب فيه أن يكون عاريا من اللحم .
 (٨) عدت في تلك القصيدة سبعة وقال ابن الاعرابي السبع المكسوة : الفخذان وساميتاه . ووركاه
 وحصيراجبيه ونهدتاه وهما في الصدر . وغير ابن الاعرابي يقول فهدتاه بالفاء . قال أبو علي القالي والصحيح
 فهدتاه وهما اللبانتان اللتان في الزور كالفهدين .
 (٩) عدت في تلك القصيدة ما قرب منه سبعا وما بعد سبعا وقال ابن الاعرابي السبع التي قربت يريد بها سبع
 خصال صالحة قربن منه وسبع خصال رديئة بعدن منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .
 (راجع قصيدة أبي صفوان الأسدي وشرحها في الأمالي من صفحة ٢٤٠ - ٢٥٣) .

تُقْفِيهِ بِالْمَحْضِ دُونَ وَلَدَتِنَا * وَعُضِّهِ فِي آرِيهِ ^(٢) يُنْثَرُ
نَصْبَحُهُ تَارَةً وَتَغْبِثُهُ * أَلْبَاتَ كُومٍ رَوَائِمٍ أَظْهَرُ
حَتَّى شَتَا بَادِنَا يَقَالُ أَلَا * يَطْوُونَ مِنْ بُذْنِهِ وَقَدْ أَضْمِرُ ^(٣)
مُؤْتَقُ الْخَلْقِ جَرَشَعٌ عَتِيدٌ * مُنْضِرِجُ الْخَضِرِ حِينَ يُسْتَحْضَرُ
حَاطِي الْجَمَاتَيْنِ لِحْمِهِ زِيمٌ * نَهْدٌ شَدِيدُ الصَّفَاقِ وَالْأَبْهَرِ ^(٥)
رَقِيقٌ نَحْسٌ غَلِيزٌ أَرْبَعَةٌ * نَائِي الْمَعْدِنِ لَيْنِ الْأَشْعَرِ ^(٦)

وقد فسرت هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المماني في خلق الفرس .

أنشدنا أبو سعيد لبعض الضبِّيِّين في وصف فرس

مَتَقَاذِفُ عِبِلِ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا * سَبَاقُ أُنْدِيَةِ الْجِيَادِ عَمِيمِلُ ^(٧)
وَإِذَا تَعَلَّلُ بِالسَّيَاطِ جِيَادُهَا * أَعْطَاكَ نَائِلَهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلُ ^(٨)

قيل لما وضعت حرب صبيِّين أوزارها قال عمرو بن العاص

شَبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا * مُفَرَّغَ الْحَارِكِ مَرْوِيَّ الشَّيْجِ ^(٩)

(١) العُضُّ : المعجنُّ مُعْلَقُهُ الْإِبِلُ ، وَالْقَتُّ ، وَالشَّعِيرُ وَالْحَنْظَلَةُ لَا يَشْرِكُهُمَا شَيْءٌ . (٢) الْآرِيُّ : الْآخِيَّةُ
وهي محبس الدابة . (٣) يُقَالُ ضَمِرَ الْخَيْلُ تَضْمِيرًا : عَلَفَهَا الْقَوْتُ بَعْدَ السِّنِّ كَأَضْمَرَهَا . قَاوَسَ .

(٤) الْجَرَشَعُ كَقَنْفَلٍ : الْعَظِيمُ الصَّدْرُ الْمُتَمَتِّعُ الْجَنِينِ . وَمُنْضِرِجُ الْخَضِرِ : شَدِيدُ الْعَدُوِّ . (٥) هَكَذَا
فِي النَّسْعَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَالْفَتْوْغَرَفِيَّةِ وَذَكَرَ فِي أَسْفَلِ النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ أَنَّ فِي بَعْضِ النَّسَخِ خَاطِي . وَكِلَاهُمَا
عَبْرٌ مُنَاسِبٌ لِلْعَنَى وَلَعَلَّهُ خَاطِي بِالْخَاءِ وَالْظَّاءِ الْمُعْجَمَتَيْنِ فَإِنَّ الْجَمَاتَيْنِ مِنَ الْفَرَسِ الْجَمَّتَانِ الْمُجْتَمِعَتَانِ فِي ظَاهِرِ
السَّاقِيَيْنِ مِنْ أَعَالِيهِمَا وَانْخَاطِي كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْمَكْتَنَزِ اللَّحْمِ أَوْ الْغَلِيزِ الصَّلْبِ . وَلِحْمُهُ زِيمٌ : مَكْتَنَزٌ .

وَالصَّفَاقُ مَسْرُهُ الْأَصْمَعَى فِي كِتَابِ الْفَرَسِ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْجِلْدُ الْأَسْفَلُ الَّذِي تَحْتَ الْجِلْدِ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّعْرُ
وَالْأَبْهَرُ : عَرَقٌ فِي الظَّهْرِ . (٦) الْمَعْدَانُ : مَوْضِعُ دَقْقِ السَّرِجِ . وَالْأَشْعَرُ : مَا اسْتَدَارَ بِالْخَافِرِ مِنْ مَتْنِيِّ الْجِلْدِ .

(٧) مَتَقَاذِفٌ ، سَرِيعٌ . وَعِبِلُ الشَّوَى : غَلِيزُ الْقَوَائِمِ . وَالنَّسَا : عَرَقٌ مِنَ الْوَرِكِ إِلَى الْكَعْبِ . وَشَنِجُ النَّسَا
مَتَقَبِضُهُ وَهُوَ مَدْحٌ لِلْفَرَسِ لِأَنَّهُ إِذَا شَنِجَ نَسَاهُ لَمْ تَسْتَرِخْ رِجْلَاهُ . وَالْعَمِيمِلُ الشَّيْطُ . (٨) فِي الْفَتْوْغَرَفِيَّةِ
وَمَا يَتَعَلَّلُ وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتْ الْقَافِيَةُ مَرْفُوعَةً . عَلَى أَنَّهُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ أَوْ رَدَّ هَذَا الشَّعْرَ عَلَى نَحْوِ
مَا فِي الصَّلْبِ . (٩) الْحَارِكُ أَعْلَى الْكَاهِلِ وَالشَّيْجُ مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ .

جُرْشَعًا أَعْظَمَهُ جُفْرَتُهُ * فَإِذَا ابْتَلَّ مِنَ الْمَاءِ حَرَجُ
يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدٍّ فَإِذَا * وَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعِجٌ^(١)

ووجدت في كتاب من كتب الروم أن من علامة قَرَاهَةِ المهر الحولى صغر رأسه
وشدة سواد عينيه وأن يكون مُحَدَّدُ الأذنين أَجْرَدَ باطنها كثيف العُرف، في عرفه ميل
من قِبَلِ يمين راحته عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل العضدين مكثِرُ الجنبين
طويل الذنب عريض الكفَل مستدير الخواصر صحيح باطنها، ومن علامة قَرَاهَةِ المهر
ألا يكون نَفُورًا [ولا يَقُفُ عند دابةٍ إلا مع أمه] وإذا دفع إلى عين أو نهر ماء لم يقف
لتجاوزه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا ومما يَسْلَمُ الله به الخيل من العين وأشباه ذلك أن يُجْعَلَ في أعناقها خرزة
من قرون الأيائل .^(٢)

١٠

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سفيان عن حصين بن عبد الرحمن
عن هلال بن إساف وعن سُحَيْمِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَا : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ
وَنَحْنُ نَعْرِضُ الْمَصَاحِفَ ، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ إِلَى سَيِّدَتِهَا فَقَالَتْ : مَا يُجْلِسُكَ ؟ قُمْ فَأَتِنَا
رَاقِيًا فَإِنْ فَلَانَا لَقَعَ مَهْرُكَ بَعَيْنَهُ فَتَرَكْتَهُ يَدُورُ كَأَنَّهُ فَلَكَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا تَبْتَغِ رَاقِيًا
وَلَكِنْ اذْهَبِي فَأَنْفِثِي فِي مَنْخَرِهِ الْأَيْمَنِ أَرْبَعًا وَفِي الْأَيْسَرِ ثَلَاثًا ثُمَّ قُلِي : بِسْمِ اللَّهِ لَا بَاسَ
لَا بَاسَ أَذْهَبَ الْبَاسُ رَبِّ النَّاسِ وَأَشْفَى أَنْتَ الشَّافِي لَا يَكْشِفُ الضَّرَاءَ إِلَّا أَنْتَ .
قَالَ : فَمَا قُمْنَا حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ فَبَالَ وَرَاثَ وَأَكَلَ .
حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة أنه قال : إِذَا كَانَ الْفَرَسُ صَلُودًا لَا يَغْرَقُ سَقِيَّتَهُ
مَاءٌ قَدْ دُفِنَتْ فِيهِ نَحْمِيرَةٌ أَوْ عُلْفَتُهُ ضِمْنًا مِنْ هِنْدِ بَاءٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُكْثِرُ عَرَقَهُ ، فَإِنْ حَمِرَ أَدْخَلْتَهُ^(٣)

١٥

(١) في المتنوغرافية «فإذا رمت الخيل من التَّج» . والشَّد : العدو . ومعج كنع : أسرع . (٢) الأيائل
جمع أيل وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بعينه : أصابه بها . (٤) حر الفرس كفرح : سقى (نخم)
من أكل الشعير أو تغيرت رائحة فيه اه قاموس .

٢٠

الحمام وأشيته عذرة . فقلت لأبي عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا؟ فقال : خبرني به جل الهندي وكان بصيرا . قال : فإن أصابته مغلة وهي وجع البطن من أكل التراب أخذله شيء من بوري^(١) فدى وتخل بفعل في ريع دورق من نحر فحقن به وبلى تراب طيب يبول أتان^(١) حتى يصير طينا ثم لطخ به بطن الدابة . قال : ومما يذهب العرن دماغ الأرنب .

وقف الهيثم بن مطهر على باب الخيزران على ظهر دابته ، فبعث إليه الكاتب في دارها : أنزل عن ظهر دابتك فقد جاء في الأثر : لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس . فبعث إليه : إني رجل أعرج وإن خرج صاحبي خفت ألا أدركه . فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حبيس إن أنزلتني عنه إن أقضمت شهره فانظر أيما خيره ، راحة ساعة أو جوع شهر؟ فقال : هذا شيطان ، أتركوه .

باب البغال والحمير

قال مسلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العذار طويلة العنان . وكتب رجل الى وكيله : أبني بغلة حصاء الذنب طويلة العنق سوطها عنانها وهواها أمامها . عاتب الفضل بن الربيع بعض بني هاشم في ركوبه بغلة ، فقال له : هذا مركب تطاطأ عن خيلاء الخيل وأرتفع عن ذلة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سيارة بأهل المزدلفة أربعين سنة على حمار لا يعتل ، فقالت العرب : «أصح من غير أبي سيارة» قال رجل للفضل الرقاشي وهو جد معتبر لأئمة : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب ، فلم ذلك؟ قال : لأنها أكثرها مرفقا . قال : وما ذاك؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

٢٠ (١) في الفئوغرافية "إنسان" .

قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريعا وأسهل تصريفا وأخفض مهوى وأقل حاحا وأشهر قارها وأقل نظيرا ويُرَى راكمه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف في ثمنه . وقال خالد بن صفوان في وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكدّاد^(١) أضحّر السربال^(٢) تُجَلِّج القوائم يحمل الرّجّلة ويبلغ العقبة ويمعنى أن أكون جبّارا عنيدا .

وقال رجل لنخاس : اطلب لي حمارا ليس بالكبير المشتهر ولا القصير المحقر ولا يُقدِّم تقحما ولا يحجم تبّدا^(٣) يتجنب بي الزحام والرّجام والإكام خفيف اللجام اذا ركبته هام واذا ركبه غيرى قام، إن علفته شكر، وإن أجمته صبر. فقال له النخاس : إن مسح الله القاضي زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله . وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانَه للسفاد .

جرير بن عبد الله عن أبيه قال : لا تركب حمارا فانه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجلك .

باب في الإبل

الهيثم قال قال ابن عباس^(٤) : لا تشتري خمسة من خمسة : لا تشتري فرسا من أسدي ولا جملا من تهدي ولا عيرا من تميمي ولا عبدا من يحملي . ونسب الهيثم الخامس ، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الحدود في هذه الأشياء . قيل لبني عباس : أيّ الإبل
 (١) غل تنسب اليه الحمر . قاموس . (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما
 في الفتوغرافية «يتجنب» . (٣) في النسخة الفتوغرافية «عبد الحميد» وهما واردان ، ما في كتب التراجم .
 (٤) كذا بالفتوغرافية وفي الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية الفتوغرافية أصح اذ لم تنف في ترجمة ابن عباس على ان الهيثم روى عنه ، ولعل هيثم هذا هو الهيثم بن حارثة الخراساني فقد روى عن إسماعيل بن عباس كما في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني .

أصبر عليكم في محاربتكم ؟ قال الرُّمك الجُمَاد . قيل : فأى الخيل وجدتم أصبر ؟
قالوا : الكُمَّت الحُو . قيل : فأى النساء وجدتم أصبر ؟ قالوا : بنات العم .

المدائني قال قال شَبَّة بن عِقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني
الحج ، ومعى ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقه له فطويته فلما جُرته
قام بي بعير لي ثم آنح ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتني فمر بي اليماني فقال :
سررت بنا ولم تسلم ولم تعرض . فقلت : أجل يرحمك الله . قال : أتطيب نفسك عما
أرى ؟ قلت : نعم . فنزل فأرني أنساع رَحْله ثم قدمه فكاد يضعه على عنقه ثم شدّه
وقال لي : لولا أنك لا تضبط رأسها لقدمتك . ثم قال لي : خذ حُرّ متاعك إن
لم تطب نفسك به ففعلت ، ثم ارتدفت فجعلت تعوم عوما ثم انسلت كأنها ثعبان يسيل
سيلا كالماء فما شعرت حتى أرائني الأعلام وقال : أسمع ؟ فسمعت أصوات الناس
فاذا نحن بجمع ، فقضيت حِجَّتِي ، وكان قال لي : حاجتي إليك ألا تذكر هذا فان هذه
عندى أثر من ولاية العَرُوض يعني مكة والمدينة ، أدرك عليها الثأروهي ثَمَال العيال
وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الموسم في كل عام من صنعاء في أقل من غيب
الحمار فسألته : من أين هي ؟ قال : بُجَاوِيَّة من هَوَامِي نَتَاج [بدو] بَجِيلَة الأولى وهي من
المَهَارِي التي يذكر الناس .

[وكتب سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصب لي نجائب كراما . فقدم رجل
على جمل سُبَاعِيٍّ عظيم الهامة له خلق لم يروا مثله قط فساموا ، فقال : لا أبيع .
قالوا : لا ندعك ولا نعصبك ولكننا نكتب الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا
من هذا ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : معكم نجائب كرام وخيل سابقة ، فدعوني أركب

(١) في الفتوحرافية "قد كان ذاك رحمك الله" . (٢) هي المزدلفة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

بجلى وأبعثه وأتبعونى فإن لحقتمونى فهو لكم بغير ثمن . قالوا : نعم . فدنا منه فصاح
فى أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فبكأ ثم أنبعث وأتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم
يروا له أثرا بفعل أهل اليمن علما على وثبته يقال له : الكفلان .

أخبار الجبناء

- ٥ حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعى قال : أرسل عبيد الله بن زياد
رجلا فى ألفين الى مرداس بن أدية وهو فى أربعين فهزمه مرداس فعتقه ابن زياد
وأغلظ له فقال : يشتمنى الأمير وأنا حى أحب الى من أن يدعولى وأنا ميت . فقال
شاعر الخوارج

- ألفا مؤمن منكم زعمتم * ويهزمهم بأسك أربعونا
١٠ كذبتهم ليس ذلكم كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة ينصروننا

- حدثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن عون عن الحسن قال ، قال
النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ألتقت فتتان قط إلا وكف الله بينهما فاذا أراد أن
يهزم إحدى الطائفتين أمال كفه عليها » . [ورفع معاوية ^(١) شُدُوته بيده وقال : لقد علم
١٥ الناس أن الخيل لا تجرى بمثل ، فكيف قال النجاشى

- ونجى ابن حرب سابق ذو علالة * أجش هزيم والرماح دوانى [
ابن دأب قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعيانى أن أعلم أجبان أنت
أم شجاع ؟ فقال

شجاع اذا ما أمكنتنى فرصة * وإلا تكن لى فرصة بغبان

شهد أبو دلامة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له : تَهْتَم فقاتل . فقال
 إني أعوذ بروح أبي يقدمني * إلى القتال فتخزي بي بنو أسد
 إن المهلب حب الموت ورتكم * ولم أُوْرث حب الموت عن أحد .
 أبو المنذر قال ، حدثنا زيد بن وهب قال ، قال لي علي بن أبي طالب رضي الله
 عنه : عجبا لابن النابغة ! يزعم أني تلعبه أعافيس وأماريس ! أما وشر القول أكذبهُ ،
 إنه يسأل فيلحِف ويُسأل فيبخل ، فإذا كان عند البأس فانه أمرؤ زاجر مالم تأخذ
 السيوف مأخذها من هام القوم ، فإذا كان كذلك كان أكبرهم أن يُرْقِطَ ويمنَح
 الناس آسته . فَبَحَ الله وترَّحه . وقال الفرَّار السَّلمى

وصكتيبة لبستها بكتيبة * حتى إذا التبتت نفضت بها يدي
 وتركتم تقص الرماح ظهورهم * من بين منجلد وآخر مسند
 ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقُتلت دون رجالهم : لا تبعد

وقال آخر

أضحت تشجعني هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب
 لا والذي حجت الأنصار كعبته * ما يشتهى الموت عندي من له أرب
 للحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعَّتهم إلى حوْبائها وثبوا^(٣)
 ولست منهم ولا أبني فعالهم * لا القتل يعجبني منها ولا السلب

وقال أيمن بن حُرَيم

إن للفتنة ميطا بينا^(٤) * فرويد الميط منها يعتدل

(١) كذا بالنسخين ، وفي الأغاني : « وما ورثت اختيار الموت عن أحد » .
 (٢) رواه في العقد الفريد « لا والذي منع الأبصار رؤيته » . (٣) في النسخة الألمانية « نيرانها » .
 (٤) هكذا في النسخين الألمانية والفتوغرافية ، وفي العقد الفريد « عاجلا » .

فاذا كانت عطاء فأتهم * واذا كانت قتال فاعتزل

إنما يسعها جهاتها * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر

كلني الأعنة من كفه * وقاد الجياد بأذانها

وقال جرّان العود في الدهش

يوم ارتحلت برحلى قبل تودعتي * والقلب مستوهل بالين مشغول

ثم اعتضضت على نضوي لأدفعه * إثر الحمول الغواذي وهو معقول^(١)

كان خالد بن عبد الله من الجبناء نرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة [من

الرافضة] وهو من بجيلة فقال من الدهش : أطعموني ماء . فذكره بعضهم فقال^(٢)

عاد الظلوم ظليما حين جدّ به * واستطعم الماء لما جدّ في الحرب

وقال عبيد الله بن زياد إما للكنة فيه أو لجن أودهشة : افتحوا سيوفكم .

وقال ابن مفرغ الحميري

ويوم فتحت سيفك من بعيد * أضعت وكل أمرك للضياح

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا

أكان الجبان يرى أنه * سيقتل قبل انقضاء الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه

طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي^(٣) ، فلا نامت أعين الجبناء .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفي الفتوغرافية « اغترت » بالراء المهملة وهو محرف عن

« اغترزت » بالزاي المعجمة ومعناه ركبت وأصله وضع الرجل في الفرز وهو الركاب . (٢) في النسخة

الألمانية « وهو مول لبجيلة » . (٣) كذا بالنسخة الفتوغرافية ، وفي النسخة الألمانية « أموت

على فراشي كما يموت العير » وفي العقد الفريد « ثم ها أنذا أموت حتف نفسي كما يموت العير » .

(١) [قيل لأعرابي : ألا تفزون إن الله قد أندرك . قال : والله إني لأبغض الموت
على فراشي فكيف أمضي إليه ركضاً !] وقال قِرَوَاشُ بن حَوْط وذكر رجلين
ضَبْعاً مُجَاهِرَةً وَلَيْثاً هُدْنَةً * وَثُعَيْلِياً نَحْرَ إِذَا مَا أَظْلَمَا .

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد
إِذَا صَوْتُ الْعُصْفُورِ طَارَ فَوَادِهِ * وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْأَنْحَرِ (٢)

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عِيْدَا وَأَزْمَا
وقال الله جل وعز (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

ومن أشعار الشُّطَّارِ فِي الْجَبَانِ

رَأَى فِي النَّوْمِ إِنْسَانًا * فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْهَرُ (٣)

قال ابن المقفع : الجبن مقتلة والحرص محرمة فانظر (فيما رأيت وسمعت) : من قُتِلَ
فِي الْحَرْبِ مَقْبَلًا أَكْثَرُ أَمْ مِنْ قُتِلَ مَدْبَرًا ؟ وانظر من يطلب اليك بالإجمال والتكرم أحق
أَنْ تَسْخُو نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مِنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالشَّرِّ وَالْحَرْصِ ؟ وقال حَنْشُ (٤)
ابن عمرو

وَأَتَمَّ سَمَاءٌ يَعْجِبُ النَّاسَ رِزْهًا * لَهَا زَجَلٌ بَاقٍ شَدِيدٌ وَثِيدٌ
تَقْطَعُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ * وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقَها وَرَعُودُها
فَوَيْلُهَا خَيْلاً تَهَاوَى شَرَارُها * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صِدُودُها

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) هو العوام بن شاذب الشيباني . (٣) هكذا في النسختين
الفرنغرافية والألمانية وفي المقد الفريد "عصفورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات في الحماسة لقراد بن حنش الصاردي وروى البيت الأول

وَأَتَمَّ سَمَاءٌ يَعْجِبُ النَّاسَ رِزْهًا * بِأَبْدَةٍ تَحْيَى شَدِيدٌ وَثِيدُها
والثالث فَوَيْلُهَا خَيْلاً بَهَاءً وَشَارَةً * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صِدُودُها

وقال الفرزدق أو البعيث

سائل سَلِيْطًا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَفْرَعَهَا * مَا بَالُ خَيْلِكُمْ قُعْسًا هَوَّادِيَهَا

لا يرفعون إلى دأج أعنتها * وفي جَوَاشِنِهَا دَاءٌ يُجَافِيهَا

- كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مرثد ويكنى أبا الأغرة ينزل
ببني أخت له في سكة بني مازن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم
في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في الدار إلا الإماء فدخل
كلب يعتس فرأى بيتا فدخله وأنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا
دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغرة فأخبرته، فقال أبو الأغرة: ما يبتغي اللص؟ ثم
أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا ملأمان، أما والله إنك بي لعارف
فهل أنت إلا من لصوص بني مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت القدوح
في رأسك منتك نفسك الأمانى وقلت: أطرق ديار بني عمرو والرجال خلوف والنساء
يصلين في مسجدهم فأسرقهم . سوء لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله
لتخرجن أولاهن هتفة مشرومة يلتقي فيها الحيان عمرو وحنظلة وتجيء سعد بعدد
الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود .
فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال : اخرج أبى وأمى، أنت مستور، إني
والله ما أراك تعرفنى ولو عرفتنى لقنعت بقولى واطمأنت إلى . أنا — فديتُك —
أبو الأغرة النهشلى، وأنا خال القوم وجلدة بين أعينهم لا يعصوننى، ولن تضار الليلة
فأخرج فأتت في ذمتى وعندى قوصرتان أهدهما إلى ابن أختى البار الوصول فخذ
إحدهما فانتهذا حلالا من الله ورسوله . وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا
سكت وثب يُريغُ المخرج، فتهاتف أبو الأغرة ثم تضاحك وقال : يا ألام الناس
وأوضعهم ، لا أرى إلا أنى لك الليلة في واد وأنت لى في واد ، أقلب السوداء

والبيضاء فتُصَيِّخ وتُطْرِق ، وإذا سكتَ عنك وثبتَ تُريغ المخرج ، والله لتخرجنَّ أولًا لحنٌ عليك البيت . فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعرابي مجنون ، والله ما أرى في البيت شيئاً ، فدفعت الباب فخرج الكلب شتاً وحاد عنه أبو الأغر ساقطاً على قفاه ، ثم قال : يا الله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلا كلباً ، أما والله لو علمت بحاله لولحت عليه . ٥

وشبهه بهذا حديث لأبي حية الثميري ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان يسميه لعاب المنية . قال جاره : أشرفت عليه ليلة وقد أنتضاه وشمرو هو يقول : أيها المغترّبنا والمجتريّ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهور ضربته لاثخاف نبوته . أخرج بالعفو عنك وإلا دخلتُ بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدعُ قيساً تملأ الأرض خيلاً ورجلاً . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيها ! ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً . ١٠

وقرأت في كتاب كليله ودمنة : يخاف غيرة الخوف طائر يرفع رجله خشية السماء أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجله حذار الخسف إن قام عليهما ، ودودة تأكل التراب فلا تشبع خوفاً أن يفنى إن شيعت فتجوع ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار أن تصطاد لحسنها . ١٥

بيننا عبد الله بن خازم السلمي عند عبيد الله بن زياد إذ دُخل عليه يُجوزُ أبيض فعجب منه وقال : يا أبا صالح ، هل رأيت أعجب من هذا ؟ وإذا عبد الله قد تضاعل حتى صار كأنه فرخ وأصفر حتى كأنه جرادة ذكر . فقال عبيد الله : أبو صالح يعصى الرحمن ويتهاون بالشیطان ^(١) ويقبض على الثعبان ويمشي إلى الأسد الورْد ويلقى الرماح بوجهه قد اعتراه من هذا الجرد ما ترون ! إن الله على كل شيء قدير ! ٢٠

(١) كذا بالنسختين ، وفي العقد الفريد : « ويتهاون بالسلطان » .

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهزم،
فقال فيه حسان

إن كنت كاذبة الذي حدثتني * فتجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأجابة لم يقاتل دونهم * ولجأ برأس طيمرة وجام
فاعتذر الحارث من فراره وقال

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسى بأشقر مُزبد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشمدي
فصددت عنهم والأجابة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد^(١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وخرج في زمن عمر من مكة الى الشام
بأهله وماله ، فأتبعه أهل مكة ليكون ، فرق وبكى ثم قال : أما إنا لو كنا نستبدل دارا
بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا ، ولكنها الثقلة الى الله ، فلم يزل هنالك مجاهدا
حتى مات .

المدائني قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له : مم تضحك
يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك؟ قال : أضحك من حضور ذهرك عند إبدائك
سوءتك يوم ابن أبي طالب ، أما والله لقد وافقته منانا كريما ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك .
قال عمرو : يا أمير المؤمنين أما والله إني لمن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت
عينك وربا سحررك وبداء منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أودع .

وقدم الجحاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس
عربية وكنانة ، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت : من هذا
الأعرابي المستلثم في السلاح عندك وأنت في غلالة؟ فبعث اليها أنه الجحاج ، فأعادت

(١) هكذا في النسختين الألمانية والفتوغرافية ، والذي في المعارف للصنف "يوم سرمد" .

الرسول إليه ، فقال : تقول لك والله لأن يخلوبك ملك الموت أحيانا أحبّ الىّ من أن يخلوبك الحجاج ، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست قهرمانة فلا تطلعها على شرك ومكايدة عدوك . فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غدا بأن يأتيني مستلثما ، ففعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما ، ثم قالت : إيه يا حجاج ، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث ، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الاسلام ، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فان كنت ينفرجنّ عن مثله فغير قابل لقولك ، أما والله لقد نفّض نساء أمير المؤمنين الطيب من غداثرهن فيبعته في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن^(١) قد أظلتك رماحهم وأثنحك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجأك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه ، قاتل الله القائل حين نظر اليك وسمان غزالة بين كتفيك

أسد على وفي الحروب نعمة * فتخاء تنفير من صغير الصافر

هلا كررت على غزالة في الوعى * بل كان قلبك في جوائح طائر

وغزالة امرأة شبيب الخارجي . ثم قالت : أخرج ، فخرج .

وكان في بني ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناسا من بني سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مفرا ، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم نثّل كنانته وأخذ قوسه وقال^(٢)

(١) في النسخة الفتوغرافية "القوت" . (٢) هو عاصم بن ثابت كما في اللسان مادة (عنب) ورواه

ماطى وأنا طب خائل * والقوس فيها ورعنا بل

* نزل عن صفحته المعابل *

ما علّتي وأنا جلد نابل * والقوس من نبع لها بلابل
يرزّ فيها وتر عنايل * ان لم أقاتلكم فأنى هابل
أكل يوم أنا عنكم ناكل * لا أطعم القوم ولا أقاتل
* الموت حق والحياة باطل *

- ثم جعل يرميهم حتى ردهم ، وجاءهم الصريح وقد منع الحى ، فصار بعد ذلك شجاعا سمحا معروفا .

- ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وجه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجه معه روح بن زنباع الجذامي كالوزير ، وكان روح رجلا عالما داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تخوفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا فى إخراجهم عنهم فكتبوا ليللا على بابه ١٠
إن ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك ياروح بن زنباع

- فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه فى الشخص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تركت أخاك مقتولا أو مغلوعا . قال : كيف عرفت ذلك ؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى لحص برجليه ، ثم قال : احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم . ١٥
كان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وجه إلى أبى فديك فانهزم وأتى الجحاج بدواب من دواب أمية قد وسم على أنفها "مئة" فأمر الجحاج فكتب تحت ذلك : "للفرار" .

- [وقال عمر رضى الله عنه : إن الشجاعة والجن غرائز فى الرجال ، تجدد الرجل يقاتل عمن لا يبالى ألا يؤوب إلى أهله ، وتجدد الرجل يفزع عن أبيه وأمه ، وتجدد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] . ٢٠

وقال الشاعر

يفتر الجبابرة عن أبيه وأمه * ويحيى شجاعُ القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأصمعي قال سمعت الحرسي يقول: رأيت من الجبلين والشجاعة عجباً . استترنا من مزرعة في بلاد الشام رجلين يُدريان حنطة، أحدهما أصيفر^(١) أحيمس، والآخر مثل الجمل عظماء، فقاتلنا الأصيفر بالمذرى لا تدنو منه دابة إلا نحس أنفها وضربها حتى شق علينا فقتل ، ولم نصل إلى الآخر حتى مات فرقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصَّفَّار قال : حاصر مسلمة حصنا فندب الناس إلى نقب منه ، فما دخله أحد . فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتي ، فعزمتُ عليه إلا جاء . فجاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً : ألا تسودوا اسمه في صحيفة [إلى الخليفة] ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو . قال : فذاك له . قال : أنا هو . فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفتوغرافية "أخيس" ولعله "أحيمس" مصنف أحش وهو دقيق الساقين .

(٢) في الألمانية "عثمان" ولم نعر عليه في كتب التراجم ، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصَّفَّار كما في كتب التراجم . (٣) زيادة في الألمانية .

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال كتب أنوشروان إلى مرازبته : عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابي قوما تحاربوا فقال : أقبلت الفحول تمشي مشي الوعول ، فلما تصالحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : أحثثوا كل جمالية صيرانية فما زالوا يخصفون أخفاف المطى بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثلاثة فجعلوا المران أرشية الموت واستقوا بها أرواحهم .

حدثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمنا من قطرى وأصحابه فادركني رجل على فرس فسمعت حسا منكرا خلفي ، فالتفت فإذا أنا بقطرى فيئت من الحياة فلما عرفني قال : أشد عنائها وأوجع خاصرتها قطع الله يدك . قال : ففعلت فنجوت منه .

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شبيب ^(١) [قالت امرأة : الغرق يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال فـ] أخرج فيشق بطنه وأخرج فؤاده فإذا مثل الكوز ، فجعلوا يضربون به الأرض فيثرو .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء قال : لما كان يوم الكلاب خرج رجل من بني تميم ، أحسبه قال : سعدى ، فقال : لو طلبت رجلا له فداء ! قال : نخرجت أطلبه ، فإذا رجل عليه مقطعة يمانية على فرس ذئوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يساري أقصد لي . قلت : أيها ت منك اليمين . قال : العراق مني أبعد . قلت : وتالله لا ترى أهلك العام . قال لا والله ولا أهلك لا أراهم . قال : فتركته ولما كان بعد أيام ونعت نعت بعد ذلك ، فقل لي : هو وعله الجرمي .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قبيل خراسان فيقتلهم العدو ليلاً وفرقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففرع الناس وكان أول من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إِنِّي عَلَى كُلِّ رَيْسٍ حَقًّا * أَنِّي خَضِبُ الصُّعْدَةَ أَوْ تَدَقًّا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت انهزموا . ثم حمل على الكردوس^(١) الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مَرَوْ الرُّوذ .

سأل ابن هبيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : سألنا وكيع ابن الدُّورقيّة كيف قتلته ؟ قال : غلبته بفضل فتاء كان لي عليه فصرعته وجلست على صدره وقلت له : يا لثارات دُوَيْلَةَ . يعني أخاه من أبيه . فقال من تحتي : قتلك الله ! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لا يساوي كف نوى ! ثم تنخّم فلأ وجهي ثُخامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدلل عليها بكثرة الريق في ذلك الوقت .

قال هشام لمسامة : يا أبا سعيد هل دخلك دُعر قط لحرب [أو عدو] قال : ما سلمت في ذلك من دعر ينبّه على حيلة ولم يَغشني فيها دعر سلبني رأيي . قال هشام : هذه البسالة .

خرج رُهم بن حَزْم الهلالي ومعه أهله وماله يريد الثُقلة من بلد إلى بلد فلقيه ثلاثون رجلاً من بني تَغْلِب فعرّفهم ، فقال : يا بني تغلب ، شأنكم بالمسال وخلّوا

٢٠ (١) الكردوس : الكتيفة من الخيل في الحرب . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في النسخة الألمانية «زهير» ولم نثر على ما يرجح إحدى الروايتين .

الطعينة . فقالوا : رضينا إن ألقيت الرمح . قال : وإن رمحي لمي . وحمل عليهم
فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال

رُداً على آخرها الأتاليا * إن لها بالمشرفي حادياً
* ذكرني الطعن وكنت ناسياً *

قال الزبيرى : ما أستحيا شجاع أن يفتر من عبد الله بن خازم السلمي وقطري
ابن الفجاعة .

أبو اليقظان قال : كان حبيب بن عوف العبدي فاتكاً، فلقى رجلاً من أهل الشام
قد بعثه زياد ومعه ستون ألفاً يتجر بها فسايره، فلما وجد غفلة قتله وأخذ المال فقال
يوماً وهو يشرب [على لذته]^(١) .

يا صاحبي أقلل اللوم والعدلا * ولا تقولاً لشيء فات ما فعلاً
رُداً على كُبت اللون صافية * إني لقيت بأرض خاليا رجلاً
ضخم الفرائص لو أبصرت قمته * وسط الرجال إذن شبهته بجملاً
ضاحكته ساعة طورا وقلت له * أنفقت بيعك إن ريتنا وإن عَجلاً^(٢)
سايرته ساعة ما بي مخافته * الا التلفت حولي هل أرى دَعَلاً
غادرته بين آجام ومسبحة * لم يدري غيري بعدى بعد ما فعلاً
يدعو زيادا وقد حانت منيته * ولا زياد لمن قد وافق الأَجلاً

المفضل الضبي : كان سُلَيْك بن سُلَيْكة التيمي من أشد فرسان العرب وأذكهم
وأدل الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل وكانت أمه سوداء
وكان يقول : اللهم إنك تهني ما شئت لما شئت اذا شئت ، اللهم إني لو كنت
ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الفتوغرافية : « إن زينا وإن صلا » .

فأما الهيبة فلا هيبة . وأما حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجله رجاء أن يصيب
غرة من بعض من يمر عليه فيذهب بإبله ، حتى إذا أمسى في ليلة باردة مقمرة
واشتمل الصَّماء ونام إذا هو برجل قد جثم على صدره وقال : استأسر . فرفع سليك رأسه
وقال : «إن الليل طويل وأنت مُقيم» بخرى مثلاً ، وجعل الرجل يلهو ويقول :
استأسر يا خبيث ، فلما آذاه ضمه إليه ضمةً ضرط منها وهو فوقه ، فقال له سليك :
«أضرطاً وأنت الأعلى» بخرى مثلاً ، ثم قال له : ما أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت ،
فقلت : لأخرجن ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فانطلق معي ، فمضيا فوجدوا رجلاً
قصته مثل قصتهما ، فاتوا جوف مُراد وهو واد باليمن فاذا فيه نَمَّ كثيرة ، فقال لهما
سليك : كونا قريباً حتى آتي الرعاء وأعلم لكما علم الحى أقرب هو أم بعيد ، فإن
كانوا قريباً رجعت اليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أُحى^(١) به لكما فأغيرا .
فانطلق حتى أتى الرعاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ،
فقال لهم سليك : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى . فتغنى بأعلى صوته ليُسمع صاحبيه :
يا صاحبيّ ألا لا حى بالوادي * إلا عبيدٌ وأمٌّ بين أذواد
أستظران قليلاً ريث غفلتهم * أم تعدوان فان الرج للعادي
فلما سمعا ذلك أتيا السليك فأطردوا الإبل وذهبوا بها .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان سليك يُحضر فتقع السهام من مكانته
فترتن في الأرض من شدة إحضاره . وقال له بنو كنانة حين كبر : أرايت أن ترينا
بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لي أربعين شاباً وأبعوني درعا ثقيلة ،
فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلاث العدو^(٢)
أوثاً واهتبصوا في جنبتيه فلم يصحبوه إلا قليلاً بغاء يُحضر مُنبِتاً من حيث لا يرونها
وجاءت الدرع تخفق في عنقه كأنها خرقة .

(١) من رعى يحى إذا أوما . (٢) عدوا .

- (١) قال سهل وحدثني العُتبي قال حدثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه قال : كنت عند المهاجرين عبد الله وإلى الإمامة فأُتِيَ بأعرابي قد كان معروفاً بالسرق فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يُسبق وكانت لي خيل لا تُلحق^(٢) ، فكنت لا أخرج فأرجع خائباً فخرجت يوماً فاحترشتُ ضباً فعلقته على قَتبي ثم مررت بنجاء سرى ليس فيه إلا عجوز ، فقلت : أخلق بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن مثدن اللحم ومعه عبد أسود وغد ، فلما رأني رحب بي ثم قام إلى ناقة فاحتلبها وناولني العلبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم احتلب تسع أئنيق فشرب ألبانهم ثم نحروا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحشاً كُومَةً من بطحاء وتوسدّها وغطّ غطيظَ البكر ، فقلت : هذه والله النعمة . ثم قتت إلى فحل إبله فخطمته ثم قرنته إلى بعيري وصحّت به فأتبعني الفحل وأتبعته الإبل إرباباً به ، فصارت خلفي كأنها جبل ممدود ، فضيت أبادر ثنيةً بيني وبينها مسيرة ليلة للسرّ ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرّة وأقرعه برجلي أخرى حتى طلع الفجر ، فأبصرت الثنية فإذا عليها سواد فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه في حجره فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا . فأخرج سهماً كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصريين أذنّي الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأيي الأول . قال : انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدره بيده ثم وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث في عكوة ذنبه والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، فقلت :

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « عن بعض أهله » وفي العقد الفريد « وحدث العتبي عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجرين » . (٢) في الأصل « تحلف » والتصويب عن العقد الفريد .

أنزل آتنا؟ قال : نعم . فترلت فدفعت إليه خطام فخله وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى يرميني بسهم ينتظم به قلبي ، فلما تنحيت قال لي : أقبل . فأقبلت والله خوفا من شره لا طمعا في خيره ، فقال : أي هذا ، ما أحسبك جشمت الليلة ما جشمت إلا من حاجة . قلت : أجل . قال : فاقرن من هذه الإبل بعيرين وأمض لطيتك ، قلت : أما والله حتى أخبرك عن نفسك قبلا . ثم قلت : والله ما رأيت أعرايا قط أشد ضررا ولا أعدى رجلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك .

وقرأت في كتاب سير المعجم أن بهرام جور خرج ذات يوم الى الصيد ومعه جارية له فعرضت له طباء ، فقال للجارية : في أي موضع تريدان أن أضع السهم من الوحش ؟ فقالت أريد أن تُشبه ذُكرانها بالإناث وإناثها بالذُكران ، فرمى تيسا من الطباء بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى عتزا منها بنشابتين فأثبتتهما في موضع القرنين . ثم سألته أن يجمع أذن الطي وظلفه بنشابة واحدة فرمى أصل أذن الطي ببنْدُقة فلما أهوى بيده الى أذنه ليحتك رماء بنشابة فوصل ظلفه بأذنه ثم أهوى الى القينة فضرب بها الأرض وقال : شدَّ ما اشتططت^(١) علي وأردت إظهار عجزى !

وقرأت في كتبهم أن كسرى استعمل قرابة له على اليمن يقال له المروزان ، فأقام بها حيناً ثم خالفه أهل المصانع — والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل آخر بينهما فصل إلا أنه متقارب ما بينهما — فسار اليهم المروزان فنظر الى جبل لا يطمع أحد أن يدخله إلا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد ، فلما رأى أن لا سبيل اليهم صعد الجبل الذي هو وراء المصانع من حيث يُحاذى حصنهم فنظر

(١) في الأصلين «أشد» وهو تحريف .

الى أضيق مكان فيه وتحت هواء لا يُقدر قدره، فلم ير شيئاً أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صفين ثم يصيحوا به صيحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع حُضرا رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فاذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه حمير قالوا : هذا أئيم . والأئيم بالحيرية شيطان، فاتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضا ففعلوا واستزلمهم من حصنهم قتل طائفة وسبي طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتمعجب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم اليه وأراد أن يسأى به أساورته، فاستخلف المروزان ابنه ثم توجه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعوه في تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوضع في خزانته فكان يُخرج في كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا .

وروى أبو سؤقة التميمي عن أبيه عن جده عن أبي الأغر التميمي قال : بينا أنا واقف بصفين مر بي العباس بن ربيعة مكفراً بالسلاح وعيناه تيصبان من تحت المغفر كأنهما عينا أرقم وبيده صفيحة له وهو على فرس له صعب يمنعه ويلين من عريكته اذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم : يا عباس هلم الى البراز . قال العباس : فالترول اذا فانه إياس من القفول . فنزل الشامى وهو يقول

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تزلون فانا معشر نزل
وثنى العباس وركه فنزل وهو يقول

وتصد عنك تحيلة الرجل * عريض موضحة عن العظم
بجسام سيفك أو لسانك * والكلم الأصيل كأرغب الكلم

(١) عبارة الفتوغرافية « وبيده صفيحة له يمانية يقلها وهو على فرس له صعب فينادو يقابها (وليفته) »

ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ » .

ثم غَضَّنَ فَضَلَاتِ درمه في مُحْجَزَتِه ودفع قوسه الى غلام له أسود يقال له : أسلم
كأنى أنظر الى فَلَائِلِ شعره ثم دَلَفَ كُلَّ واحد منهما الى صاحبه فذكرت بهما قول
أبي ذؤيب

فتنازلا وتواقفتُ خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مُحْدَع

- ٥ وكف الناس أعنة خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكالحا بينهما ملياً من
نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لجمال لأمته الى أن لحظ العباس وهياً في درع
الشامى فأهوى اليه بيده فهتكه الى شُدُوتِه ثم عاد لمجاولته وقد أضمر له مفتق الدرع
فضربه العباس ضربة انتظم بها جوائح صدره ونحر الشامى لوجهه وكبر الناس تكبيرة
ارتجّت لها الأرض من تحتهم وأنشأ العباس في الناس [وأنساع أمره] وإذا قائل
يقول من ورأى (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ
١٠ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فالتفت
وإذا أمير المؤمنين رضى الله عنه على بن أبى طالب، فقال : يا أبا الأغر، من المنازل
لعدونا؟ فقلت : هذا ابن أخيك، هذا العباس بن ربيعة. فقال : إنه لهو، يا عباس
ألم أنك وابن عباس أن تخلّا بمركزك أو تباشرا حرباً؟ قال : إن ذلك . يعنى نعم .
١٥ قال : فما عدّا مما بدأ؟ قال : فأدعى الى البراز فلا أجيب؟ قال : نعم، طاعة إمامك أولى
بك من إجابة عدوك . ثم تغيط وأستشاط حتى قلت : الساعة الساعة، ثم تطامن
وسكن ورفع يديه مبتهلاً فقال : اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه، اللهم
إنى قد غفرت له فاغفر له . قال : وتأسف معاوية على عرار وقال متى يَنْطَفُ فُخْلٌ
بمثله ! أَيْطَلْ دمه ! لاها الله ذا . ألا الله رجل يشرى نفسه يطلب بدم عرار؟ فانتدب له
٢٠ رجلان من نخم . فقال : اذهبا فأيتكما قتل العباس برازا فله كذا . فأتياه ودعواه الى
البراز فقال : إن لى سيدا أريد أن أوامره . فأتى علياً فأخبره الخبر، فقال على : والله

- لوذ معاوية أنه ما بقي من هاشم نافع ضربة الا طعن في نبطه^(١) إطفاء لنور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنهم منا رجال، ورجال يسومونهم الخسف حتى يحفروا الآبار ويتكففوا الناس . ثم قال : يا عباس ناقلني سلاحك بسلاحى ، فتأمله وثب على فرس العباس وقصد التميميين . فلم يشك أنه العباس فقال له : أذن لك صاحبك؟ خرج أن يقول نعم ، فقال : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصيرهم لقدير) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكانما أخطاه ، ثم برز له الآخر فالحقه بالأول ، ثم أقبل وهو يقول : (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم قال : يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى ، فإن عاد لك أحد فعُدْ الى ، ونمى الخبر الى معاوية فقال : قبح الله الججاج إنه لقعود ما ركبته قط إلا خذلت . فقال عمرو ابن العاص : المخذول والله التميميان لا أنت . قال معاوية : اسكت أيها الرجل فليس هذه من ساعتك . قال : وإن لم تكن ، رحم الله التميميين وما أراه يفعل . قال : ذاك والله أخسر لصفقتك وأضيق لمحرك . قال : قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة منها . قال : هي أعمتك ولولا هي لألفيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
- ١٥ فإن تعطينى مصرا فأرج بصفقة * أخذت بها شيئا يضروني نفع
- خرج الأخينس الجهني تلقى الحصين العمرى^(٢) ، وكانا جميعا فاتكين ، فسارا حتى لقيارجل من كندة في تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فقتل تحت شجرة

(١) كنب في النسخة الفتوغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هذه الجملة فى مادة "نبط" معناه : إلامات . ثم قال : وقيل النبط نياط القلب وهو العرق الذى القلب متعلق به .

(٢) فى النسخة الألمانية : "شينا" . (٣) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب كما فى لسان العرب وفى الألمانية «العبرى» بالياء . وفى اللسان وجمع الأمثال يرويه الحصين الكلابي .

يا كل ، فلما انتهى اليه سلما . قال الكندي : ألا تضحيان؟ فتلا . فبينما هم يأكلون
مرّ ظليم فنظر اليه الكندي وأيده بصره فبدت له لَبَتَه ، فاغتره الحصين فضرب بطنه
بالسيف فقتله ، وانتسبا ماله وربكا ، فقال الأخينس : يا حصين ما صَعَلَةٌ وصَعَلٌ؟
قال : يوم شرب وأكل . قال : فأنعت لي هذه العقاب . فرفع رأسه لينظر اليها
فوجأ بطنه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا الحصين يقال لها صَخْرَة
لما أبطا عليها خرجت تسأل عنه في جيران لها من مراح وجرم . فلما بلغ ذلك
الأخينس قال

وكم من فارس لا تزدرية * إذا شَخَصَتْ لموقفه العيونُ
يذلّ له العزيز وكل ليث * شديد الهضم مسكنه العرين
علوت بياض مفرقه بعضب * ينوء لوقعه الهام السكون^(٣)
فأمت عرسه ولما عليه * هدوء بعد ليلته أنين^(٤)
كصخرة أذ تسأل في مراح * وفي جرم ، وعلمها ظنون
تسأل عن حصين كل ركب * وعند جُهينة الخبر اليقين

فذهبت مثلاً

[نخرج المهديّ وعلى بن سليمان الى الصيد ومعهما أبو دلّامة الشاعر . فسبحت
لهم ظباء فرمى المهديّ ظيباً فأصابه ، ورمى على بن سليمان كلباً فعقره ، فضحك
المهدي وقال لأبي دلّامة : قل في هذا ، فقال

ورمى المهديّ ظيباً * شكّ بالسهم فؤادَه

(١) في النسخة الفتوغرافية : "تصطبجان" . (٢) كذا في الأصل والصواب أبدّه بالباء الموحدة
يقال أبدّه النظر أي أعطاه بدّته من النظر أي حظه . (٣) في الفتوغرافية «تتق» وهو من تق يتق
بمعنى صوت . (٤) كذا بالأصل وفي أمثال الميداني :

وأضحت عرسه ولما عليه * بعبد هدوء ليلتها رنين

(٥) زيادة في النسخة الألمانية .

وعلى بن سليماً * ن رمى كلباً فصاده
فهيناً لهما كل امرئ يأكل زاده

- قال أبو دلامة: كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى شبيب الخارجي، فلما التقى
الزحفان خرج منهم فارس ينادي: من يبارز؟ بفعل لا يخرج إليه إنسان إلا أعجله
ولم ينهيه، فغاض ذلك مروان، بفعل يندب الناس على خمسمائة، فقتل أصحاب خمس
المائة، وزاد مروان على نذبه فبلغ بها ألفاً، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالندبة
خمسة آلاف درهم، وتحتي فرس لا أخاف خونه، فلما سمعت بخمسة الآلاف نزقته
واقترحت الصف، فلما نظر إلى [الخارجي] علم أني خرجت للطمع، فأقبل يتها إلى
وإذا عليه قروله قد أصابه المطر فارمعل ثم أصابته الشمس فاقفعل وعيناه تدران
كأنهما في وقين، فدنا مني وقال:

وخارج أخرج به حب الطمع * فتر من الموت وفي الموت وقع
* من كان ينوي أهله فلا رجع *

- فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هارباً، وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟
أثتوني به، ودخلت في غمار الناس فنجوت

- كان خالد بن جعفر نديماً للنعمان، فبينما هو ذات يوم عنده وقد دعا النعمان بتمر
وزبد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال النعمان: آدن يا حارث
فكُل، فدنا. فقال خالد: من ذا أبيت اللعن؟ قال: هذا سيد قومه وفارسهم
الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إن لي عنده يدا. قال الحارث: وما تلك اليد؟
قال: قتلتُ سيد قومك فتركك سيدهم بعده. يعني زهير بن جذيمة، قال الحارث

- (١) في الأصلين الخمس مائة وفيهما بالخمس آلاف، ولم يقل بصحته إلا قليل من العلماء كما في شرح الماردى
على التسهيل . (٢) ابتل . (٣) قبض . (٤) كتب في الفنوغرافية تحبها كالتفسير لها
«تلوحان» . (٥) الوقب قبر في الصخرة يجتمع فيه الماء .

أما إني سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزمّ وأرعدت يده ، فأخذ يعبت بالتمر فقال له
خالد : أيتنّ تريد فأنا ولكمها ؟ قال الحارث : أيتنّ تهلك فأدعها ؟ ثم نهض مغضباً ،
فقال النعمان لخالد : ما أردت بهذا وقد عرفت قتلك وسفّهه ؟ فقال : أبيت اللعن ،
وما تتخوف علىّ منه ؟ فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني . فانصرف خالد فدخل قبة له من
أديم بعد هدأة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس نرج الحارث
حتى أتى القبة من مؤخرها فشققها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإطنابة

علّاني وعلّلا صاحبياً * وأسقياني من المرقوق رياً
إنّ فينا القيّان يعزفن بالضر * ب لفتياننا وصيشا رخياً
يتناهين في النعيم ويضربن^(١) خلال القرون مسكا ذكياً
أبلغا الحارث بن ظالم الرّع^(٢)ديد والناذر النذور علياً
إنما تقتل النّيام ولا تقتل يقظان ذا سلاح كياً

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوّه رجل بلسل إلا أجابه ولم يسأله عن اسمه . فأتاه
الحارث ليلاً فهتفت به ، فخرج إليه ، فقال : ما تريد ؟ قال أعنيّ على أبل لبني فلان
وهي منك غير بعيد فإنها غنيمة باردة . فدعا عمرو بفرسه وأراد أن يركب حاسراً .
فقال له : البس عليك سلاحك فإني لا آمن امتناع القوم ، فاستلأم ونرج معه ، حتى
إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى نخذ حذرَكَ يا عمرو ، فقال له : آمننّ علىّ . فخرّ
ناصيته . وقال الحارث

علّاني بلذتي قيئتيآ * قبل أن تبكي العيون علياً
قبل أن تذكر العواذل أني * كنت قد مالاً مرهنّ عصياً
مأبألي إذا أصطبحت ثلاثاً^(٢) * أرشيداً دعوتني أم غويآ

(١) في الفئورغرافية « الموعود » ولعله محزف عن « الموعِد » كما نقل في هامش النسخة الألمانية عن
نسخة أخرى . (٢) في الألمانية : أصبت .

غَيْرَ آلَا أُسِرَ لَهْ إِثْمًا * فِي حَيَاتِي وَلَا أُخُونَ صَفِيًّا
 بَلَقْتَنِي مَقَالَةَ الْمَرْءِ عَمْرُو * بَلَقْتَنِي وَكَانَ ذَلِكَ بَدِيًّا
 فُخِرْجَنًا لِمَوْعِدٍ فَالْتَقَيْنَا * فَوَجَدْنَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَيْيًّا
 غَيْرَ مَا نَأْتُمُ يَرْوَعُ بِاللَّيْلِ مُعِدًّا بِكَفِّهِ مَشْرِفِيًّا^(١)
 فَرَجَعْنَا بِالْمَنْ مَنَا عَلَيْهِ * بَعْدَ مَا كَانَ مِنْهُ مَنَا بَدِيًّا^(٢)

ووفد تميم بن مرٍّ وبكر بن وائل على بعض الملوك، وكانا ينادمانه بخيرى بينهما تفاخر
 فقالا: أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فَنَحْتًا وموَّها بالفضة
 وأعطاهما إياهما، فجعلوا يضطربان بهما مليًا من نهارهما، فقال بكر
 * لو كان سيفانا حديدًا قطعًا *

وقال تميم

* أَوْ نُحْتًا مِنْ جَنْدَلٍ تَصْدَعَا *

ففرق الملك بينهما، فقال بكر لميم

* أَسَاجِلَكَ الْعِدَاوَةُ مَا بَقِينَا *

وقال تميم

* وَإِنْ مَنَا نَوْرُثَهَا بَيْنَنَا *

فأورثاها بينهما الى اليوم .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن خلف الأحمر قال: كان أبو عمرو السباع يصيح
 بالسبع وقد احتمل الشاة فيسقط فيموت فيُشَقُّ بطنه فيوجد فؤاده قد آنحلع . وهو
 مثل في شدة الصوت . قال الشاعر في ذلك^(٣)

(١) في النسخة الفتوغرافية "بالقتل". (٢) كذا بالنسخة الألمانية، وفي النسخة الفتوغرافية:

«بعد من قد كان منا بديا» ولعل كلمة «منا» هذه محرفة عن «منه» فيستقيم المعنى .

(٣) هو النابغة الجعدي كما في اللسان مادة (عرا) .

زَجَرَ ابْنُ عُرْوَةَ السَّبَاعَ إِذَا * أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبَسْنَ بِالْغَنَمِ

قال : وأبو عطية عفيف النصرى نادى فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين
بنى نصر لما رأى الخيل بعقوته^(١) : يا سوء صباحاه ، أيتيم يا بنى يربوع ! فألقت الحبالى
أولادها ، فقبل فى ذلك

وأسقط أحبال النساء بصوته * عفيف لَدُنْ نادى بنصر فطرزا

فى أخبار وهب بن منبه أن يهوذا قال ليوسف : لتكفّن أولاً صبيحت صبيحة لاتبقي
حامل بمصر إلا ألقت ما فى بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سلع
فينادى غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع
ثمانية أميال ، وطلع جبل وسط المدينة . وكان شبيب بن ربيعة يتنحى فى داره
فيسمع تنحيه بالكأس ، ويصبح براعيه فيسمع نداؤه على فرسخ وكان هذا مؤذن
سبحاح^(٢) التى تنبأت [ذكر هذا خالد بن صفوان ، وسمعه أبو الحبيب النهدي فقال :
ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعنى سبحاح] .

ذم رجل الأشر فقال له قائد : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته
هزم أهل العراق .

المدائني قال : أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجل يستحم له ، فقال له :
خذ بعيزا من إبل الصدقة . فتناول ذنب بعير صعب بخذبه فاقتلعه ، فعجب عمر
وقال له : هل رأيت أشد منك ؟ قال : نعم ، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى القوتوغرافية : « الحسين بن على عليهما السلام » ومما يدل « قائد » « يزيد » .

زوجها فنزلنا منزلاً أهله خُلوْفُ فقُرِبْتُ من الحوض فبينما أنا كذلك إذ أقبل رجل
ومعه ذُودُ والمرأة ناحيةً فسَرَبَ ذوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتني،
فما انتهيت اليها حتى خالطها ، بغثت لأدفعه عنها فأخذ برأسي فوضعه بين عضديه
وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلقى . فقالت المرأة : أئ
فعل هذا ! لو كانت لنا منه سَخْلَةٌ ! وأمهلتني حتى امتلأ نوما فقممت اليه بالسيف
فضربت ساقه فأبنتها ، فانتبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله وأخطاني
وأصاب عنق بعيري فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة ؟ قال : هذا حديث الرجل .
فكرر عليه مرارا لا يزيد على هذا ، فظن أنه قد قتلها .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أشهل بن حاتم قال حدثنا ابن عون عن عُمَيْرِ
ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين
ويفعلون . وأبو محجن في الوثاق عند أم ولدٍ لسعد فأنشأ يقول
كفى حزنًا أن تلتقي^(١) الخيل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقها
إذا شئتُ غناني الحديد وغلقت * مغاليق من دوني تُصمُّ المناديا

فقالت له أم ولد سعد : أتجعل لي إن أنا أطلقتك أن ترجع اليّ حتى أعيذك
في الوثاق ؟ قال نعم ، فأطلقته فركب فرسا بقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد
يقول : لولا أن أبا محجن في الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسى . فأنكشف
المشركون وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق وأتت سعدا فأخبرته ، فأرسل الى أبي محجن
فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا . يعني الخمر ، فقال أبو محجن : وأنا والله
لا أشربها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر^(٢)

سأغسل عني العار بالسيف جالبا * على قضاء الله ما كان جالبا

(١) في النسخة الألمانية « نطعن » . (٢) هو سعد بن ناشد المازني كما في اللسان والحاسة .

وأذهل عن دارى وأجعل هدمها * لعرضى من باقى المذمة حاجبا
 ويصغر فى عيني تِلَادِي إذا آتنت * يميني بإدراك الذى كنت طالبا
 فبَا لِرِزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدَّمَا * الى الموت خَوَاضَا اليه الكَرَابَا^(١)
 إذا هم لم يردع كريمة همه * ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبا
 أخوا غميرات لا يريد على الذى * يهيم به من مُفْطَع الأمر صاحبا^(٢)
 إذا هم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا
 ولم يستشر فى رأيه غير نفسه * ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا
 عليكم بدارى فاهدموها فائها * تراث كريم لا يخاف العواقبا

وقال رجل من بنى العنبر^(٤)

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
 إذن لقام بنصرى معشر حشن * عند الكرية إن ذو لؤثة لانا
 قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا
 لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر فى شيء وإن هانا
 يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل السوء إحسانا^(٥)
 كأت ربك لم يخلق نخشيتيه * سواهم من جميع الناس إنسانا
 فليت لي بهم قوما إذا ركبوا * شنوا الإغارة فرسانا ورُكبانا
 لا يسألون أخاهم حين ينلبهم * فى النائبات على ما قال برهانا
 لكن يطرون أشتاتا إذا فزعوا * وينفرون الى الغارات وحدانا

(١) فى الحماسة «الكتابا». (٢) فى الحماسة «لم تردع عزيزة همه».

(٣) كذا فى الحماسة والذى فى الأصل «التي يهيم بها من مفطع الأمر».

(٤) هو قريظ بن أتيث كما فى الحماسة. (٥) كذا بالحماسة وفى الأصل «غفرانا».

وقال آنحر

ولئن عَمَرْتُ لِأَشْفِيَنَّ النَّفْسَ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاعِي
وَلَأُعْلِمَنَّ الْبَطْنَ أَنَّ الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعٍ
أَمَّا النَّهَارُ فَرَأَى أَصْحَابِي بِمَرْقَبَةٍ يَفَاعُ
أَثْرُ الشَّجَاعِ بِهَا كَسْرٌ * دِ الْخَرْزِي سَيِّدُ الصَّنَاعِ
تَرُدُّ السَّبَاعُ مَعِيَ فَأُلْثَفِي كَالْمُدِّلِ مِنَ السَّبَاعِ

وقال آنحر

إِنَّا مَحْيُولُكَ يَا سَلْمَى خَيِّنَا * وَإِنْ سَقَيْتِ كَرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
إِنَّا لَنُزَخِّصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا * وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِينَا
يَبِضُّ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا ، نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

وقال المعلوط

أَلَمْ تَرَنِي خُلِقتُ أَخَا حُرُوبٍ * إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ يَجَنِّ جَانِي

وقال آنحر^(١)

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ * نَبِيٌّ سُوَيْدٌ أَنْ فَارَسَكُمْ هَوَى
أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي * إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
فَقِي قَبْلُ لَمْ تَعْنَسِ^(٣) السُّنُّ وَجْهَهُ * سَوَى خُلْسَةٍ^(٤) فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى

(١) هو سُوَيْدُ المَرَاثِدِ الحَارثِي كما في الحماسة واللسان في مادة «عنس» .

(٢) كذا بالحماسة ، وفي الفتوغرافية «نبي جوى» ، وفي الكامل «نبي حي» . (٣) لم تعنس :

لم تغير . (٤) كذا بالحماسة واللسان ، وفي الأصل «شهب» . وقد ذكره اللسان في مادة «خلس»

وقال أبو زيد : أخلص رأسه فهو مخلص وخليس إذا أبيض بعضه فإذا غلب بياضه سواده فهو أغثم .

أشارت له الحرب العوانُ بجاءها * يُقَعِّعُ بالأقرب^(١) أولَ من أتى
ولم ينجحها لكن جناها وليته * فأتى فآداه فكان كمن جنى
وقال بشامة

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب * عنه ولا هو بالأبناء يشرينا
إن تُبتدر غايه يوما لمكرمة * تلقى السوابق منا والمصلينا
إنا لمن معشر أفنى أوائلهم * قيل الحكمة ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا * من فارس^(٢)؟ خالهم إياه يعنونا

وقال زهير

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَمَوْا حَتَّى إِذَا أَطْعَمُوا * ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَنَقَا
وقالت امرأة من كندة

أَبَوْا أَنْ يَفِزُوا وَأَلْقَنَا فِي مَحْوَرِهِمْ * وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
ولو أنهم فزوا لكانوا أَعِزَّةً * وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا

وقال أنحر

بني عَمَّارُ دُوا فَضُولَ دِمَانَا * يَنْمُ لَيْلُكُمْ، أَوْ لَا تَلُمْنَا الْاَوَائِمُ
فإنا وإياكم وإن طال تَرْكُكُمْ * كَذَى الدِّينِ يَنَئِي مَا نَأَى وَهُوَ غَارِمُ

وقال أبو سعيد المخزومي وكان شجاعا

وما يريد بنو الأعيار من رجل * بالجرم مُكْتَحِلٍ بِالنَّيْلِ مُشْتَمِلٍ
لا يشرب الماء إلا من قليب دم * ولا يبيت له جارٌّ على وَجَلٍ

(١) في الأصل «في الأقرب» والذي في الصلب عن الحماسة .

(٢) كذا بالحماسة وفي الأصل «عاطف» .

وقال عبد القدوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير
ندى تَحْكُمُ الآمالُ فيه ، ونجدةٌ * تَحْكُمُ في الأعداءِ بالأسْرِ والقتلِ

وقال آخر

ضربناكم حتى إذا قام مَيْلُكم * ضربنا العدا عنكم بأبيض صارم
تمثل زيد بن علي يوم قُتِلَ بقول القائل

أذلَّ الحياةَ وعِزَّ المِاتِ * وكُلَّا أراه طعاما وبيلا
فإن كان لا بُدَّ من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

وقال قيس بن الخطيم

أَبْلَجُ لا يَهْمُ بِالْفِرارِ * قد طاب نفساً بدخول النار

وقال آخر^(١)

ومَنْ تَكُنِ الحضارةُ أعجبتُهُ * فأىَّ رجالٍ باديةً تَرَانا
ومَنْ رَبَطَ الجِحاظَ فإنَّ فينا * قَنَّا سُلْبًا وأُفراسا حَسَّانا
وكنَّ إذا أغْرُنَ على قبيلِ * فأَعُوْزُهِنَّ كَوْنٌ حيثُ كانا^(٢)
أغْرُنَ مِنَ الضُّبابِ على حَلالٍ * وَضَبَّةٌ إِنَّه من حان حانا^(٣)
وأحيانا نَكْرَ على أخينا * إذا مالم نجد إلا أخانا

وقالت الخنساء

تَعْرِقْنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا * وأوجعني الدهر قرعًا وغمزًا

(١) هو القطامي كما في الحماسة . (٢) في الحماسة :

وكن إذا أغرن على جناب * وأعوذن نهب حيث كانا

(٣) جمع حِلَّة بكسر أوله وهي كما في القاموس القوم الثَّوْل ، وفي ديوان الحماسة : « حلول » جمع حالٍ
والحي الحلول الذين يكونون في مكان واحد .

وأقنى رجالى فبادوا معا * فأصبح قلبى بهم مستفزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب ^(١) * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وفيها تقول

ونلبس للحرب أثوابها * ونلبس فى الأمن خزا وقزا

وهذا كقولهم : البس لكل حالة لبوسها .

وقال عبد الله بن سبرة الحرشى ^(٢) حين قطعت يده

ويلم جار غداة الجسر فارقنى * أعيرز على به إذ بان فانصدعا
يمنى يدي غدت منى مفارقة * لم أستطع يوم خلطاس لها تبعا ^(٣)
وما ضمنت عليها أن أصحابها * لقد حرصت على أن نستريح معا
وقائل غاب عن شانى وقائلة * ألا اجتنبت عدو الله إذ صيرعا
وكيف أتركه يمشى بمنصله * نحوى وأجن عنه بعدما وقعا
ما كان ذلك يوم الروع من خلقى * وإن تقارب منى الموت واكتنعا
ويلمه فارسا ولت كتيبته * حاتمى وقد ضيعوا الأحساب فارتجعا
يمشى الى مستميت مشله بطل * حتى اذا مكنا سيفيهما امتصعا
كل ينوء بماضى الحدد ذى شطيب * جل الصياقل عن ذرية الطبا ^(٤)
حاشيته الموت حتى آشف آخره * فما استكان لما لاقى وما جزعاه ^(٥)

(١) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما فى الكامل للبرد ، وفى النسخة الألمانية « يقاسى » .

(٢) فى الأصل الفتوغرافى « الجرشى » ويوافق ما فى الأمالى ج ١ ص ٤٩ وصوابه « الحرشى »

قال ابن تقيّة فى المعارف وأما الحرش بن كعب فمنهم مطرف بن عبد الله بن الشخير وزرارة بن أوفى وعبد الله

ابن سبرة الحرشى الذى قطع يده اطر يانوس الرومى ٨٠ . (٣) فى الأمالى « فاطاس » . (٤) فى النسخة

الفتوغرافية « أتكبه » . (٥) كذا بالأصل يعنى تلاتوه وإشراقه ، ورواه فى اللسان وفى الأمالى « ذرية »

والدري فرند السيف وماؤه . (٦) كذا بالأصل وهى محرقة عن « حاسيته » بالسين المهملة .

كَأَنَّ لَيْتَهُ هُدَابٌ مُخَمَّلَةٌ * أَحْمَرُ أَرْزُقُ لَمْ يَشْمَطْ وَقَدْ صَلَعَا
فَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطَعَهَا * فَقَدْ تَرَكْتُ بِهَا أَوْصَالَهُ قِطْعَا
وَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطَعَهَا * فَإِنْ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُتَفَعَا
بَنَاتَانِ وَجُدُمُورٌ^(٢) أَقِيمُ بِهَا * صَدْرُ الْقَنَاةِ إِذَا مَا آنَسُوا فَرَعَا

وقال بعض الشعراء

إِنْ لَنَا مِنْ قَوْمِنَا نَاصِرَةٌ * بِيضُ الظُّبَا سُمُرُ الْقَنَا شُهْبُ اللَّيْمِ
يَسْتَنْفِرُونَ الْمَوْتَ مِنْ تَجَنُّمِهِ * وَيَبْعَثُونَ الْحَرْبَ مِنْ عَقْدِ السَّلَامِ^(٣)
أُولَئِكَ قَيْسُ قَوْمِنَا أَكْرَمُ بِهِمْ * قَيْسُ النَّدَى قَيْسُ الْعَلَا قَيْسُ الْكَرَمِ

وقال جعفر بن عتبة الحارثي

لَيْتَنِي عُقَيْلًا أَتْنِي قَدْ تَرَكْتُهَا * يَنْوُءُ بِقَتْلِهَا الذَّنَابُ الْهَوَامِلُ^(٤)
لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَرْقَةٍ سَتَجَلِي * وَلِي مِنْهُ مَا صُمْتُ عَلَيْهِ الْإِنَامِلُ
إِذَا الْقَوْمُ سَدُوا مَا زَقَا فَرَجْتُ لَنَا * بِأَيْمَانِنَا بِيضُ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ

وقال عمرو بن معديكرب

أَعَاذَلْ شِكَّتِي بَرْزَى وَرَمَحِي * وَكُلْ مَقْلَصَ سَيَاسِ الْقِيَادِ
أَعَاذَلْ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي * رَكُوبٌ فِي الصَّرِيخِ إِلَى الْمَنَادِي

قال أبو دؤلف

لَقَدْ عَلِمْتُ وَائِلَ أَتْنَا * نَحْوُضِ الْخُتُوفِ غَدَاةَ الْخُتُوفِ
وَلَا تَتَّقِيهَا بِزَحْفِ الْفِرَارِ * إِذَا مَا الصَّفُوفُ أَنْبَرَتْ لِلصَّفُوفِ

(١) كذا بالأصل وهي محرفة عن «أحم» والحمّة كما قال ابن سيده لون بين الأذهمة والأهمة .

(٢) الجذمور هنا ما بقي من يده بعد قطعها . (٣) في السحرة الألمانية «يتبعون» .

(٤) في الأصلين : * نبوء بقتلها دماء هوامل * وقد أخذنا ما في الأصل عن هامش النسخة

الألمانية .

ويوم أفاءت لنا خيلنا * لدى جبل الديلمى المنيف
 طوآل الفتى بطوال القنا * وبيض الوجوه ببيض السيوف
 وكل حصان بكل حصان * أمين شظاه سليم الوظيف
 ألا نسمانى فما نعمتى * برادعتى عن ركوب المخوف
 لى الصبر عند حلول البلاء * إذا نزلت بي إحدى الصرُوف
 وإن تسألى تخبرى أننى * أفى حسبي بألوف الألوف
 وأحلم حتى يقولوا ضعيف * وما أنا - قد علموا - بالضعيف
 خفيف على فرسى ما ركبت * ولست على ظالمى بالخفيف

باب الحيل فى الحروب وغيرها

١٠ قال ابن اسحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، مرة حتى
 وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال
 الشيخ : لا أخبركم حتى تخبرونى من أتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال الشيخ : خُبرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا ،
 فإن كان الذى خبرنى صدق فهى اليوم بمكان كذا ، للوضع الذى به قريش . وخُبرت
 ١٥ أن محمدا خرج من المدينة وقت كذا ، فإن كان الذى خبرنى صدق فهو اليوم بمكان
 كذا ، للوضع الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أتم ؟ فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول :
 نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

حدثنى سهل بن محمد قال حدثنى الأصمعى قال حدثنى شيخ من بنى العنبر قال : أسرت
 ٢٠ بنو شيبان رجلا من بنى العنبر فقال لهم : أرسل الى أهلى ليقتدونى . قالوا : ولا تكلم

- الرسول إلا بين أيدينا . فجاءوه برسول فقال له : آئت قومي فقل لهم : إن الشجر قد أورك وإن النساء قد أشتك . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك ؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا ؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلي فقل لهم : عرّوا جملي الأصهب وأركبوا ناقتي الحمراء وسلّوا حارثا عن امرئ . فأتاهم الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا إلى حارث فقص عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم :
- ٥ أما قوله : «إن الشجر قد أورك» فإنه يريد أن القوم قد تسلّحوا . وقوله «إن النساء قد أشتك» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكاء للغزو ، وهي أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شكوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثل الليل أو في الليل . وقوله : «عرّوا جملي الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصّمان . وقوله : «اركبوا ناقتي الحمراء» يريد اركبوا الدّهناء . قال فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .
- ١٠ أرسل على بن أبي طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال : آئت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه ، يركب الصعوبة ويقول هي أسهل ، فأقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فما عدّا بما بدّا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأمّ
- ١٥ مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نحل ما أحلت ونحرّم ما حرمت . الهيثم بن عدي قال : مرّ شبيب الخارجي على غلام في الفرات يستنقع في الماء ، فقال له شبيب : اخرج إلى أسائك . قال : فأنّا آمن حتى ألبس ثوبي ؟ قال : نعم . قال : فوالله لا ألبسه .
- ٢٠ قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الهرمزان . فاستسقى فأثى بماء فأمسكه بيده وأضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إني غير قاتلك حتى تشربه . فألقى القدر

من يده وأمر عمر بقتله ، فقال : أو لم تؤمنني ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه ، ولا بأس أمان ، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله ! أخذ أمانا ولم نشعر به . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

العتبي : بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عِصَاهُ الأشعري الى ابن الزبير فقال له : إن أول أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست في عنقي بيعة ليزيد . فقال عبيد الله : يامعشر قريش ، قد سمعتم ما قال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائني قال : أقبل واصل بن عطاء في رُفْقَةٍ فلقيهم ناس من الخوارج ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله ، فأعيرضوا علينا . فعرضوا عليهم فقال واصل : قد قبلنا . قالوا : فأمضوا راشدين . قال واصل : ما ذلك لكم حتى تُبلغونا ما مننا . قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فابلغونا ما مننا . بخاءوا معهم حتى بلغوا ما منهم .

وقال معاوية : لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ولا الأموي غير حليم ولا الزبيري غير شجاع ولا المخزومي غير تيّاه . فبلغ ذلك الحسن بن علي ^(١) فقال : قاتله الله ! أراد أن يجود بنو هاشم فينقذ ما بأيديهم ، ويحلّم بنو أمية فيتحبّبوا الى الناس ، ويتشجّع آل الزبير فيفنونوا ، ويقيّيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عِزٍّ بآض اليهودي وهم بمخروري فقال : هل خرج اليكم في اليهود شيء ؟ قالوا : لا . قال : فأمضوا راشدين .

المدائني قال : لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن نحرسان واستعمال يزيد بن المهلب كتب اليه ثلاث صحائف ، وقال للرسول : ادفع اليه هذه ، فان دفعها (١) في النسخة الألمانية : الحسين .

الى يزيد فادفع اليه هذه ، فان شئتني عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكتاب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين ، إن من بلائي في طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثاني وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمن ابن دحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! فشم قتيبة ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأوثقن لك أخية لا يترعها المهر الأرئ . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة . يا غلام ، جدّد له عهده على نحر اسان .

لما صرف أهل مِزّة الماء عن أهل دمشق ووجهوه الى الصحارى كتب اليهم أبو الهندام^(١) : الى بني آستها أهل مزّة ، يمسّيني الماء أولتصبّحتم الخيل . فوافاهم الماء قبل أن يعتموا فقال أبو الهندام : «الصدق يُلّني عنك لا الوعيد» .

ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكؤ والتربص ، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإني « أراك تقتم رجلا وتؤخر أخرى » فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت ، والسلام .

ولما هُزم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لم يذر الناس كيف يعزّونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأهم فقال : [مرحبا بالصابر المخذول] الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة بجهلك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومي — وكان عامل يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عقبة المُرّي ، فأتاه الكتاب وهو بأحر رفق ، وفي الكتاب : أصلى الله

(١) في النسخة الفتوغرافية : أبو الهيدام . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

الأمير، إن ابن الزبير أتاني بما لا قبل لي به فأنحزْتُ . فقال : يا غلام أكتب اليه :
أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أن ابن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فأنحزت . وآيم الله
ما أبالي على أي جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبهما اليّ ، وبالله لئن بقيتُ
لك لأُزلقنك حيث أنزلت نفسك والسلام .

٥ أبو حاتم قال ، حدثنا العتيبي قال حدثنا إبراهيم قال : لما أسن معاوية اعتراه
أرق فكان إذا هوم أيقظته نواقيس الروم ، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال :
يا معشر العرب ، هل فيكم فتى يفعل ما أمره وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين
إذا رجع ؟ فقام فتى من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . قال : تذهب بكتبي^(١) إلى
ملك الروم ، فإذا صرت على بساطه أذنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال
١٠ لقد كلفت صغيرا وآتيت كبيرا . فكتب له وخرج ، فلما صار على بساط قيصر أذن ،
فتناجرت البطارقة وأخترطوا سيوفهم فسبق اليه ملك الروم بغثا عليه وجعل يسألهم
بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفوا ، ثم ذهب به حتى صعد على سريرته ثم جعله بين
رجليه ، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسن وقد أرق وقد آذته
النواقيس ، فأراد أن يقتل هذا على الأذان فيقتل من قبله منّا ببلاده على النواقيس ،
١٥ والله ليرجعن اليه بخلاف ماظن . فكساه وحمله فلما رجع إلى معاوية قال : أوقد
جئتني سالما ؟ قال : نعم ، أما من قبلك فلا .

وكان يقال : ما ولي المسلمين أحد إلا ملك الروم مثله إن حازما وإن عاجزا .
وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دؤن لهم الدواوين ودوخ لهم العسود ،
وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال :
٢٠ كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قبلهم الدنانير ، وكان

(١) لعلها تذهب بكتابي الخ . (٢) في النسخة الألمانية : يديه .

عبد الملك أول من كتب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الطوامير، فكتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فإنه عنه وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكره ما تكرهون . فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدنانير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بنات^(١) طبق ، وأخبره الخبر . فقال : ليفرخ روعك ، حرم دنانيرهم وأضرب للناس سيككا ولا تُعفيهم مما يكرهون . فقال عبد الملك : فرجتها عني فرج الله عنك .

حدثنا الرياشي قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم : إنك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك ، وإن كان باطلا فقد خالفته . فكتب إليه الوليد (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَبْنِيَانِ فِي الْحَرْثِ) إلى آخر القصة .

حدثنا الزياتي محمد بن زياد قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر إلى معاوية : سلام عليك ، أما بعد فأنبئني بأحب كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، ومن أكرم عباده إليه وأكرم إمامه ، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يرتكضن في رحم ، وعن قبر يسير بصاحبه ومكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة ، والمجرة ، موضعها من السماء ، وقوس قزح وما بدء أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم آله ! ما أدري ما هذا ! . فأرسل إلى يسألني فقلت : أما أحب كلمة إلى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهي المنجية ، والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق ، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر ، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود ، والخامسة

(١) بنات طبق . الدراهم .

لا حول ولا قوة إلا بالله . وأما أكرم عباد الله اليه فآدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها ، وأكرم إمامه عليه مريم التي أحصلت فرجها . والأربعة التي فيهن روح ولم يرتكضن في رحم فآدم وحواء وعصا موسى والكهش . والموضع الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبخر حين انفلق لموسى وبني إسرائيل . والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعدهما بين يديه وجعل يسألها عن أعمالها إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية ، فقال له معاوية : أعلت تعيب وإلى تقصد؟ هلم حتى أخبر أمير المؤمنين عن عمك وتخبره عن عملي . قال عمرو : فعلت أنه بعمل أبصر مني بعمله وأن عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يأتي على آخره ، فأردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفعت يدي فاطمت معاوية ، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفه منك ، يا معاوية الطمء . فقال معاوية إن لي أميرا لا أقضي الأمور دونه . فأرسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له وساده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت إلي؟ أخوه وابن عمه وقد أتى غير كبير، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال ذكر بشر بن أرطاة عليا فقال منه فضرب زيد بن عمر — وأمه ابنة علي بن أبي طالب — على رأسه بعصا فشججه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر : أتدرى ما صنعت؟ وثبت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى بشر فقال أتدرى ما صنعت؟ وثبت على ابن الفاروق وابن علي بن أبي طالب تسببه وسط الناس وتزدرية ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء .

المدائني قال : كان ابن المقفع ^(١) محبوسا في نِجَاج كان عليه وكان يعذب ، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعين من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به بإبقاء على ماله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال المختار : ادعوا الى المهدي محمد بن الحنفية .
فلما خشي أن ينجى قال : أما إن فيه علامة لا تخفى ، يضربه رجل بالسيف ضربة
لا تعمل فيه . قال الأصمعي عرضة لأن تجزأ به .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عوانة بن الحكم الكلبي قال : ولّى عليّ رضي الله عنه الأشرم مصر فلما بلغ العريش أتى بطراً مصر فقال له مولى لعثمان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر ، هل لك في شربة من سويق أجدها لك ؟ قال : نعم . بفتح له بعسل وجعل فيها سماً قاضيا فلما شربها يس ، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردها
على الكبد ! « إن الله جنودا منها العسل » . وقال عليّ « للبدن واللفم » .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد ^(٢) قال نظر عليّ الى ولد عثمان كأنهم مستوحشون فسألهم فقالوا نرى بالليل ، فقال : من أين يأتكم الرمي ؟ قالوا : من ههنا . فصعد عليّ ولف رأسه ثم جعل يرمي وقال : اذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمي .
قال محمد بن كعب القرظي : جاء رجل الى سليمان النبي عليه السلام فقال يا نبي الله :
إن لي جيرانا سرقوا إوزتي فنأدى : الصلاة جامعة . ثم خطبهم فقال في خطبته :
وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح رجل علي
رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

(١) الدين والبيئة الريا ، وعين التاجر ونعين أخذها .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "أبي الزباد" .

أخذ الحكم بن أيوب الثَّقَفِيَّ عاملُ الحجاج إِيَّاسَ بن معاوية في ظَنَّةِ الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجي منافق وشتمه ، ثم قال آثنتي بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بي منك . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إِيَّاس : ففيم هذه الشهادة منذُ اليوم . فضحك وخلق سبيله .

٥ دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس قد ردك الله على عقيبك ؟ قال : ومن رد عليك فقد رد على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف إلى الضحَّاك بن مُزَاحِم فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : يمنعني من ذلك حبي للخمر . قال فأسلم وأشربها . فأسلم ، فقال له الضحَّاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك . فحسن إسلامه .

دخلت أم أُنْفَى العَبْدِيَّة على عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغيرا ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوة الله .

١٥ العتبيّ قال كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة : أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . إني والله قد لبستكم فأخلفتكم ورقعت بكم فاخرقتكم ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني . وآيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطاة أقل بها عددكم وأذل غابركم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثل

٢٠ لعل الحلم دل على قومي * وقد يُستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني * فمعوَجُّ على ومستقيم

أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سُرَاقَة بن مِرْدَاس البارقى أسيرا يوم
جَبَّانة السَّبَّيع ، فقدم في الأسرى فقال

امننّ على اليوم يا خير معد * وخير من حلّ بصحراء الجند^(١)

* وخير من لبي وصلى وسجد *

٥ فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق^(٢) بن الأشعث عليه بغيء بسراقة أسيرا فقال
له المختار : ألم أعف عنك؟ أما والله لأقتلنك . قال : إن أبي أخبرني أن الشام ستفتح
لك حتى تهدم مدينة دِمَشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلني . ثم أنشده

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * تزونا نزوة كانت علينا

. نرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان نرجنا بطرا وحيئا

١٠ نراهم في مصفهم قليلا * وهم مثل الدبأ لما ألتقينا
فأصبح إن قدرت فلو قدرنا^(٣) * لجئنا في الحكومة وأعتدينا
تقبل توبة منى فاني * سأشكر إن جعلت النقد دينا

نقل سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سراقة فأخذ أسيرا فقال : الحمد لله الذي
أمكنني منك يا عدو الله ، فقال سراقة : ما هؤلاء الذين أخذوني ! فإين هم ؟ لا أراهم !
١٥ إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض على خيل بلق تطير بين السماء والأرض .
فقال المختار : خلوا سبيله ليخبر الناس . [ثم عاد لقتاله وقال

ألا من خبر المختار عني * بأن البلق بيض مصمتات^(٤)

(١) في النسخة الفتوغرافية "بشجر والجند" وهو محرف وصوابه كما في الطبري "بشجر والجند" .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "عبد الرحمن" وقد صوبه في هامشها بأنه إسحاق ويرجح ما في الضبري والعقد الفريد .

(٣) في النسختين «إن» وفي ابن جرير «فأصبح إذ ملكك» وهو الأنسب . (٤) زيادة في النسخة

الألمانية . (٥) في الطبري .

ألا أبلغ أبا إسحاق اني * رأيت البلق دهما مصمتات

أُرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ * كَلَانَا عَالَمٌ بِالسُّرَّهَاتِ
كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا * عَلَى قِتَالِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ [

خرج المغيرة بن شعبة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وكانت له عترة يتوكأ عليها فربما أثقلته فيرمى بها قارعة الطريق فيمتر بها المار فيأخذها ، فاذا صار الى المنزل عرفها فأخذها المغيرة ففطن له علي رضي الله عنه فقال : لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لئن أخبرته لا تُردَّ بعدها ضالة أبدا ، فأمسك علي .

باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن سمالك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه كان اذا سمعهم يقولون : يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة ، قال : ما أحقكم ! إن بعد الاثني عشر ثلاثة منا : السفاح والمنصور والمهدي يسلمها الى الدجال . قال أبو أسامة : تأويل هذا عندنا أن ولد المهدي يكونون بعده الى خروج الدجال .

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم : أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب . وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وأما الجزيرة فخروية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى . وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تنتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتخارب

الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذألون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج ويؤملون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات وليحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات نخمة تخرج من أفواه منكرة، وبعد فكأنى أتفأل الى المشرق الى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

- وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : كنت مع مروان بن محمد بالزأب
فقال لي : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه ؟ قلت : نعم ، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفراً رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع في عبد الله بن معاوية ؟ فقال : بلى قد عرفته والله ،
يا بن جعدة ليت علي بن أبي طالب [في الخيل] يقابلنى . إن علياً وأولاده لا حفظ لهم في هذا الأمر ، وهذا رجل من بنى العباس ومعه ريح خراسان ونصر الشام ، يا بن جعدة أتدرى لم عقدت لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدري . قال : لآنى وجدت الذى بلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله ، فكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك .

- وكتب مروان الى عبد الله بن علي : إني لا أظن هذا الأمر إلا صائراً اليكم ، فإذا كان ذلك فاعلم أن حرماً حرمكم . فكتب اليه عبد الله إن الحق لنا في دمك وإن الحق علينا في حرمك .

- سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصده الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلاً منهم باستدراج الله وأمناً لمكره ، فسلبهم الله العز وتقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن علي :

يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن معه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكلّمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزججه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سليم لي فافترشته بها وأقمت ثلاثا ، فأتاني ملك النوبة وقد خُبر أمرنا ، فدخل على رجل طوال أفتى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟ قال : لأني ملك ، وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه . ثم قال لي : لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ؟ قلت : آجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأن الملك زال عنا . قال : فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهالنا . قال : فلم تلبسون الديباج والحريير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم ؟ قلت : ذهب الملك منا وقتل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فأطرق مليا وجعل يقلب يديه وينكت في الأرض [ويقول :^(١) عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا ! يردده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسكم الذل بذنوبكم ، والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزوّدوا ما احتجتم إليه وأرتحلوا عن بلدي ، ففعلت ذلك .

ولما أفتتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبي عون ومن معه من أهل خراسان : إن لي في بقية آل مروان تدبيرا فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكل عُدّة ، ثم

(١) في الفتوغرافية « عبيد الله » . (٢) في الفتوغرافية بدل هذه الجملة « وينكت في الأرض ويردّد كلاً ثم قال الخ » . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آخر الحكاية ويؤيده ما في الكامل للبرد أنها وقعت مع عبد الله بن علي وقد كان أميراً على الشام من قبل المنصور .

- بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم بجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابهم ومعهم رجل من كلب قد ولدهم ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي: ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولدتهم. قال: فانصرف ودع القوم. فأبى أن يفعل وقال: إني خالهم ومنهم. فلما استقر بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل، فأيقن القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن علي؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن علي بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟ ثم قيل: ائذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقاً فأوما إليه: أن ارتفع. فأجلسه معه على طنفته وقال للباقيين: اجلسوا. وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال: أين العبدى الشاعر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها
- أما الدعاة إلى الجنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار

فلما أنشد أبياتاً منها قال الغمر: يا بن الزانية. فانقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال: امض في نشيدك. فلما فرغ رمى إليه بصرة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثل بقول القائل

- ولقد ساءنى وساء سوائى * قريبهم من منابر وكراسى^(٤)
- أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس^(٥)
- [لا تُقِلنَّ عبدَ شمس عثَّاراً * وأقطعوا كل نخلة وعرَّاس^(٦)]
- واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلاً بجانب المهراس

- (١) رباهم. (٢) في الفتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين.
- (٣) في الفتوغرافية «هشام» ولكنه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.
- (٤) كذا بالنسخة الألمانية، وفي الفتوغرافية «نمارق» ولعله في الكامل للبُرْد.
- (٥) زيادة في النسخة الألمانية. (٦) كذا بالأصل، وفي الكامل للبُرْد «كل رُقلة وأوامى» وقال: الرُقلة النحلة الطويلة والأوامى جمع آسية وهي أصل البناء بمنزلة الأساس.

ثم قال لأهل نخراسان : دِهِيدُ^(١) . فشدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبي فقال : أيها الأمير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال
ومُدْخِلُ رَأْسِهِ لَمْ يُدْنِهِ أَحَدٌ * بين القرينين حتى لَزَّ الْقَرْنُ

ثم قال : دهيد . فشدخ الكلبي معهم ثم التفت الى الغمر فقال : لا خير لك في الحياة بعدهم . قال : أجل ، فقتل ثم دعا ببراذع فآلقها عليهم وبسط عليها الأنطاع ودعا ببنائه فأكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تنهأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم بجرؤوا بأرجلهم وأغتم أهل نخراسان أموالهم ثم صلبوا في بستانه . وكان يأكل يوما فأمر بفتح باب من الرواق الى البستان فاذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، ف قيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا الباب ! فقال : والله لرائحتها أحب الى وأطيب من رائحة المسك . ثم قال

حسبت أمة أن سترضى هاشم .. عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد وإلهه * حتى تُباح سُهولها وحُزونها
وتنزل دُلَّ حليلة لحييلها * بالمشرف وتُسترد ديونها

وأنى المهدي^(٢) رجل من بنى أمة كان يطلبه فتمثل بقول سديف شاعرهم
جرد السيف وأرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويًا
لا يفترنك ما ترى اليوم منهم * إن تحت الضلوع داء دويًا

فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول
شمس العداوة حتى يُستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا
نقال المهدي^(٢) : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

٢٠ (١) كلمة فارسية بمعنى اضربوا . (٢) في النسخة الفتنوغرافية « المنصور » .

وقال رجل : كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد في المسجد ، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعو الى نفسه ، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول : الجواب . فقال : ليس له جواب ، قل لصاحبك : دعنا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في عافية .

- وكان عمرو بن عبيد اذا رأى المنصور يطوف حول الكعبة في قرطين يقول : إن يُريد الله بأمة محمد خيرا يُول أمرها هذا الشاب من بني هاشم . وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الانصراف ، قال : يا أبا عثمان سأل حاجتك . قال : حاجتي ألا تبعث الى حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسالك . ثم نهض فقال المنصور
- كُلُّكُمْ مَا شِئَ رُوِيَ * كُلُّكُمْ خَاتِلٌ صِيدٌ
* غير عمرو بن عبيد *

١٠

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال

صلى الاله عليك من متوسد * قبرا مررت به على مرأان
قبرا تضمن مؤمنا متحنفا * صدق الاله ودان بالقرآن
واذا الرجال تنازعوا في سنة * فصل الحديث بحكمة وبيان
فلو أن هذا الدهر أبى صالحا * أبى لنا حيا أبا عثمان

١٥

قال الوضاح بن حبيب : كنا اذا خرجنا — يعنى أصحابه — من عند المنصور صرنا الى المهدى وهو يومئذولى عهده ففعلنا ذلك يوما فابرز الى يده ، ولم يكن ذلك من عادته ، فأكبت عليها فقبلتها وضرب بيدي الى يده ، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده ، فوضع في يدي كتابا صغيرا تستره الكف ، فلما خرجت فتحتة فاذا فيه : يا وصاح ، اذا قرأت كتابي فاستأذن الى ضياعك بالرئى ، فرجعت فقلت للربيع : استأذن لى . فدخل فاستأذن ، فأذن لى ، فدخلت فقلت : يا أمير المؤمنين ، ضياعى بالرئى

٢٠

قد اختلّت وبى حاجة الى مطالعتها فقال : لا ، ولا كرامة ، فخرجت . ثم عدت اليه .
اليوم الثاني والقوم معى فدخلنا فاستأذنته ، فردّ الى مثل الجواب الأول . فقلت : يا أمير
المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك ، فسرى عنه ، ثم قال : اذا شئت
فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولى حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج
الى خلوة . فنهض القوم وبقي الربيع قلت : أخلى . قال : ومن الربيع وبينكما
ما بينكما ! قلت : نعم . ففتح الربيع ، فقال : قد خلوت فقل إن جدت لى بمالك
ودمك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أنا ومالى إلا من نعمتك ، حقنت دمي ودم أبى
ورددت على مالى وآثرتى بصحبتك . قال : إنه يهيجس فى نفسى أن جهورا على^(١)
خلع وليس له غيرك لما أعرفه بينكما ، فأظهر إذا صرت اليه الواقعة فى^(١) والنقص لى
حتى تعرف ما عنده ، وإن رأيته يهيم بخلع فاكتب الى ، ولا تكتبين على يد بريد ولا
مع رسول ولا يفوتنى خبرك فى كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطان فى دار
القطن فهو يوصل كتبك فى كل يوم الى . قال : فضيت حتى أتيت الرى فدخلت
على جهور فقال : أفلت ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أوانسه بالواقعة فيه حتى
أظهر ما ظن به المنصور فكتبت اليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبي على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم العقيلي
وعبد الملك بن حميد الشامي الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغم ذلك
المنصور ، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام رده . فلما رجع قال : يا أبا محمد إن
إسحاق بن مسلم حدثني أن رجلا هلك بدمشق وترك ناضا كثيرا وأرضا ورقيقا وزعم أنه
مولاكم وأشهد على ذلك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذلك مولانا قد كنت أعرفه
وأكتبه . فقال المنصور : يا إسحاق ، أعجبك كلامه فأحببت أن تعرفه .

(١) فى النسخة الألمانية : « جوهر » وهو تحريف إذ هو جهور بن مرار العجلي أحد قواد المنصور .

أبو الحسين المدائني قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى؟ فتمثل عبد الله فقال

ألم تر حَوْشَبَا أَمْسَى يُنَيِّئُ * قصورا نفعها لبنى بَقِيَّةَ
يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كلَّ ليلة

ثم أنتبه فقال : أفلنى [أفالك الله] ^(١) . قال : لا أفالنى الله إن بت في عسكرى ، فأخرجه إلى المدينة . [حَنَشُ بْنُ الْمَغِيرَةِ قَالَ : جِئْتُ وَأَبُو ذَرٍّ أَخَذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ ، مَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا جُنْدَبُ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا»] .

١٠ حدثنا خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ سَالِمٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ ، قِيلَ لِابْنِ عَمْرٍو : إِنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلَحَقَهُ عَلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ عِنْدَ خُرُوجِ الْحُسَيْنِ غَائِبًا فِي مَالٍ لَهُ فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ : الْعِرَاقُ . وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ كِتَابًا وَطَوَامِيرًا قَالَ : هَذِهِ كِتَابُهُمْ وَبَيْعَتُهُمْ . فَنَاشَدَهُ اللَّهُ أَنْ يَرْجِعَ فَأَبَى فَقَالَ : أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكَ حَدِيثًا : إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخِيرَهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَأَخْتَارَ الْآخِرَةَ ، وَإِنَّكُمْ بِضَعَةِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ لَا تَلِيَهَا أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَمَا صَرَفَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ إِلَّا لَمَّا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فَارْجِعْ . فَأَبَى فَأَعْتَنَقَهُ وَبَكَى وَقَالَ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ مِنْ قَتِيلٍ .

١٥ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ عَنِ السَّكَنِ قَالَ : كَتَبَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى الْأَحْنَفِ يَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهِ فَلَمْ يَرُدَّ الْجَوَابَ وَقَالَ : قَدْ جَرَبْنَا آلَ أَبِي الْحُسَيْنِ فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُمْ إِلَّا لَلَّةً لِلْمَلِكِ وَلَا جَمْعًا لِلْبَالِ وَلَا مَكِيدَةً

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

في الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعب بن الزبير نرجسة، سَكينة بنت الحسين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدِّي وأبي وعمِّي وزوجي مُصعباً، أيتُموني صغيرة وأرملتُموني كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

إِنَّكَ حَسِينًا لِيَوْمٍ مَصْرَعُهُ * بِالطُّفَّيْنِ الْكَائِبِ الْخُرْسِ
أَصْحَتْ بَنَاتُ النَّبِيِّ إِذْ قُتِلُوا * فِي مَأْتَمِّ السَّبَاعِ فِي عُرْسِ

روى سَنَانُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اتَّهَبَ النَّاسُ وَرُسًا فِي عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ فَمَا تَطَيَّبَتْ مِنْهُ أَمْرَأَةٌ إِلَّا بَرِصَتْ . ولما قُتِلَ حُسَيْنٌ قَالَتْ بِنْتُ لَعْقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ * مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ أَفْضَلُ الْأُمَمِ
بِعَثْرَتِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مَنْطَلَقِي * مِنْهُمْ أُسَارَى وَقَتْلَى ضُرَجُوا بِدَمِ
[مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي أَنْ نَصَحْتُ لَكُمْ * أَنْ تَخْلُقُونِي بِقَتْلِ ذِي رَحْمِي]

فَمَا سَمِعَهَا أَحَدٌ إِلَّا بَكَى .

[دَخَلَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : مَا فَعَلَ أَخُوكَ الْبَقْرَةُ ؟ قَالَ زَيْدٌ : سَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاقْرَأَ وَتَسْمِيَهُ بِقَرَّةٍ ! لَقَدْ اخْتَلَفْتُمَا .

أَخْبَرَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَا جَابِرُ إِنَّكَ سَتَعُمِّرُ بَعْدِي حَتَّى يُولَدَ لِي مَوْلُودٌ أَسْمُهُ كَأَسْمَى يَبْقَرُ الْعِلْمَ بِقَرَأَ فَإِذَا لَقِيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ » فَكَانَ جَابِرٌ يَتَرَدَّدُ فِي سَكِّ الْمَدِينَةِ بَعْدَ ذَهَابِ بَصْرِهِ وَهُوَ يَنَادِي : يَا بَاقِرُ، حَتَّى قَالَ

(١) كَذَا بِالْأَلْمَانِيَةِ فِي الْفَتْوْغَرَاْفِيَةِ «سَيَارِ بْنِ الْحَكَمِ» . (٢) زِيَادَةُ فِي النُّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ .

الناس : قد جُنَّ جابر . فبينما هو ذات يوم بالبلاط اذ بَصُرَ بجارية يتوزَّعها صبيٌّ فقال لها : يا جارية ، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . فقال : أدنيه مني فأدنته منه فقبل بين عينيه وقال : يا حبيبي ، رسول الله يقرئك السلام . ثم قال : نُعيت الى نفسي ورب الكعبة . ثم انصرف الى منزله وأوصى فمات من ليلته .

[قال هشام بلغنى^(١) أنك تَرَبِّصُ نفسك للخلافة وتطمع فيها وأنت ابن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم في أولاد السَّراري تقصيرا عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث اليه بهذه الأبيات]

مهلا بنى عمنا عن نحت أثلتنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تُهينونا ونُكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
فإن الله يعلم أنا لا نحبكم * ولا نلومكم ألا تحبونا
[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا في كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

قالت الحكماء : المدائن لا تبني إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلاء والمُحتطَب .

قال ابن شهاب : من قدم أرضا فآخذ من ترابها بفعله في مائها ثم شر به عُوفى من وبائها . وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من خُفَّا^(٢) أرضنا فقلما أكل قوم من خُفَّا أرض فضرهم ماؤها .

(١) هكذا في الأصل ، وفي الجملة حذف . ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن علي ، كما يدل عليه باقي

القصة ورواية العقد الفريد ، وقد وردت القصة كاملة هكذا في النسخة الألمانية ، واقتصر في الفتوغرافية على قوله « كتب زيد بن علي بن الحسين الى هشام بن عبد الملك » ثم ساق الأبيات .

(٢) الفخا : توابل القدور كالفلقل والكوم ونحوهما : لسان العرب .

حدَّثني الرياشي قال حدَّثني الأصمعي قال، قال معاوية: أغبطُ الناسَ عندى سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالمجاز، يترجع جُدة ويتقيظ الطائف ويتشتى مكة .

حدَّثنا الرياشي قال حدَّثنا الأصمعي قال: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الخطر والكندر والعصب والورس .

حدَّثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: اليهود لا تأكل من بقل سُورى وتقول: هى مغيض الطوفان . قال وقال الأصمعي عن معمر^(١) قال: سبعٌ محفوظات وسبع ملعونات، فمن المحفوظات تجران ومن الملعونات أئاف^(٢) [وبرذعة] . وأئاف^(٣) باليمن . وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة: ما تسمى هذه القرية؟ فقالت ويحك! أما سمعت قول الشاعر

أحب أئاف^(٤) عند القطاف * وعند عصارة أعناها

[قال الأصمعي: سواد البصرة الأهواز ودسئيسان وفارس، وسواد الكوفة كسكر^(٢) الى التراب الى عمل حلوان الى القادسية، وعمل العراق هيت الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الري ونحراسان الى الديلم والجبال كلها، وأصبهان صرة العراق افتتحها أبو موسى الأشعري، والجزيرة ما بين دجلة والفرات، والموصل من الجزيرة، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل في عمل العراق] .

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال: أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقردي تسمى سوق ثمانين، كان نوح لما خرج من السفينة ابنتها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فهى اليوم تسمى

(١) فى النسخة الألمانية «معتمر» وهو تحريف إذ هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوى النحوى وقد كان ماصرا للأصمعي . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية . (٣) كذا فى الأصل وهى محرفة عن «الزاب» كما فى ياقوت .

سوق ثمانين . قال : وحران سميت بهارآن بن آزر أنحى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبولوط .

(١) [قال النبي صلى الله عليه وسلم لبريدة : « يا بريدة إنه سيُبعث بعدى بُعُوثٌ فإذا بُعِثت فكن في أهل بَعث المشرق ثم في بَعث خراسان ثم في بَعث أرض يقال لها : مَرُوء ، فإذا أُتيتُها فانزل مدينتها فإنه بناها ذوالقرنين وصلى فيها ، غزيرة أنهارها تجري بالبركة ، في كل نقب منها ملكٌ شاهر سيفه يدفع عنها السوء إلى يوم القيامة » فقدها بريدة فمات بها] .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني الأصمعي قال أخبرني الثمر بن هلال الحبطي عن قتادة عن أبي جلدة ^(٣) قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ . وأرض العرب ألف فرسخ .

(١) [وقال أبو صالح كما عند ابن عباس فاقبل رجل بغلس ، فقال له : ممن أنت ؟ قال من أهل خراسان ، قال : من أي خراسان ؟ قال : من هَرَاة . قال : من أي هَرَاة ؟ قال : من بُوَشَنج . ثم قال : ما فعل مسجدها ؟ قال : عامرٌ يُصلي فيه . قال : ابن عباس كان لابراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بُوَشَنج . ثم قال : ما فعلت الشجرة التي عند المسجد ؟ قال : بحالها . قال : أخبرني العباس أنه قال في ظلها] .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « يزيد » وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية « أبي الجلد » ولم نعرف في كتب التراجم على من تكنى بهذه

الكنية ، على أن من شيوخ قتادة « أبا بردة بن أبي موسى » فلمله محرف عنه .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الحراني
عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة
ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند
المرأة^(٢١) ويا أتباع البهيمة ، رضا فاتبعتم وعُقر فأنهزتم . أما إنى لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة
منكم ، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفْتَحُ أَرْضُ يَاقُوتَ
لَهَا الْبَصْرَةُ أَقْوَمُ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ ، قَارِئُهَا أَقْرَأُ النَّاسِ ، وَعَابِدُهَا أَعْبَدُ النَّاسِ ، وَعَالِمُهَا أَعْلَمُ
النَّاسِ ، وَمُتَصَدِّقُهَا أَكْثَرُ النَّاسِ صَدَقَةً ، وَتَاجِرُهَا أَكْثَرُ النَّاسِ تِجَارَةً . مِنْهَا إِلَى قَرْيَةٍ
يُقَالُ لَهَا الْأُبُلَّةُ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ . يُسْتَشْهَدُ عِنْدَ مَسْجِدِ جَامِعِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، الشَّهِيدُ
مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَالشَّهِيدِ مَعِيَ يَوْمَ بَدْرٍ » .

١٠
 حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الْمُهِزَّمِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
 قَالَ : مُثِلَتِ الدُّنْيَا عَلَى مِثَالِ طَائِرٍ ، فَبِالْبَصْرَةِ وَمِصْرَ الْجَنَاحَانِ فَإِذَا خَرَبْتَا وَقَعَ الْأَمْرُ .
 وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ دَارُونَ بْنِ مَعْرُوفٍ عَنْ ضَمْرَةَ عَنْ ابْنِ شَوْذَبٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَيْمُونٍ
 قَالَ : الْبَصْرَةُ أَشَدُّ الْأَرْضِ عَذَابًا وَشَرًّا تَرَابًا وَأَسْرَعَهَا خَرَابًا . قَالَ وَقَالَ ابْنُ شَوْذَبٍ
 عَنْ يَزِيدِ الرَّشْدِ ^(٢) : قَسَتْ الْبَصْرَةَ فِي وَلَايَةِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرَى فَوُجِدَتْ طَوَلُهَا
 فَرَسَخِينَ غَيْرَ دَائِقٍ .

وقال محمد بن سلام عن شُعيب بن صَخْرٍ : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلَّت البصرةُ بلعلتُ الكوفةَ لمن دلَّني عليها ، قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة ، عزله عن البصرة

٢٠ (١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « يزيد بن خالد عن عبد الله بن ميمون المرقى » ولم نثر في كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله عن ميمون المرقى » إذ الاسمان موجودان معا في كتب التراجم . (٢) يعنى بها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وبالبدية الجمل الذى ركبته ، وبه سى هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية ، وفي الفتوغرافية « الرش » وكلاهما محرف عن الرش بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبى يزيد الضببى .

وَأَسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْكُوفَةِ . [وَقَالَ عَلَى حِينِ دَخَلَ الْبَصْرَةَ : يَا أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ وَيَا جُنْدَ الْمَرْأَةِ رَغَا فَاَجِبْتُمْ وَعُقِرْنَا نَهْزَمْتُمْ ، دِينَكُمْ نِفَاقٌ وَأَخْلَاقُكُمْ رِقَاقٌ وَمَأْوَاكُمْ زُعَاقٌ ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَالْبُصَيْرَةِ [و] السَّبِيخَةِ وَالْخَرِيْبَةِ ، أَرْضُكُمْ أَبْعَدُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَسْرَعُهَا خَرَابًا وَغَرَقًا .

٥ مر عتبة بن غزوان بموضع المربد فوجد فيها الكدّان الغليظ فقال : هذه البصرة فانزلوا بسم الله . وقال أبو وائل : اختط الناس البصرة سنة سبع عشرة [.

نفخ ناس من بنى الحارث بن كعب عند أبي العباس ، فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : ألا تكلم يا خالد ؟ قال : أخوال أمير المؤمنين وأهله . قال : فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعصبة . قال خالد : ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد ، دلّ عليهم هدهد وغرقتهم فارة وملكتمهم امرأة .

١٠ [سئل خالد عن الكوفة فقال : نحن منابتنا قصب ، وأنهارنا عجب ، وثمارنا رطب ، وأرضنا ذهب . قال الأحنف : نحن أبعد منكم سريّة وأعظم منكم بحريّة وأغذى منكم بريّة . وقال أبو بكر الهذلي : نحن أكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا ونحراجا ونهرا عجّاجا] .

وقال الخليل في ظهر البصرة مما يلي قصر أوس من البصرة

١٥ زُرْ وادَى القصر نعم القصر والوادی * لا بد من زُورَةٍ عن غير ميعاد
تُرْفَا به السُّفُنُ وَالظُّلُمَانُ واقفة * والصَّبُّ والتَّوْنُ والمَّلَاحُ والحَادِي

وقال ابن أبي عيينة في مثل ذلك

يا جنة فأت الحانّ^(١) فما : تبلغها قيمة ولا ثم
ألفتها فاتخذتها وطنا : إن فؤادي لحبها وطن

٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في البيان والتبيين « وأعظم منكم بحريّة » .
(٣) هكذا في الأصل ، وفي كتاب البيان للجاحظ أعذى بالعين المهملة وهو الأقرب إلى الصواب يقال عذا البلد يعضو : طاب هواؤه . (٤) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : فاقت .

زُوجَ حَيْثَانِهَا الضُّبَابَ بِهَا * فَهَذِهِ كَنْتُهُ وَذَا خَتَنُ
 فَانْظُرْ وَفَكَّرْ فَمَا يُطِيفُ بِهِ ^(١) * إِنَّ الْأَرِيبَ الْمَفَكَّرُ الْفِطْنُ
 مِنْ سُفْنٍ كَالنَّعَامِ مَقْبَلَةٌ * وَمَنْ نَعَامَ كَأَنَّهَا سَفْنُ
 أَنَسَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي كُكَّاسَةَ فِي ظَهْرِ الْكُوفَةِ
 وَإِنْ بِهَا لَوْ تَعْلَمِينَ أَصَانًا * وَلَيْلًا رَقِيقًا مِثْلَ حَاشِيَةِ الْبُرْدِ

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التيمي
 قال: لما أمرت الأرض أن تفيض غاضت إلا أرض الكوفة فلغنت، بجميع الأرض
 تُكرب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران . وكان يقال: إذا كان علم
 الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شامية فقد كل .

[لَمَّا اجْتَوَى الْمَسْلَمُونَ الْمَدَائِنَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا وَأَذَاهُمُ الْغُبَارُ وَالذُّبَابُ ، كَتَبَ عُمَرُ
 إِلَى سَعْدٍ فِي بَعْثَةِ رَوَادٍ يَرْتَادُونَ مِثْلًا بَرِّيًّا فَإِنْ الْعَرَبُ لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا مَا يَصْلَحُ الْإِبِلَ
 وَالشَّاءَ . فَسَأَلَ مَنْ قَبْلَهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فِيمَا يَلِيهِمْ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيِ الْعِرَاقِ مِنْ
 وَجْهِ الْعَرَبِ بِاللِّسَانِ . وَظَهَرَ الْكُوفَةُ يُقَالُ لَهُ اللِّسَانُ ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ إِلَى
 عَيْنِ بَنِي الْحَدَّاءِ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ: أَذْلَعَ الْبَرُّ لِسَانَهُ فِي الرَّيْفِ ، فَمَا كَانَ يَلِي الْفِرَاتِ
 مِنْهُ فَهُوَ الْمِلْطَاطُ وَمَا كَانَ يَلِي الظُّهْرَ مِنْهُ فَهُوَ النَّجَافُ ، فَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ بِأَمْرِهِ بِهِ] .

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ يَمْدَحُ الشَّامَ
 جَاعِلِينَ الشَّامَ حَمًّا ^(٤) لَهُمْ * وَلَئِنْ هَمَّوْا لَنَعْمَ الْمُسْتَقْلُ
 مَوْتَهُ أَجْرٌ وَنَحْيَاهُ غَنَى * وَإِلَيْهِ عَنِ أَذَاهِ مَعْتَرَكُ

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نطقته به» كما في الأغاني . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في معجم ياقوت في الكلام على اللسان «وما كان يلى البطن منه فهو النجاف» .

(٤) يقال حم حم أى قصد قصده .

وقال أيضا

ولكن قومي أصبحوا مثل خير * بها دأؤها ولا تضر الأعداء
قال الأصمعي : لم يولد بغدير ختم مولود فعاش الى أن يحتلم إلا أن يتحول
عنها . قال : وحرّة ليلي ربما مر بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون
أن من دخل أرض تبت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عجب حتى يخرج منها ،
ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا
فنفقد عقله وجد النقصان فيه يتنا . والناس يقولون : حُمي خير وطحال البحرين
ودماميل الجزيرة وطواعين الشام .

قالوا : من أطال الصوم بالمصيبة في الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة
الأهواز فتقلب كل من يترها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووباؤها وحماها يكون
في وقت انكسار الوباء ونزوع الحمى عن جميع البلدان ، وكل محوم فان حمّاه إذا قلعت
عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يعود الى التخليط . وإلى أن يجتمع في جوفه
الفساد لا محوم الأهواز فإنها تعاود من فارقتها لغير علة حدثت ، ولذلك جمعت سوق
الأهواز الأفاعي في جبلها المطل عليها والجزارات في بيوتها ومن ورائها سباح ومناقع
مياه غليظة وفيها أنهار تشققها مسایل كنفهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال
مقامها واستمرت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجمرات ، فإذا امتلأت
يسا وحرا وطادت جمره واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بنحرت تلك السباح
وتلك الأنهار ، فإذا التقى عليهم ما بنحرت به السباح وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الجمرات بكبابة : عقيرب قتالة تجر ذنبا اذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب .

(٢) في الأصل « طالت معاناتها بذلك الجبل » والتصويب عن معجم باقوت .

(٣) هكذا في الأصل . وفي معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التي فيها تلك الجمرات الخ » ولعل
صواب العبارة « قبلت بسبب الصخرية التي فيها تلك الجمرات فاذا امتلأت الخ » .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب :
 حدثني مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهم ربما قبلن الطفل فيجذنه في تلك الساعة
 محمومًا [يعرفن ذلك ويتحدثن به] . قال : ومن قدم من شق العراق إلى بلد الزنج
 لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النَّارِجِيل طمس الخُمَارُ
 على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شيء يسير . قال : وفي عهد سيجستان
 على العرب حين افتتحوها : ألا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ
 تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عيَّاش لأبي بكر الهذلي يوم فخره عند أبي العباس : إنما مثل الكوفة
 مثل اللّهُة من البدن يأتيها الماء يرده وصدوبته ، والبصرة بمنزلة المثانة يأتيها الماء
 بعد تغيره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عطار : إن الكوفة قد سفلت عن الشام ووبائها وارتفعت
 عن البصرة وعمقها فهي مريئة مريئة عذبة ثرية ، إذا أنتنا الشمال ذهب مسيرة شهر
 على مثل رضاء الكافور ، وإذا هبت الجنوب جاءت بريح السواد وورده ويأسمينه
 وأثرجه ، وماؤنا عذب وعيشنا خصب . وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة
 عجوز بجواء أوتيت من كل حلّ وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة في سمر يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقال يزيد : أيّ البلدين
 أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة ؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأزاد
 والمعقل وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بشير العجلي : لست أشك أيها الأمير أنكم
 قد اخترتم لأمر المؤمنين ما تبعثون به إليه . قال : أجل ، قال : قدر ضيقنا باختيارك
 لنا وعلينا . قال : فأى الرطب تحملون إليه ؟ قال : المُشَّان . قال : ليس بالبصرة منه
 واحدة . ثم أية ؟ قال : السَّارِي . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن
 (١) كذا بالأصول ، وفي معجم البلدان : « وحرها » .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأى التمر تحملون اليه ؟ قال :
الزبيان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : ثم أية ؟ قال : الهيثون أزاذ .
قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأى القسب تحملون اليه ؟ قال : قسب
العنبر . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادعى عليك خمسا
فشاركته في واحدة وسلمت له أربعا ، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم انصرف ، فقال له أصحابه : كيف رأيت
البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس : أما الجائع فيأكل خبز الأرز
والصحناء لا ينفق في الشهر درهمين ، وأما العزب فيتزوج بشق درهم ، وأما المحتاج
فلا عيلة عليه ما بقيت عليه آسته يخراً ويبيع .

أبو الحسن المدائني قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية :
أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت . قال معاوية : إذا كنت أكون ابن
أبي سفيان منزى الأبطح ينشق عنه سيله ، وكنت ابن خالد منزلك أجساد أعلاه مدرة
وأسفله عذرة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رثة ، فسأل عنه فقالوا : من بني تغلب .
فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قلما وطئنا البطحاء . قال له
التغلي : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهي لى دونك ، وبطحاء ذى قار
وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء العاكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تنزلني ماء سوء فأكون أمرا سوء . قال خالد
ابن صفوان : ما رأينا أرضا مثل الأبلّة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا

(١) إدام يتخذ من السمك الصغار .

أوطأ مطية ولا أريج لتاجر ولا أخفى لعابد . وقال ابن أبي عيينة يذكر قصر انس بالبصرة

فيا حسن ذلك القصر قصرا ونزهة * بأفصح سهل غير وعمر ولا ضنك
بغرس كأبكار الجسوارى وتربة * كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرون حوله * الى ملك مؤيد على منبر الملك
يُدلُّ عليها مستطيلا بحسنه * ويضحك منها وهي مطرقة تبكي

قال جعفر بن سليمان : (١) العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، ودارين عين الربد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الحصب من شق العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشام كان الحصب بالشام ، وإذا عم جوانب البيت كان المطر عاما . قال : [وذرع الكعبة أربعمئة وتسعون ذراعا] .

المدائني قال قال الحجاج : لما تنبأت الأمور منازلها قالت الطاعة : أنزل الشام ، قال الطاعون : وأنا معك . وقال النفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك . وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشقوة : [وأنا معك] .

١٥ (١) في الفتوغرافية «مسلم» وفي الألمانية «سليمان» ويوافقه ما في لطائف المعارف للثعالبي .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

كتاب السُّودد

مخايل السُّودد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة رحمه الله : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال : أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسنّاً من أهل البادية وكان من ولد الزُّبرقان بن بدر من قبل النساء ، قال : كان الزُّبرقان يقول :
أبغضُ صبياننا إلى الأَقْيَيسُ الذكر الذي كأنما يَطْلُع في حجره ، وإن سأله القوم أين أبوك ، هَرَّ في وجوههم وقال : ما تريدون من أبي . وأحبُّ صبياننا إلى الطويلُ الغُرَّة السَّبَطُ الغُرَّة العريض الورك الأبله العقول الذي يطيع عمه ويعصى أمه ، وإن سأله القوم أين أبوك ، قال : معكم .

قال وقال الأصمعي قال معاوية : ثلاث من السُّودد : الصَّلَع ، واندحاق البطن ، وترك الإفراط في الغيرة .

قال وقيل لأعرابي : هم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغُرَّة طويل الغُرَّة مُلثات الإزرة وكانت فيه لَوْنَةٌ فلسنا نشك في سودده . وقيل لآخر : أي الغلمان أسود ؟ قال : إذا رأيته أعنق أشدق أحق فأقرب به من السودد . وكان يقال : إذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة خديده الأرنبة كأنما جبينه صَلَاية فلا تَرَّجُه ، إلا أن يريد الله أمراً فيبلغه .

- حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : قريش تمدح بالصلع . وأنشد
 إن سعيداً وسعيداً فرع * أصلع تنميه رجال صُلَع
 ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إني أظن هذا الغلام سيسود
 قومه . فقالت هند : نكته إن كان لا يسود إلا قومه .
- ٥ قال شبيب بن شيبه لبعض فرسان بني منقر : ما مِطَلَّتْ مَطْلَ الفُرسَان ولا فُتِثَتْ
 قَتَقُ السَّادَةِ . وقال أنر لِسنان بن سَلَمَةَ الهذلي : ما أنت بأَرْسَحَ فتكون فارساً
 ولا بعظيم الرأس فتكون سيداً . وقال بعض الشعراء
 فقبلت رأساً لم يكن رأس سيّد * وكفا ككف الضبّ أوهى أحقر
 وقال أنر
- ١٠ دعا ابنُ مطيعٍ للبياع بختته * إلى بيعة قلبي لها غير ألف
 فناولني خشناء لما لمستها * بكفى ليست من أكف الخلائف
- وقرأت في كتاب للهند أنه قد قيل في الفِراسة والتَّوسُّم : إنه من صغر عينه
 [و] دام اختلاجها وتتابع طرفها ومال أنفه إلى أيمن شقيقه وبعد ما بين حاجبيه
 وكانت منابت شعره ثلاثاً ثلاثاً وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفت تارة بعد أخرى ،
 غلبت عليه أخلاق السوء .
- ١٥ كان يقال : أربع يُسَوِّدَنَّ العبد : الأدب ، والصدق ، والعفة ، والأمانة . وقال
 بعض الشعراء في النبي صلى الله عليه وسلم
 لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيَّنَةٌ * كانت بداهته تُنَبِّئُكَ بالخبر
 وقال معاوية : إني لأكره البكارة في السيد وأحب أن يكون عاقلاً متغافلاً .
- ٢٠ (١) قليل لحم المعجز والفضيل .
 (٢) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ولعلها محرفة عن « الغبارة أو البلادة » كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر في هذا المعنى

ليس الغنى بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغاي

ويقال في مثل : « ليس أمير القوم بالحب الخدع » . وقال الفرزدق

لاخير في خب من ترجى فواضله * فاستميطروا من قريش كل منخدع

كان فيه إذا حاولته بلها * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقال إياس بن معاوية : لست يحب والحب لا يخدمنى . وقال مالك بن أنس

عن ابن شهاب : الكريم لما تحكته التجارب .

قال بعض الشعراء

غير أنى أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يسودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : السيد الجواد حين يسأل ، الحليم حين

يستهزل ، الباز بمن يعاشر . قال عدي بن حاتم : السيد الذليل في نفسه ، الأحمق

في ماله ، المطرّح لحقده ، المعنى بأمر عاتمه . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد ،

فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ فقال :

ببذل القرى وترك المرأ ونصرة المولى . وقال على بن عبد الله بن عباس : سادة الناس

في الدنيا الأغنياء وفي الآخرة الأتقياء . وقال سلم بن قتيبة لولده : إنكم لن تسودوا

حتى تصبروا على سزار الشيوخ البخر . وقال : الدنيا هي العافية ، والصحة هي

الشباب ، والمروءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هذاب : كما نعرف سؤدد سلم

ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد

عبيه : بم سدت قومك ؟ قال : بتركي من أمرك ما لا يعينني كما عناك من أمرى

مالا يعينك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العتري^(١) : أخبرني عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وهو في النسخة الفتوغرافية غير واضح ، وذكر في العقد الفريد في باب

السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زنباع .

ابن مسمع . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أى شىء
غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السودد ، ولم يل شيئاً قط . وكذلك أسماء
ابن خارجة لم يل شيئاً قط . قيل لعراة الأوسى : بم سدت قومك ؟ فقال بأربع :
أنخدع لهم عن مالى ، وأذل لهم فى عرضى ، ولا أحقر صغيرهم ، ولا أحسد رفيعهم .
وقال المقنع الكندى وهو محمد بن عميرة

ولا أحمل الحقد القديم عابهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقد
وليسوا الى نصرى سراً وإن هم * دعونى الى نصر أتيهم شدا
إذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
يعترنى بالدين قومي وإنما * ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا

وقال آخر

هينون لينون أنيسار ذوو يسير * سواس مكرمة أبناء أنيسار
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا * ولا يمارون إن ماروا بياكار
من تلق منهم ثقل لا قيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقال آخر

وان سيادة الأقسام فأعلم * لها صعداء مطلقها طويل

وقال رجل من العرب : نحن لا نسود الا من يوطئنا رجليه ويفرشنا عريضه
ويملكنا ماله . وفى الحديث المرفوع : « من بذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد » .
ويقال : لأسودد مع انتقام . والعرب تقول « سيد معتم » يريدون أن كل جناية
يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يعتم بعمامة
صفراء لا يعتم بها غيره . وإنما سُمي الزبرقان بصفرة عمامته . يقال : زبرقت الشىء
إذا صفرتة ، وكان اسمه حصينا . قيل لابن هبيرة : من سيد الناس اليوم ؟
قال : الفرزدق ، هجاني ملكا ومدحني سوقة . وقال عامر بن الطفيل

إني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثته * أبي الله أن أسمو بأتم ولا أب
وليكنتني أخي جمها وأتقى * أذاها وأرمى من رماها بمنكب

هذا نحو قول الآخر

نفس عصام سودت عصاما * وعائته الكثر والإقداما
* وصيرته ملكا هماما *

وعصام عبد كان للنعمان بن المنذر . وله يقول النابغة
فإني لا ألوم على دخول * ولكن ما وراءك يا عصام؟

الكمال والتناهي في السؤدد

- ١٠ حدثني أبو حمزة الأنصاري عن العتيبي قال ، قال الأحنف : الكامل من
عدت هفواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لشغل الهند فوله ،
فكتب اليه : إن قبلي رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قيس ، وسنان بن سلمة
الهللي . فكتب اليه معاوية : بأي يومى الأحنف نكافيه : أئخذلانه أم المؤمنين ، أم بسعيه
علينا يوم صفين ؟ فوجه سنانا ، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف
والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا
أوحده الله فمائله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقال أيضا في نحو هذا

- ٢٠ ياناق لا تسأى أو تبلى رجلا * تقيل راحته والركن سنان
متى تحطى اليه الرجل سالمة * تستجمعي الخلق في مثال إنسان

محمد خير من يمشى على قَدَم * ممن برا الله من إنس ومن جان
تتازع الأحمدان الشَّبه فاشتبهها * خلُّقا وخلُّقا كما قُدَّ الشُّرا كان
سَيَّانٍ لا فرق في المعقول بينهما * معانها واحد والعلة اثنان
وقال الطائي

لو أن إجماعنا في فضل سُودده * في الدين، لم يختلف في الملة اثنان

وقال أيضا

فلو صوّرت نفسك لم تَزِدْها * على ما فيك من كرم الطُّباع

وقال خالد بن صفوان : كان الأحنف يفتر من الشرف والشرف يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : وفد الأحنف والمنذر بن الجارود الى
معاوية، فتميّا المنذر ونرج الأحنف على قعود وعليه بَتٌ، فكلما مرّ المنذر قال
الناس : هذا الأحنف، فقال المنذر : أراني تزيتُ لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم
للاحنف : ما أعظم متنتنا عليك ! فضلناك وسودناك، فقال : هذا شبيل بن معبد، من
سودده وليس بالحضرة بجلى غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشيباني : مَنْ أكرمُ
العرب أو مَنْ خيرُ الناس ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ الناسُ أن يكونوا منه، ولا يُحِبُّ أن
يكون من أحد، يعني بني هاشم . قال : مَنْ أكرمُ الناس ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ أن
يكون من غيره، ولا يُحِبُّ غيره أن يكونوا منه . قال رجل من أشراف العجم لرجل
من أشراف العرب : إن الشَّرَفَ نسب مفرد، فالشريف من كل قوم نسيب . وكان
يقال : أكرمُ الصَّفايا أشدها وَلَهًا إلى أولادها، وأكرمُ الإبل أحنُّها إلى أوطانها،
وأكرمُ الأَفْلاء أشدها ملازمةً لأمهاتها، وخير الناس أَلَفُ الناس للناس .

(١) جمع فُلُو بالكسر أو كهدو وسمُو، وهو الجحش أو المهر إذا فطا أو بِلغا السنة .

السيادة والكمال في الحدائث

قال الأحنف : السؤدد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أئته السيادة في حدائثه وسواد رأسه ولحيته ، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد الناس وعامةهم يُراد أن السؤدد يكون بتسويد العامة . وقال أبو اليقظان وليّ الحجاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحكم الثقفى قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولّاه السند فافتتح السند والهند وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر

إن السماحة والمروءة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب ذلك سؤددا من مولد!

ويروى * ياقرب ذلك سورة من مولد - السورة المنزلة الرفيعة . قال أبو اليقظان : وهو جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاية فارس . وقال حمزة بن بيض الخلد بن يزيد بن المهلب (١)
باغت لعشر مضت من سنيك ما يبلغ السيد الأشيب
فهكك فيها جسام الأور * وهم لدايتك أب ياعبوا

نظر الخطيئة الى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر ، فقال : من هذا الذى نزل عن الناس في سمنه وعلاهم في قوله ! وقال ابن مسعود : اوبلغ أسناننا ما عشره منا رجل . ونظر رجل الى أبي ذؤلف في مجلس المأمون فقال : إن همته ترمى به وراء سنه . وولى عبيد الله بن زياد خراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وليها معاوية . وقيل لزياد عند موته : استخفاف عبيد الله ، فقال : إن يك فيه خير فسيوليه عمه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أباك أن يوأيك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين ، لا يقولنها أحد

(١) قال ابن برى هو بكسر الباء لا غير ، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) هكذا بالأصل وعبارة اللسان عاشره وقال في بيانها : لو كان في السن مثلنا ما بلغ أحد منا عشر عليه .

بعدك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعماله ، فرغب فيه فاستعمله على نحرسان .
 وولى معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة
 وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناس عن إبراهيم النخعي وهو ابن ثمانين
 عشرة سنة . وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد مكة وهو ابن
 خمس وعشرين سنة . وسودت قريش أبا جهل ولم يطتر شاربه فأدخلته مع الكهول
 ٥ دار الندوة . قال الكهيت

رُفِعَتْ إِلَيْكَ وَمَا تُغَرُّ^(١) * تَ عِيُونُ مُسْتَمِيعٍ وَنَاطِرٍ
 وَرَأَوْا عَلَيْكَ وَمِنْكَ فِي السَّمْعِ هَذَا النَّهْيَ ذَاتَ الْبَصَائِرِ

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتحوز يريد
 الكلام ، فقال عمر : كبروا كبروا ، فقال الفتى : يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس
 بالسن ، ولو كان كذلك كان في المسامين من هو أسن منك ، قال صدقت فتكلم .
 قال الشاعر في خلاف هذا المعنى

إِنَّمَا الْمُلْكُ أَنْ يُنَاسُوا بَغَرٌ * لَمْ تُعْرِهِ الْأَيَّامُ رَأْيَا وَثِيقًا

وقال آخر

أَلَا قَالَتِ الْحَسَنَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا * كَبُرَتْ ، وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعًا
 ١٥ رَأَتْ ذَا عَصَا يَمْشِي عَلَيْهَا وَشَيْبَةً * تَقْنَعُ مِنْهَا رَأْسَهُ مَا تَقْنَعَا
 فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَهْزِي بِي فَقَلَّمَا * يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا
 وَلَلْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عُلَّالَةً * مِنَ الْجَدْعِ الْمُجَرَّى وَأَبْعَدُ مَزْعَا
 رَأَى بُكَيْرُ بْنُ الْأَخْنَسِ الْمُهَلَّبَ وَهُوَ غَلَامٌ فَقَالَ

خَذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يُسَدِّ سَرَوَاتِهِمْ * وَيَبْرَعْ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

٢٠

(١) يقال ثغر الغلام إذا سقطت أسنانه الراضع .

الهمة والخطار بالنفس

قال أخبرنا خالد بن جويرية عن محمد بن دؤيب ^(١) الفقيمي وهو العائني الراجز عن
دكين الراجز قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استخلف أستعجز منه وعدا كان
وعنديه وهو والي المدينة، فقال لي : يا دكين إن لي نفسا تواقفة، لم تزل نتوق إلى
الإمارة، فلما نلتها ناقت إلى الخلافة، فلما نلتها ناقت إلى الجنة . وما رزأت من
أموال المسلمين شيئا، وما عندي إلا ألفا درهم، فاختر أيهما شئت، وهو يضحك .
فقلت : يا أمير المؤمنين، قليلك خير من كثير غيرك، ويقال قليلك خير من كثير
غيرك، فاختر لي أنت، فدفع إلي ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها، فابتعت بها
إبلا وسقتها إلى البادية، فرمى الله في أذناها بالبركة بدعوته حتى رزقني الله ماترون .

قال معاوية لعمر بن العاص حين نظر معسكر على عليه السلام : من طلب
عظيما خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول : عليكم بكل أمر مزلة مهلكة . أي عليكم
بجسام الأمور . وقال كعب بن زهير

وليس لمن لم يركب الهول بغية * وايس لرحل حظه الله حامل

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والحنأ * أصبت حليما أو أصابك جاهل

وفي كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل
السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو، وفيه أيضا : لا ينبغي أن يكون الفاضل من
الرجال الا مع الملوك مكرما أو مع النساك متبتلا، كالليل لا يحسن أن يرى إلا
في موضعين : في البرية وحشيا أو للولك مكرما، وفيه أيضا : ذوالهمة إن حط فنفسه
تأبى إلا علوا كالشعلة من النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . وقال العتابي

تلوم على ترك الغنى باهليته * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد

(١) نسبة إلى فقيم دارم، قال في القاموس : والنسبة إلى فقيم مكانة فقيمي كعزني وهم نساء الشهور في الجاهلية،
والى فقيم دارم فقيمي هـ .

يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى * مغمصهما بالمشركات البوارد؟
ذرىنى تجئنى ميتى مطمئنة * ولم أتقهم هول تلك الموارد
فإن كريمات المعالى مشوبة * بمستودعات فى بطون الأساود

وقال الطائي

وأخرى لحتنى يوم لم أمنع النوى * قيادى ولم ينقض زمايى ناقض
أرادت بأن يحوى الغنى وهو وادع * وهل يفرس الليث الطلا وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطلب هدوءا فى التقلقل^(١) وأستتر * بالعيس من تحت السهاد هجودا
ما إن ترى الأحساب بيضا وصححا * إلا بحيث ترى المنايا سودا

وقال آخر

* ما العز إلا تحت ثوب الكد *

وقال آخر

الذل فى دعة النفوس ولا أرى * عز المعيشة دون أن يشقى لها

وقال بعض المحدثين وأظنه البحتري

فاطلبا ثالثا سواى فإنى * رابع العيس والدجى والبيد
لست بالواهن المقيم ولا القا * ثل يوما إن الغنى بالحدود
وإذا استصعبت مقادة أمري * سهلتها أيدى المهاري القود

وقال عبد الله بن أبي الشيص

أظن الدهر قد آلى فبرا * بأن لا يكسب الأموال حرا
لقد قعد الزمان بكل حرا * ونقض من قسواه المستمرا
كأن صفائح الأحرار أردت * أباه غارب الأحرار طرا

(١) فى النسخة الألمانية : التقلد، وفى الفتوغرافية : التقلل، والتصويب عن الديوان .

فأصبح كلُّ ذى شرف ركوبا * لأعناق الدجى برأ وبجسرا
فهتِك جَنِبَ درع الليل عنه * إذا ماجِبُ درع الليل زُرّا
يراقِبُ لِلنِّنى وجهها ضُحُوكا * ووجهها لِلنِّية مُكفَهَرّا
وهن جعل الظلامَ له قُعودا * أصاب به الدجى خيرا وشرّا

- وكان يقال : مَنْ سرّه أن يعيش مسرورا فليقنّع ، ومن أراد الذكر فليجهد . قيل
للعنّابى : فلان بعيدُ الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء :
مَنْ أسوأ الناس حالا ؟ قال : مَنْ أَسَمَت معرفته وضاعت مقدرته وبعُدت همّته .

وقال عديّ بن الرقاع

والمرء يُورثُ جودَه أبناءَه * ويموتُ آخرُ وهو فى الأحياء

- أبو اليقظان قال : كان أولُ عمل وليّه الحجاج تَبالّةً ، فسار إليها فلما قُرب منها
قال للدليل : أين هى وعلى أىّ سَمت هى ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمة . قال
لا أراى أميرا إلا على موضع تستر منه أكمة ! أهوئُ بها ولاية ! وكرّراجعا . ف قيل
فى المثل : «أهوئُ من تبالّة على الحجاج» . وقال الطائى

وطولُ مقام المرء فى الحى مُخلِقٌ * لِدِيساجتِيهِ فأغترِبُ نَجْدِ

- فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدتُ محبّةً * إلى الناس أن ليست عليهم بَسْرَدِ

وقال رجل لآخر : أبوك الذى جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفترق
الجماعة ، لا جرم لقد هُزم ثم أُسر ثم قُتل ثم صُلب . قال الآخر : دَعْنى من ذكر
هزيمة أبى ومن صلبه ، أبوك ما حَدَث نفسه بشيء من هذا قط . قال حاتم طي

لحى الله صُعلوكا مُناه وهَمّه * من العيش أن يلقى أبوسا ومَطْعما

- يرى الخُصَّ تعذِبا وإن يلقى شُعبةً * ياتُ قلبُه من قلةِ الهَمِّ مُبَهَما
ولله صُعلوكٌ يُساوِر همّه . ويمضى على الأهوال والدهر مُقديما

يرى قوسه أورمحه ويجنسه * وذا شطب لذن المهزة يخذما
وأحناء سرج قاتر^(١) وبلامة * معدا لدى الهيجا وطرفا مسوما
فذلك إن يهلك في ثأوه * وإن يحي لا يقعد لثنا مذمما

وقال آخر

لا يمنعك خفض العيش تطلبه * نزاع شوق الى أهل وأوطان
تلق بكل بلاد إن حلت بها * أهلا بأهل وجيرانا يجيران
ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسب فخير البلاد ما حملك . وقال عروة بن الورد

لحى الله صعلوكا إذا جرت ليله * مصافى المشاش ألفا كل مجزير^(٢)
يعد الغنى من دهره كل ليلة * أصاب قراها من صديق مبسر
ينام عشاء ثم يصبح قاعدا * يمت الحصا من جنبه المتعقر
يعين نساء الحى لا يستعنه * ويمسى طايحا كالبعير المحسر
ولله صعلوك صفيحة وجهه * كضوء شهاب القابس المستور^(٣)
مطل على أعدائه يزجرونه * بساحتهم زجر المنيع المشهر

وقال آخر

تقول سليمى: لو أقت بأرضنا! * ولم تدري أنى للقيام أطوف

وقال الطائي في نحوه

أآلفة النجيب كم افتراق * ألم فكان داعية اجتماع^(٤)
وما إن فرحة الأبواب إلا * لموقوف على ترح الوداع

(١) القاتر والمقتر من الرجال والسروج الجيد الوقوع على الظاهر أو اللطيف منها . قاموس .

(٢) المشاش جمع مشاشة وهى رأس العظم الممكن مضغه . (٣) كذا فى الأصول والأغانى ،

وفى الحماسة : «ولكن صعلوكا الخ» . (٤) فى الأصول اطل ، والتصويب عن الديوان .

نظر رجل إلى رَوح بن حاتم واقفا في الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال
وقُوفك في الشمس . فقال روح : لِيَطُولَ مُقَامِي فِي الظل . وقال خَدَّاش بن زُهَيْر
ولن أكون كمن ألقى رِحَالَهُ * على الحمار وخلق صهوة الفرس

وقال آخر

لا أنت قصرت عن مجيد ولا أنا، إذ * أَسْمُو إِلَيْكَ بِنَفْسِي، قَصَرْتُ هِمَمِي .
قال عمر بن الخطاب : أَشْنِعُوا بِالْكُنَى فَإِنَّهَا مِنْبَهَةٌ . دخل عُبَيْد الله بن زيَاد بن ظَبْيَان
الْتِمَى عَلَى أَبِيهِ وَهُوَ يَجُود بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ : أَلَا أَوْصِي بِكَ الْأَمِيرَ؟ فَقَالَ عُبَيْد الله :
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَيِّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ هُوَ الْمَيِّتُ . وقال الشاعر في نحوه
إِذَا مَا الْحَيِّ عَاشَ بَعْظُ مَيِّتٍ * فَذَاكَ الْعَظْمُ حَيٌّ وَهُوَ مَيِّتٌ

وقال معاوية لعمر بن سعيد وهو أصبى : إلی مَنْ أَوْصِي بِكَ أَبُوكَ؟ قال :
أَوْصِي إلیَّ وَلَمْ يُوصِ بِي . نظر أبو الحارث حمير إلى رِذْوَنِ يُسْتَقَى عَلَيْهِ، فَقَالَ : الْمَرْءُ
حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ، لَوْ هَمَلَجَ هَذَا لَمْ يُبَلِّ بِمَا تَرَوْنَ . قال الطائي

وَقَلَقَلْ نَابِي مِنْ نَحْرَاسَانِ جَاشُهَا * فَقَلَّتْ أَطْمَئِنِّي أَنْضِرُ الرُّوضِ عَازِبُهُ
وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا * عَلَى مِثْلِهَا، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهُ
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَيِّمَ صَدُورُهُ، * وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ عَوَاقِبُهُ

وقال آخر

وَعِشْ مَلِكًا أَوْ مَتَّ كَرِيمًا، وَإِنْ تَمَّت * وَسَيُفْكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعَسِّدِرُ
وَالْمَشْهُورُ فِي هَذَا قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ * كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِتَجْدِيدِ مَوْئِلٍ * وَقَدْ يَدْرِكُ الْمَجْدَ الْمَوْئِلُ أَمْثَالِي

وقوله -

يكي صاحبي لما رأى الذربَ دونه * وأيقن أنا لاحقاً بقيصراً
فقلت له : لا تترك عينك ، إنما * نحاول مُلكاً أو نموت فنُعذراً

وقال أبو نؤاس

سأبني الغنى إنما جليس خافية : تقوم سواء ، أو تُخيف سبيل
وقيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ! فقال : منزلي دار الإمارة أو الحبس .
والمشهور في سقوط المهمة قول الخطيب
دع المكارم لا ترحل لُبغيتها * وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال مالك بن الرئب

فإن تُصِفونا آل مروانَ نُقَرِّب * إليكم وإلا فاذنوا بتَعَادِي^(١)
فإن لنا عنكم مَرَّاحاً ومرحلاً * بعيس إلى ريح الفلاة صَوَادِي
وفي الأرض عن دار المذلة مذهب * وكلُّ بلادٍ أوطنت كِلَادِي
فماذا عسى الحجاج يَبْلُغُ جهده * إذا نحن جاوزنا حَفِيرَ زياد
فَبَاسَتْ أباي الحجاج وآسَتْ عَجُوزُهُ * عُبَيْدُ^(٢) بهم يَرْتَعِي بُوَهَادِي
فلولا بنو مروان كان ابنُ يوسف * كما كان عبداً من عبيد إِيَادِي
زَمَانٌ هُوَ الْمُقَرِّي^(٣) الْمُقْسِرُ بِذَلَّةٍ * يُرَاوِحُ غِلْمَانُ الْقُرَى وَيُغَادِي^(٤)
بعث ينحّاب خليفتهما إلى ابن عائشة المحدث وهو عبيد الله بن محمد بن حفص
التيمي ، فأتاه في حلقة في المسجد فقال له : أبو من ؟ قال : هلاً عرفت هذا قبل مجيئك !

(١) في الكامل للبديع ليبيج : « بيعاد » بدل « تعادي » وهو الأنسب للسياق .

(٢) العبيد تصغر عتود وهو كما في لسان العرب من أولاد المعز ماري وقوى وأق عليه حورل ، يصفه بالضعف .

(٣) المنقري طالب الضيافة ، وفي الحاشية والكامل : « العبد » . (٤) كذا بالأصل ؟

قال : أريد أن تُخَلِّينِي . قال : في حاجة لك أم في حاجة لي ؟ قال : في حاجة لي .
قال : فَأَلْقِنِي في المنزل . قال : فإن الحاجة لك . قال : مادون إخواني سرّ .

وقال بعض لصوص همدان وهو مالك بن حريم

كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها * مرأغمةً ما دام للسيف قائمُ
متى تجمع القلبَ الذكيَّ وصارما * وأثفا حياً تجنّبك المظالمُ
ومن يطلب المالَ المنعَّ بالقنا * يعيشُ مثرياً أو تختبرمه المخارمُ
وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غزَوْتُهُم * فهل أنا في ذا يالَ همدان ظالمُ

وقال أبو النّشّاش ، من اللصوص

إذا المرءُ لم يَسْرَحْ سَواماً ولم يُرِحْ * سَواماً ولم تعطف عليه أقاربه
فَلَمَمْتُ خيرَ للفتى من حياته * فقيراً ومن مَوْتٍ تدبّ عقاربه
وسائلةً بالغيب عني وسائلٍ * ومن يسألُ الصُّعلوكَ أين مذهبُه ؟
وطامسةُ الأعلام ماثلةُ الصُّوى * سَرَتْ بأبي النّشّاش فيها ركائبُه
فلم أرمثلَ الفقرَ ضاجعةً الفتى * ولا كسواد الليل أخفَقَ صاحبه^(١)

وقال آخر من اللصوص

وإني لأستحي من الله أن أرى * أطوفُ بأرض ليس فيه بعيرُ
وأن أسألَ المرءَ اللّثيم بعيره * وبُعْرَانُ رَبِّي في البلاد كثيرُ
فليل إن وارانِي الليلُ حكمةً * وللشمس إن غابت على تدورُ
عوى الذّئبُ فاستأنستُ للذئبِ إذعوى * وصوتُ إنسانٍ فكذتُ أطيُرُ
رأى الله إني للأنيب لَشَانِي * وتُبغِضُهُم لي مقسلةً وضميرُ

(١) في الحاشية : « طالبه » . أي الطالب فيه .

وقال اليمر بن تولب

خاطر بنفسك كي تُصيب غنيمة * إن الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه تجلة ومهابة * والفقر فيه مذلة وقُبوح

وقال آخر

تقول ابتي : إن انطلقك واحدا * إلى الرُوع يوما تاريكي لا أباليا
ذريني من الإشفاق أوقدي لنا * من الحداث والمنية واقيا
ستتلف نفسي أو سأجمع هجمة * ترى ساقيتها يالمان التراقيبا

وقال أوس بن حجر

ومن بك مثلي ذا عيال ومقتر * من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليُبي عذرا أو ليبلغ حاجة ، * ومبلغ نفس عذرها مثل منجج

وقال آخر

رمى الفقر بالأفوام حتى كأنهم * بأطرار آفاق البلاد نجوم
قال كسرى : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع : وقال الشاعر
خُلقان لا أرضى اختلافهما : * تيسه الغنى ، ومذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطرا * وإذا افتقرت فتبه على الدهر
وأصبر ، فلست بواجب خُلقا * أدنى إلى فرج من الصبر

كان أعرابي يمنع ابنه من التصرف إشفاقا عليه ، فقال شعرا فيه

إذا ما الفتى لم يتبع إلا لباسه * ومطعمه ، فالحير منه بعيد
يذكرني خوف المنايا ، ولم أكن * لأهرب مما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي * وقيل إذا أخطأت : أنت رشيد
رأيت الغنى قد صار في الناس سوددا ، * وكان الفتى بالمكرمات يسود

وإن قلتُ لم يُسمعَ مقالِي وإِني * مُبْدِي حَقِّ بَيْنِهِم وَمُعِيدُ
فَذَرْنِي أَجُولُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّه * يُسَرُّ صَدِيقُ أَوْ يَسَاءُ حَسُودُ
أَلَا رُبَّمَا كَانَ الشَّفِيقُ مَضَرَّةً * عَلَيْكَ مِنَ الْإِشْفَاقِ وَهُوَ وَدُودُ

وقال أعرابي من باهلة

سَأَعْمَلُ نَصْرَ الْعِيسِ حَتَّى يَكْفِنِي * غِنَى الْمَالِ يَوْمَا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ
فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا * عَلَى الْحَزَنِ بِالْإِقْلَالِ وَنَسَمُ هَوَايَ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْغِ حُسْنَ كَلَامِهِ * وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا : عَدِيمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ - بُورِكَ الْغِنَى - * بغير لسانٍ ناطقٍ بلسانِ

الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابي ١٠

وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ يَحْمَدُ الْغِنَى * وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا جَدَّ الْعَمُّ مُحْوِلًا
يَمْنُونَ إِنْ أُعْطُوا وَيَخْلُ بَعْضُهُمْ * وَيُحْسَبُ عَجْزًا سَكْتُهُ إِنْ تَجَمَّلَا
وَيُزِيرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ * وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَلَا

وقرأت في كتاب للهند : ليس من خلة يمدح بها الغني إلا ذم بها الفقير، فان

كان شجاعا قيل أهوج، وإن كان وقورا قيل بليد، وإن كان لينا قيل مهذار،
وإن كان زمينا قيل عي^(١) . وقال آخر

الْفَقْرُ يُزِيرِي بِأَقْوَامِ نَوَى حَسْبِ * وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ

وأنشد ابن الأعرابي

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مُرُوءَةً * وَمَا الْمُرُوءَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً يُقَعِّدُنِي * عَمَّا يَنْوَهُ بِاسْمِي رِقَّةُ الْحَالِ

٢٠

(١) الزميت : كثير الوقار .

وقال آخر

يُغَطِّي عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله * يُصَدِّقُ فيما قال وهو كَذُوبُ
وَيُزَيِّرُ بعقلِ المرءِ قِلَّةُ ماله * يُحَقِّقُهِ الأَقْوَامُ وهو لَبِيبُ

وقال آخر

كم من لئيم الجُدودِ سَوْدَه السَّحَابُ، أبوه وأُمُّه الْوَرِقُ
وكم كريم الجُدودِ ليس له * عيبٌ سوى أنْ ثوبه خَلَقُ
أَدَبه سَادَةٌ كَرَامٍ فَمَا * ثوباه إِلَّا العِفَافُ وَالْحُلُقُ

وأنشد الترياشي

^(١)
غَضَبَانِ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٍ لَهُ * مَا لَمْ يَسْقِهِ لَهُ دِينَ وَلَا خُلُقُ
لَوْلَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا سُقَّتْهَا بَطْرًا * إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ضَاقَتْ الطُّرُقُ
فَمَنْ يَكُنْ عَنْ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي * فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرِقُ

وقال أحيحة بن الجلاح

اسْتَغْنِ أَوْمُتٌ وَلَا يَغْرُوكَ ذَوْنُ شَبٍّ * مِنْ أَبْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالٍ
يَلْوُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ * وَعَنْ صَدِيقِهِمْ وَالْمَالُ بِالْوَالِي
وَلَا أَزَالُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا، * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ
كُلَّ النَّدَاءِ إِذَا نَادَيْتُ يَحْذُلْنِي * إِلَّا نِدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي

وقال حسان

رُبَّ حَلِيمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ * لَوْ جَهْلِي غَطَّى عَلَيْهِ النِّعَمُ

وقال الهذلي

رَأَيْتُ مَعَاشِرًا يُثْنِي عَلَيْهِمْ : إِذَا سَبَّحُوا وَأَوْجَّهَهُمْ قِبَاحُ

(١) في العقد الفريد «حيران» . (٢) في الأمل «قات له الناس الخ» والتصويب عن العقد الفريد .

(٣) في الأصول يعزرك بالعين والزاي، والتصويب عن الأغني . (٤) في القاموس : الزوراء، مال لأحيحة .

يَظَلُّ الْمُصْرِمُونَ^(١) لَمْ يَجُودَا * وَلَوْ لَمْ يُسَقِّ عَنْدهُمْ ضَيَّاحٌ^(٢)

ويروى يُلْف. وقال بعضهم: وددت أن لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء.

قيل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني عليه. قال الصلتان

إذا قلت يوماً لمن قد ترى: * أروني السري، أروك الغني

وسرك ما كان عند أمري * وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر

لا تسأل الناس: ما جدي وما شرفي، * الشأن في فضتي والشأن في ذهبي

لو لم يكن لي مال لم يطر أحد * بابي ولم يعرفوا جدي ومجد أبي

وقال آخر

أجلك قوم حين صرت إلى الغني، * وكل غني في العيون جليل

ولو كنت ذا عقل ولم تؤت ثروة * ذلت لديهم والفقير ذليل

إذا مالت الدنيا على المرء رغبته * إليه ومال الناس حيث يميل

وليس الغني إلا غني زين الفتى * عشيّة يقري أو غداة ينيل

وقال آخر

وكلُّ مُقِلٍّ حين يغدو لحاجة * إلى كل من يعدو من الناس مذنب^(٣)

وكان بنو عمي يقولون مرحباً * فلما رأوني مُعْدِماً مات مرحب

وقال آخر

أبا مصلح أصلح ولا تك مفسداً * فان صلاح المال خير من الفقر

ألم تر أن المرء يزداد عِزَّةً * على قومه إن يعلموا أنه مثرى

وقال عمرو بن الورد

ذريني للغني أسعى فإني * رأيت الناس شرهم الفقير

(١) المصرم: الفقير الكثير العيال. (٢) الضياح: اللبن الرقيق المزوج بالماء.

(٣) كذا بالأصول، وفي العقد الفريد «يلقى».

وأبعدهم وأهونهم عليهم * وإن أسمى له حسب وخير
ويُقَصِّيه النَّدَى وتزدرية * حليته وينهره الصغير
وتُلْفِي ذا الغنى وله جلال * يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جَم * ولكن للغنى رب غفور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل

وَيَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ تَسَبُّ يُحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعْشَ عَيْشَ ضَرٍّ
وَيُحْتَسِبُ سِرَّ النِّجَى وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحَضَّرٌ كُلُّ سِرٍّ

وقال آخر

ألم تربيت الفقر يهجر أهله * وبيت الغنى يهدي له ويزار .

وقال آخر

إذا ما قل مالك كنت فردا * وأى الناس زوار المقل ؟

وقال عبد العزيز بن زرارة

وما لبَّ اللبيب بغير حظ * بأغنى في المعيشة من قليل
رأيتُ الحظ يستر عيب قوم * وهيات الحظوظ من العقول

وقال الطائي

الصبر كاس وبطن الكف عارية * والعقل طار إذا لم يكس بالنسب
ما أضيع العقل أن لم يرع ضيعته * وفقر، وأى رحا دارت بلا قُطْب ؟

وقال آخر

عش يحد ولا يضرك نوك^(١) * إنما عيش من ترى بالحدود
عش يحد وكن هبنقة القيد^(٢) * نوكا أو خالد بن يزيد

(١) في الأصول « فلم » ، والتصويب عن البيان للمحافظ .

(٢) في البيان للمحافظ « شبيهة بن الوليد » ، وهو الموافق لما في اللسان في مادة هبتق .

وقال الطائي

يَنَالُ الفَقِي من عَيْشِهِ وهو جَاهِلٌ * وَيُكْذِبُ الفَقِي في دَهْرِهِ وهو عَالِمٌ
ولو كانت الأرزاقُ تجري على الحِجَا * هلكنَّ إذا من جهلهنَّ البهائمُ

وقال المرار

إذا لم تُرافِد في الرِّفَادِ ولم تُسُقْ * عدوا ولم تستغن فالموت أروحُ

٥

وقال ابن الدمينة الثقفي

أطعتُ العِرْسَ في الشهواتِ حتى * أعادتني عَسِيفًا عَبْدَ عَبْدٍ
إذا ما جئتها قد بعْتُ عَدَقًا * تُعَانِقُ أو تُقَبِّلُ أو تُفَدِّي

وقال الأسعر الجعفي

وخصاصةُ الجُعْفَى ما دأبته * لا ينقضي أبدا وإن قيل انقضى
إخوانُ صديقٍ ما رأوك بغيطة * فإن انتقرت فقد هوى بك ما هوى

١٠

وقال آخر

إذا المرء لم يكسب معاشا لنفسه * شكا الفقر أولا في الصديق فأكثر
وصار على الأدينين كلاً وأوشكت * صلاتُ ذوى القربى له أن تنكراً
فيسر في بلاد الله وأتمس الغنى * تعيش ذا يسار أو تموت فتعذراً
وما طالب الحاجات من حيث يُبتغى * من الناس إلا من أجد وشمراً
فلا ترض من عيش بدونٍ ولا تتم * وكيف ينام الليل من كان مُعسراً

١٥

وقال آخر

من يجمع المال ولا يُشبَّ به * ويترك العامَ لعامَ جدِّه

٢٠

* بينُ على الناس هوانَ كلبه *

قال أبو اليقظان : ماساد مُمْلِقٌ قط الا عتبةُ بن ربيعة .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن العيَّار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: احْرُثْ لَدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا وَأَحْرُثْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا .

قال حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثني أصحاب أيوب عن أيوب قال : كان أبو قلابَةَ يَحْثِي عَلَى الاحتراف ويقول : إِنْ الْغَنَى مِنَ الْعَافِيَةِ .

قال وقال الأصمعي : سأل اعرابي عن رجل فقالوا : أحقُّ مرزوقٌ، فقال : ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الذين والعرض . ويقال في بعض كتب الله : أظعنني فيما آمرك ولا تُعلمني بما ينفعك وأمدد يدك لباب من العمل أفتح لك بابا من الرزق : وكان يقال : من غلَى دماغه في الصيف غَلَّتْ قِدرُهُ في الشتاء . ويقال : حفظُ المال أشدُّ من جمعه . وقال الحسن : إذا أردتم أن تعلموا مِنْ [أين] ^(١) أصاب المال فانظروا فيم ينفق فان الحبيث يُنفق سرفاً . ونحوه قولهم : من أصاب مالا من نَهاوشٍ ^(٢) أذهب الله في نَهايرِهِ . ويُقال في مثل « الكد قبل المدة » يراد الطلب قبل العجاجة والعجز . وقال لقيط ^(٣) « الغزو أدز ^(٤) للّقاح وأحد للسلّاح » . وقال أبو المعافى

وإن التواني أنكح العجز بنته * وساق إليها حين زوجهما مهرا

فِرَاشًا وِطِيئًا ثم قال لها آتكي * قُصاراهما لا بد أن يَلِدَا الفقرا

(١) زيادة بمنضيا السياق . (٢) في الأصل « مهاوش » بالميم ، والتصحيح عن لسان العرب في مادة نهير . (٣) حكذا بالأصول ولعلها محركة عن الحاجة . (٤) في النسخة الألمانية هكذا : « وقال لقيط الفزاري دز للّقاح وأحد للسلّاح » وفي الفئودغرافية « الغز » بغير واو ، والتصويب عن مجمع الأمثال للبدائي .

وقال زيد بن جبلة : لا فقير أفقر من غنيٍّ أمينٍ الفقر . وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلاف درهم نفقة ، وما فوقها كثر . ويقال : القبر ولا الفقر . ويقال : ما سبق عيالٌ مالا قط إلا كان صاحبه فقيرا . وقيل لرجل من البصريين : مالك لا ينبغي مالك ؟ قال : لأنني اتخذتُ العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال . ويقال : العيال سوسُ المال .
وقيل لمدينيٍّ : كيف حالك ؟ قال : كيف يكون حال من ذهب ماله وبقيت عادته . ويقال : الغنى في الغربة وطنٌ والفقر في الوطن غربة .

حدثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكاني من الأنبياء إلى الله شدة الفقر فأوحى الله إليه : هكذا جرى أمرُك عندي أفتريد من أجلك أن أعيد الدنيا .

قال أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجذب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جاءهم الحُصْب إلا عاد الغنى إلى أهل الغنى .
قال الأصمعي رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل يمني فقلت : يا أمة الله تسألين ولك هذا الجمال ! قالت : قدّر الله فما أصنع ؟ قلت : فمن أين معاشكم ؟ قالت : هذا الحاج نتقمّمهم ونغسل ثيابهم . فقلت : فاذا ذهب الحاج فمن أين ؟ فنظرت إلى وقالت : يا صلب الجبين ! لو كنا إنما نعيش من حيث نعلم لما عشنا . وقال الشاعر
أتراني أرى من الدهر يوما * لي فيه مطية غير رجلى
وإذا كنت في جميع فقالوا * قربوا للرحيل قدّست نعلى
حيثما كنت لا أخلف رجلا * من رآني فقد رآني ورجلي

قيل لمدينيٍّ : ما عندك من آلة الحج ؟ قال : التلبية . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة ؟ قال : الماء . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القريس ؟ قال : الشتاء .

ذم الغنى وممدح الفقر

قال شريح : الجدة كنية البهل . وقال أكرم بن صيفي^(١) : ما يسرنى أنى مكفى كل
 أمر الدنيا . قيل : وإن أسمنت وأبلت ؟ قال : نعم ، أكره عادة العجز . وكان يقال : عيب
 الغنى أنه يورث البله ، وفضيلة الفقر أنه يورث الفكرة . وقال محمد بن حازم الباهلي
 ما الفقر عار ولا الغنى شرف * ولا سخاء فى طاعة سرف
 مالك إلا شئ تفسده * وكل شئ أخرته تلف
 تركك مالا لوarith يتنهأ وتصلى بحره أسف

وقال ابن منذر

رضينا قسمة الرحمن فينا * لنا علم وللتقى مال
 وما التقي إن جادت كساه * وراعت شخصه إلا خيال

وقال أنس بن مالك : لما خرج مروان من المدينة مر بماله بذي خشب فلما نظر
 إليه قال : ليس المال إلا ما أشرجت عليه المناطق . وروى عن المسيح أنه قال :
 فى المال ثلاث خصال ، قالوا : وما هى يا روح الله : قال : لا يكسبه من حله
 قالوا : فإن فعل قال : يمنع من حقه ، قالوا : فإن لم يفعل ، قال : يسفله إصلاحه
 عن عبادة ربه . قيل لأبن عمر : توفى زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم ، قال :
 لكنهم لا تتركه . وقال المعلوط

ولا سود المال الدنى ولا دنا * لذاك ولكن الكريم يسود
 متى ما ير الناس الغنى وجاره * فقيرا يقولوا عاجز وجليد^(٢)

(١) فى النسخة الألمانية : «يسوفنى» . وهو خطأ .

(٢) فى القاموس : وخشب بكتب واد باليمامة وواد بالمدينة ، وفى المرتضى فى شرح القاموس وابن الأثير
 فى النهاية أنه واد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير فى الأحاديث والمغازى ويقال له ذو خشب .

(٣) كذا بالأصل ، وفى الحاشية : «وجاره فقير» بالرفع على أن الواو لالحال .

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أحاط قُسمت وجُدودُ
فكم قد رأينا من غنى مُدتم * وصُعلوك قوم مات وهو حميدُ
إذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديدُ

وقال آخر

ولا تُهينَ الفقيرَ علك أن * تركع يوماً والدهر قد رَفَعَهُ
الأخفش قال : قال المبرد : أريد النون الخفيفة في ولا تهين فأسقط التنوين لسكونه^(١)
وسكون اللام . وقال آخر

ولستُ بنظارٍ الى جانب الغنى * إذا كانت العلياء في جانب الفقر
ولمّا لصبارٌ على ما يُنوبني * لآئي رأيتُ الله أثني على الصبر

وقال أعرابي يمدح قومًا

إذا افتقروا عَضُوا على الصبرِ حَسْبَهُ * وإن أيسروا عادوا يِسرًا إلى الفقر
يقول : يعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيرت اليهود عيسى بن
مريم بالفقر فقال : من الغنى أُتيتُمْ ، وقال : حسبك من شرف الفقر أنك لا ترى^(٢)
أحدا يعصى الله ليفتقر . أنشد ابن الأعرابي

المال يغشى رجالا لا طبّاخ بهم * كالسيل يغشى أصول الدّنين البالي^(٣)^(٤)

وقال الطائي

لا تشكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيلُ حُرْبٌ للكان العالي

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال

أعرابي : الغنى من كثرت حسناته والفقير من قل نصيبه منها . وقال ذو الأصبغ

(١) عبارة المبرد في الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تهين بالنون الخفيفة لخذفها لالتقاء الساكنين
فلعل ما هنا محرف من « فأسقط النون لسكونها وسكون اللام » . (٢) عزاه في اللسان الى حسان
ابن ثابت ، ثم قال وورد هذا البيت في شعر لحية بن خلف الطائي . (٣) الطباخ : القوة ، قال في اللسان
ومعناه في البيت : لا عقل لهم . (٤) ما يلي وعفن من أصول الشجر .

لِي أَبْنُ عَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي * مَخَالَفٌ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي
أَزْرَى بِنَا أَنْتَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا * نَخَالِي دُونَهُ بَلْ خَلْتَهُ دُونِي

وقال آخر

إِنَّ الْحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلَبَاتُهُ * وَوَجَدْتُ حَالِبَةَ الْحَلَالِ مَصُورًا

٥ قيل لأعرابي : ان فلانا أفاد ، الا عظيمًا قال : فهل أفاد معه أياما يُنفقه فيها ؟ .
وفي كتاب للهند : ذو المروءة يكرم مُعْدِمًا كالأسد يُهابُ وإن كان رابضًا ، ومن لا مروءة
له يُهانُ وإن كان موسرًا كالكلب وإن طُوقَ وحلَى . وقال خدّاش بن زهير
أعاذِلْ إِنَّ الْمَالَ أَعْلَمُ أَنَّهُ * وَجَامِعُهُ لِلنَّائِلَاتِ الْفَوَائِلِ
مَتَى تَجْعَلِنِي فَوْقَ نَعَشِكَ تَعَالَيْ . أَيْغْنِي مَكَانِي أَبْكُرِي وَأَفَائِلِي

وقال آخر

١٠ إذا المرء أثرى ثم قال لقومه * أنا السيدُ الْمُقْضَى إِلَيْهِ الْمُعْظَمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْرًا أَبْوَأَنَ يَسُودُهُمْ * وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ

وقال زبّان بن سيار

١٥ وَلَسْنَا كَقَوْمٍ مُخَدِّثِينَ سِيَادَةً * يُرَى مَالُهَا وَلَا يُحْسُ فَعَالُهَا
مَسَاعِيهِمْ مَقْصُورَةٌ فِي بَيْوتِهِمْ * وَمَسَاعَاتُنَا ذُبْيَانُ طُرًّا عِيَالُهَا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصبرُ على حقوق المروءة أشدُّ من الصبر على ألم
الحاجة ، وذِلَّةُ الْفَقْرِ مانعةٌ من عزِّ الصبر كما أنَّ عزَّ الْغِنَى مانعٌ من كرم الإنصاف .
وقال بعض المتكلمين في ذم الغنى : ألم تر ذا الْغِنَى مَا أَذْوَمَ نَصَبَهُ ، وَأَقْلَّ رَاحَتَهُ ، وَأَخْسَّ
مِنْ مَالِهِ حَظَّهُ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْإَيَّامِ حَذَرَهُ ، وَأَغْرَى الدَّهْرَ بِثَمَلِهِ وَتَقْضَاهُ ، ثُمَّ هَوَّيْنِ
٢٠ سُلْطَانَ يَرْعَاهُ ، وَحَقُوقَ تَسْتَرْثِيهِ ، وَأَكْفَاءَ يَتَنَافَسُونَهُ ، وَوَلَدٍ يَوَدُّونَ فِرَاقَهُ ، قَدْ بَعَثَ
عَلَيْهِ الْغِنَى مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَنَاءَ ، وَمِنْ أَكْفَائِهِ الْحَسَدَ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْبَغْيَ ، وَمِنْ ذَوِي

الحقوق الذم، ومن الولد الملامة، لا كذى البُلغة قَنِع فدام له السرور، ورفض الدنيا
فسلم له الجسد، ورضى بالكفاف فتنبه الحق، حَجَر أعرابي بكثرة العيال والولد
مع الفقر وبلغه أن الوباء بخير شديد فخرج إليها بعياله يُعرضهم للموت، وأنشأ يقول

قلتُ لحَيّ خيسرَ استعدي * هالكِ عيالي وأجهدي وجدّي

وباركى بصاليب وورد * أمانك الله على ذا الجند

فأخذته الحَيّ فمات هو وبقي عياله . وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله :

يا بني، أتق الله، فإنه من أتق الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن
التقوى عماد عينيك وجملاء قلبك، وأعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن
لا حسبة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له . وقال محمود الوراق

يا عائبَ الفقر ألا تزدجر * عيبُ الغنى أكثر لو تعتبر

من شرفَ الفقر ومن فضله * على الغنى إن صحَّ منك النظر

أنك تعصى الله تبغى الغنى * ولست تعصى الله كي تفتقر

وقال آخر

ليس لي مالٌ سوى كرمي * فيه لي أمنٌ من العدم

لا أقول : الله أعدمني * كيف أشكو غير متهم

قنيتُ نفسي بما رزقت * وتمطت بالعللى همي

وجعلتُ الصبرَ سابعة * فهي من قرني إلى قدي

فاذا ما الدهرُ عاتبني * لم يجذني كافرًا نعي

التجارة والبيع والشراء

قال : حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحق عن حماد بن عمار عن يرفعه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ مَرْعَمَةً وَمَرْحَمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ تَاجِرًا

وَلَا زَرَّاعًا وَإِنَّ شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّجَارُ وَالزَّرَاعُونَ إِلَّا مَنْ شَحَّ عَنْ دِينِهِ » . وفي حديث

آخرواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبيرة: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أى الكسب أطيب قال : « عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عون بن عمار عن هشام بن حسان عن الحسن
 ٥ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : من تَجَرَ في شيء ثلاث مرات فلم يُصِبْ فيه فليتحول منه الى غيره . وقال : فَرَّقُوا بَيْنَ الْمَنِيَاءِ ، وَاجْعَلُوا الرَّأْسَ رَأْسِينَ وَلَا تُثْنُوا بَدَارَ مَعْجَزَةٍ ، وقال : إذا اشتريت بعيراً فاشتره عظيم الخلق فإن أخطأك خيرٌ لم يُخِطْكَ سوقٌ . وقال : بيع الحيوان أحسن ما يكون في عينك . وقال الحسن : الأسواق موائد الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها . ابن المبارك عن معمر عن الزبيرى قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيئاً ، فقال : « عليك بالسوم أول السوق فإن
 ١٠ الرباح مع السباح » . وكان يقال : اسْمَحْ يَسْمَحْ لك . وفي بعض الحديث المرفوع : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج » . وقيل للزبير : بم بلغت ما بلغت من اليسار ؟ قال : لم أُرِدْ ربحاً ولم أَسْتُرْعِباً . دخل ناس على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التجارة ضمان نفيس ومسونة ضرس .
 ١٥

باع رجل ضيعة فقال للشترى : أما والله لقد أخذتها ثقيلة المسونة قليلة المنفعة ، فقال : وأنت والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفريق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير في النهاية وابن منظور في اللسان « فَرَّقُوا عَنِ الْمَنِيَةِ وَاجْعَلُوا الرَّأْسَ رَأْسِينَ الخ » وقالوا في تفسيره : إذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تقالوا في الثمن واشتروا بثن الرأس الواحد رأسين فإن مات الواحد بقي الآخر فكانكم فرقم ما لكم من المنية اه ولا تثلثوا بدار معجزة أى لا تقيموا بدار يعجزكم فيها طلب الرزق وتحولوا عنها الى غيرها .
 ٢٠

رجل داراً فقال له المشتري: لو صبرت لا اشتريت منك الذراع بعشرة، فقال: وأنت لو صبرت بعثتك الذراع بدرهم.

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي أن أبا سفيان بن العلاء باع غلاماً له بثلاثين ألفاً فقال عمر بن أبي زائدة: هذا أحق، قالوا: كيف؟ قال: لأنه لم يبلغ ثلاثين ألفاً حتى أعطى قبل ذلك عشرون ألفاً فكيف أنتظروا لم يغتنمها. ورؤي عبد الله بن جعفر يُمَاكس في درهم فقيل له: أئماكس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالي جدت به وهذا عقلي ^(١) بخلته. ابتاع ابن عمر شيئاً فحنأ له البائع على المكيال فقال له ابن عمر أرسل يدك ولا تُمسك على رأسه فإنما لي ما يجمله المكيال. كان جرير بن عبد الله إذا اشترى شيئاً قال لصاحبه: إن الذي أخذنا منك خير مما أعطيناك إذ أظن أنه كذلك فانت بالخيار. اشترى عمرو بن عبّيد إزاراً للحسن بستة دراهم ونصف فأعطاه سبعة دراهم فقال الرجل: انما بعته بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما.

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: إذا عَزَبَ المالُ قُلْتُ فواضله، لا بلحة ولا بُسرة ولا رُطبة ولا كُرْنافة. ونحوه قول بعض المجازيين سَأَيْفِيكَ مَالاً بِالْمَدِينَةِ إِنِّي * أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قُلْتُ فواضله

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بَيْنَنَا أَمْوَالَنَا وَقَالَ لِي: يَا بَنَ أَخْتِي إِنِّي أُؤْتِيكَ بِالْقَرَابَةِ، أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَالَ لَأَنْتَرَقَ وَلَا عَيْلَةً عَلَى مُصْلَحٍ، وَخَيْرُ الْمَالِ مَا أَطْعَمَكَ لَا مَا أَطْعَمْتَهُ، وَإِنْ الرِّقِيقَ بِجَمَالٍ وَلَيْسَ بِمَالٍ. قال زياد: ليس لذي ضَعْفٍ

(١) كذا بالأصل ولعله بخلت به.

مثل أرض عُثَيْر وليس لذي جَاه مثلُ نَحْرَاجٍ وليس لتاجرٍ مثلُ صَامِتٍ . قال رجل
لآخر: بكم تبيع الشاة؟ قال: أخذتها بستة وهي خير من سبعة وقد أُعْطِيتُ بها ثمانية
فإن كانت من حاجتك بتسعة فَرَنْ عشرة . كان يقال : خيرُ المال عَيْنُ نَرَّارَةٍ ،
في أرض خَوَّارَةٍ ، تُفَجِّرُهَا الفَارَةُ ، تسهرُ إذا نِمْتَ ، وتشهدُ إذا غِبتُ ، وتكون عِقْباً
إذا مِتَّ . عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : إن الله
إذا أبغض عبداً جعل رزقه في الصَّباح . وقال الفضيل مثل ذلك وقال : أما سمعت
إلى أهل دارِ البطيخ والملاحين ودويهم .

قال حدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا أحمد بن الحارث الهجيمي قال حدثنا
المبارك بن سعيد عن بُرْد بن سنان عن نافع عن ابن عمر أنه كان لا يرى بالمكائسة
والمماكسة في الشراء والبيع بأساً .

قال حدثني محمد قال حدثني الأصمهاني عن يحيى بن أبي زائدة عن مجالد عن
أبي بردة . قال : أتى عمرُ غلاماً له يبيع الحُلل ، فقال له : إذا كان الثوب عاجزاً فأنشره
وأنت جالسٌ وإذا كان واسعاً فأنشره وأنت قائم . قال ، فقلتُ له : الله الله يا عمرُ .
قال : إنما هي السوق . قال عبد الله بن الحسين : غلَّةُ الدور مُسْكَةٌ وغلَّةُ النخل
كَفَافٌ وغلَّةُ الحَبِّ الغني . قال أعرابي

زيادةُ شيءٍ تُلحِقُ النفسَ بالمُنَى * وبعضُ الغلاء في التجارة أربحُ
ولمَّا بلغ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ قَدْ اتَّخَذُوا الضِّيَاعَ وَعَمَرُوا الْأَرْضِينَ
كَتَبَ إِلَيْهِمْ : لَا تُنْهِكُوا وَجْهَ الْأَرْضِ فَإِنْ شَحِمَتْهَا فِي وَجْهِهَا . قال أعرابي
وفي السوق حاجاتٌ وفي النَّقْدِ قِلَةٌ * وليس بِمُقْضَى الْحَاجِ غَيْرُ الدَّرَاهِمِ .^(١)

قال ميمون بن ميمون : من اشتري الأشياءَ بِنَعْتِ أَهْلِهَا غُنِيَ .
(١) كذا بالأصل . ولم نجد في القاموس أو اللسان أفضى بمعنى قضى . ولعله : وليس مُقْضَى الخ .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي . قال : حدثني شكر الحريشي^(١) قال : جاء الحسن بشاة فقال لي يعها وأبرأ من أنها تقلب المعلق وتزع الوتد من قبل البيع لثلا يقولوا ندم . قال الشاعر

إذا ما تاجر لم يوف كلاً * فصب على أنامله الجدام

ابن الزيات في الطائي

رأيتك سهل البيع سمحاً وإنما * يغالي إذا ما ظن بالشئ بائعه^(٢)
هو المراء إن أحميته طاب شربه . ويكدر يوماً أن تبأح مشاعره

حدثت عن شيبان بن فروخ عن أبي الأشهب عن الحسن قال : كان رجل يتجر في البحر ويحمل الخمر يأتي بها قوماً ، فعمد إليها فزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصرّف واشترى قرداً فحمله معه في السفينة ، فلما بلج في البحر لم يشعر إلا وقد أخذ القرد الكيس وعلا على الصاري وجعل يلقي ديناراً في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمه قسمين . قال رجل من الحاج : أتانا رجل من الأعراب بالرمل في طريق مكة بفرارة فيها كجاة ، فقلنا له : يكّم الفرارة ؟ فقال : بدرهمين ، فقلنا : لك ذلك ، فأخذناها ودفعنا إليه الثمن ، فلما نهض قال له رجل منا : في آست المغبون عود ، فقال : بل عودان وضرب الأرض برجله فاذا نحن على الكجاة قيام . قيل لأعرابي : ألا تشتري لابنك بطيخة . فقال : لا ، أو يبلغ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يدي البقال وأخذه وعداً رماء بأخرى ولم يعد خلفه . اشترى أعرابي غلاماً فقال للبائع : هل فيه من عيب ، فقال : لا ، غير أنه يبول في الفراش . فقال : ليس هذا بعيب ، إن وجد فراشاً فليبل فيه .

(١) في الألمانية «الحارثي» .

(٢) هكذا بالأصل طن بالطاء . ولعله ضن بالضاد المعجمة بمعنى يخل .

الدِّين

قال ثابت قُطْنَةُ : الدِّينُ عُقْلَةُ الشَّرِيفِ . وقال دُلَيْمٌ

اللَّهُ لَقِيَ مِنْ عَرَابَةٍ بَيْعَةً * عَلَى حِينِ كَادَ النَّقْدُ يَسُرُّ عَاجِلُهُ
وَلَوْ بَنَانُ الْكَفِّ يَحْسُبُ رِبْحَهُ * وَلَمْ يَحْسُبِ الْمَطْلَ الَّذِي أَنَا مَاطِلُهُ
سِيرَضِي مِنَ الرَّبْحِ الَّذِي كَانَ يَرْجِي * أَسَ الَّذِي أُعْطِيَ وَهَلْ هُوَ قَابِلُهُ

٥

عبد الرزاق عن ابن جريح قال : رآني عمرو وأنا متقنع ، فقال : يا أبا خالد ، إن لقمان
كان يقول : القِنَاعُ بِاللَّيْلِ رِيَّةٌ وَبِالنَّهَارِ مَذَلَّةٌ ، فقلتُ : إن لقمان لم يكن عليه دينٌ .
كتب يعقوب بن داود إلى بعض العباد يسأله القدوم عليه ، فأتى محمد بن النضر
الحارثي فاستشاره وقال : لعل الله يقضي ديني ، فقال محمد بن النضر : لأن تلقى الله
وعليك دينٌ ولك دينٌ خيرٌ من أن تلقاه وقد قضيت دينك وذهب دينك ، . قال
عياض بن عبد الله : الدِّينُ رَايَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ عَبْدًا جَعَلَهَا طَوْقًا
فِي عُنُقِهِ . دخل عُتْبَةُ بْنُ عَمْرِو عَلَى خَالِدِ الْقَسْرِيِّ . فقال خالد يعرض به : إن ههنا
رجالاً يتدانون في أموالهم فإذا فنيت آدانوا في أعراضهم . فقال عتبة : إن رجالاً
لا تكون مروعاً لهم أكثر من أموالهم فيدانون على سعة ما عند الله ، فحجل خالد وقال :
إنك منهم ما علمت . وقال أعرابي يذكر غُرْمَاءَ لَهُ

١٠

١٥

جاءوا إِلَى غَضَبًا يَلْعَطُونَ مَعًا * يَشْفِي أُنْثَاهُمْ أَنْ غَابَ أَنْصَارِي
لَمَّا أَبَوْا جَهْرَةً إِلَّا مَلَاظِمِي * أَجَعْتُ مَكْرَاهِمَ فِي غَيْرِ انْكَارِ
وَقُلْتُ إِنِّي سَيَاتِنِي غَدًا جَلِي * وَإِنْ مَوْعِدَكُمْ دَارُ آبِ بْنِ هَبَّارِ
وَمَا أَوَاعِدُهُمْ إِلَّا لِأَرْبَتِهِمْ (٢) * عَنِّي فَيُخْرِجُنِي نَقِضِي وَإِمَارِي

٢٠ (١) في الألمانية عمير بالتصغير . (٢) في العقد الفريد : لأدراهم .

وما جلبتُ اليهم غيرَ راحلةٍ * تتخدى برحلى وسيف جفنه عوى^(١)
إن القضاء سيأتى دونه زمنٌ * فاطوِ الصحيفة وأحفظها من الفار

وقال آنر لغرمائه

ولو علقتُمونى كلَّ يوم * برحلى أويدي فى المنجنيق
لما أعطيتُكم إلا تُراباً * يُطيرُ فى الحياشم والحلوق

وقال آنر

إن آخيتَ الأميرَ فقل سلامٌ * عليك ورحمةُ الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلى غريمٌ * من الأعراب قُبَح من غريم
له ألفٌ على ونصف ألف * ونصف النصف فى صك قديم
دراهم ما آتفتُ بها ولكن * وصلتُ بها شيوخ بنى تميم

حدثني أبو حاتم عن الأصمى . قال : جاء رجل من بنى مخزوم الى الحارث بن عبد الله بن نوفل وهو يقضى عن أخيه ديناً فقال : إن لى على أخيك حقاً، قال : ثبتَّ حقك تُعطه . قال : أئمن ملاءة أخيك ووفائه ندعى عليه ما ليس لنا؟ فقال : أئمن صدقك ويرك نقبل أولك بغير بينة ؟ . لزم سهل بن هارون دينٌ كثيرٌ ، فقال أعرابي يوصيه بالتواري عن غرمائه

انزل أبا عمرو على حدة قرية * ترجع الى سهل كثير السلائق
وخذ نفق اليربوع فأسلك طريقه * ودع عنك إنى ناطق وأبن ناطق
وكن كأبى قطب على كل رائع * له باب دار ضيق العرض سامق
وأبو قطبة خناق كان بالكوفة مولى ليكندة .

حدثني محمد بن عبيد . قال : حدثني سُفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير أن رجلاً كان يُبايع الناس ويديانهم ، وكان له كاتب ومتجر ، فيأتيه

(١) فى العقد الفريد : النار .

المُعِيرُ والمستنظرُ فيقول لكتابه : أَكَلْتُ وَأَسْتَنْظِرُ وتجاوزَ ليومَ يتجاوز الله عنا فيه ،
فما لا يعمل عملاً غيره فغفر الله له . قال سُقْرَانُ القُضَاعِيّ

لو كنتُ مولى قيس عيلانَ لم تجد * علىَّ لإنسانٍ من الناس درهما
ولكنني مولى قضاةٍ كلها * فلستُ أبالي أن أدينَ وتغرماً

٥ بلغني عن يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر إلى
عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربعين درهماً ، فقال عبد الرحمن : أتستسلفني وعندك
بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم تردّه ، فقال عمر : إني أخوف أن يصيبني قدرى ،
فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأئمة المؤمنين . حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة ،
ولكنني أتسلفها منك لما أعلم من شحك فإذا ميتٌ جئت فاستوفيتها من ميراثي .

١٠ كتب أبو عباد المهلب^(١) إلى صديق له مكثر يستسلفه مالا ، فأعتل عليه بالتعذر
وضيق الحال ، فكتب إليه ابن عباد^(١) : إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وإن كنت
ملوماً فجعلك الله معذورا . أبو اليقظان قال : كان الفضل بن العباس بن عتبة بن
أبي لهب الشاعر يُعين الناس فإذا حلت دراهمه ركب حمرا له يقال له شاربُ الريح
فيقف على غرمانه ويقول

١٥ بني عمنّا ردّوا الدراهم إنما * يُفرّق بين الناس حبُّ الدراهم

وكان رجل من بني الدّيل عسير القضاء فإذا تعلّق به غرماؤه فز منهم وقال
فلو كنتُ الحديدَ لكسروني * ولكنني أشدُّ من الحديد

فعينه الفضلُ فلما كان قبل الحِلّ جاء فبنى معلقاً على باب داره ، وكان يقال
للرجل عَقْرَب فلقى كل واحدٍ من صاحبه شدةً ، فهجاه الفضل فقال

٢٠ (١) في الألمانية المهلب ولم تقف على من اشترى أبي عباد وهو ابن عباد سوى أن عباد يحجر بن عباد
الضبي البصري ولكن المنسوب إلى المهلب هو محمد بن عباد بن حبيب المهلب .

قد تَجَرَّتْ في دارنا عَقْرَبٌ * لا مَرَجَبًا بالعقرب الناجره
 إن عَادَتِ العَقْرَبُ عُدْنَا لها * وكانت النَعْلُ لها حاضره
 كُلُّ عَدُوٍّ يَتَّقِي مُقْبِلًا * وعَقْرَبٌ تُخَشَى من الدَّائِرِه
 إنَّ عَدُوًّا كَيْدُهُ في آسَتِه * لَغَيْرُ ذِي كَيْدٍ ولا نَائِرِه

- قال بعضهم : ثلاثة من عازهم عادت عزته ذلة : السلطان ، والوالد ، والغريم .
 وفي الحديث المرفوع : « لصاحب الحق اليد واللسان » . المدائني قال : سائر بعض خلفاء
 بني أمية رجلاً وهو يحادثه ثم قطع حديثه وأصفى لونه ، فقال له الرجل : ما هذا
 الذي رأيت منك ؟ قال : رأيت غريماً لي ، قال الشاعر
 إذا ما أخذت الدين بالدين لم يكن * قضاءً ولكن كان غُرماً على غُرم

- وقال آخر
 أخذت الدين أدفع عن تلادي * وأخذت الدين أهلك للتلاد
 كان لرجل من يَحْصُبَ على رجل من باهلة دينٌ ، فلما حل دينه هرب الباهلي
 وأنشأ يقول

- إذا حل دينُ اليحصبي قتل له : * تزود بزاد وأستعين بدليل
 سيصبح فوق أقم الرأس واقعا * بقالي قلا أو من وراء دبيل

- قال المحدث بهذا : فحدثني من رآه بقالي قلا أو بدبيل وهو مصلوب وقد وقعت
 عليه عقابٌ . وقف أبو فرعون الأعرابي على باب قوم يسألهم ، فحلفوا له : ما عندهم
 شيء يُعطونه ، فقال : استقرضوا لنا شيئاً ، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شيئاً ، فقال
 أبو فرعون : ذلك لانكم تأخذون ولا تعطون ، أو قال ولا تقضون . أتى قومٌ عبادياً
 فقالوا : نحب أن تُسَلِّفَ فلانا ألف درهم وتؤخره بها سنة ، قال : هذه حاجتنا ،

(١) الذي في اللسان : سيصبح فوق أقم الريش واقعا .

وسأقضي لكم إحداهما، وإذا أنا فعلت فقد أنصفت، أنا أؤثره ما شاء . كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دين : قد آن للفق الذي عندك أن يرجع إلى أهله ، وتستغفر الله تعالى من حبسه .

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمرو وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة ، فقال لهم مصعب : تمنوا فقالوا : ابدأ أنت . فقال : ولاية العراق وتزوج سكينه ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فنال ذلك وأصدق كل واحدة خمسمائة ألف درهم وجهزها بمثلها . وتمنى عروة بن الزبير الفقه وأن يحمل عنه الحديث فنال ذلك . وتمنى عبد الملك الخلافة فناها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنة .

قال قتيبة بن مسلم لحصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : امرأة حسناء ، ودار قوراء ، وفرس مرتبط بالفناء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ فقال

كل الكرامة نلتها * إلا التحية بالسلام

يريد أنه لم يسلم عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر

من كل ما نال الفتي * قد نلتها إلا التحية

يريد الملك . قيل لعبد الملك بن الأهم : ما السرور ؟ فقال : رفع الأولياء ، وحط

الأعداء ، وطول البقاء ، مع القدرة والنماء . وقال آخر

أطيب الطيبات قتل الأعادي * واختيال على متون الجياد

وأياي حبوتهن كريما * إن عند الكريم تزكو الأيادي

(١) في النسخة الألمانية « والنهي » .

- قيل للفضل بن سهل : ما السرور؟ فقال : توقيع جاز وأمر نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أي شيء أسر إلى القلوب؟ فقالوا : رجل هوى زمانا ثم قدر، فقال : إن هذا السرور . وقال آخر : رجل طلب الولد زمانا فلم يولد له ثم بشر بغلام ، فقال يزيد : أسر من هذا كله قفلة على غفلة . قيل لبعض الحكماء : تمنى ، فقال : محادثة الإخوان ، وكفاف من عيش يسد خلتي ويسترعورتى ، والانتقال من ظل إلى ظل . قيل لآخر : ما بقي من ملاذك؟ قال : مناقلة الإخوان الحديث على التلاع العفر في الليالي القمر . قيل لامرئ القيس : ما أطيب عيش الدنيا؟ فقال : بيضاء رغبوبة ، بالطيب مشوبة^(١) ، بالشحم مكروبة . وقيل لطرفة مثل ذلك فقال : مطعم شيء وملبس دفي ، ومركب وطي . وقيل للأعشى مثل ذلك ، فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية . وقال طرفة

١٠

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمن سبق العاذلات بشربة * كمت متى ما تعل بالماء تزيد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * بهتكت تحت الطراف المعمد
وكرى اذا نادى المضاف محبا * كسيد الغضا نبته المتورد

١٥

وقال أبو نواس

قلت بالقفص ليحيى * وندامى نيام
يارضيعى ندى أم * ليس لى عنه فطام
إنما العيش سماع * ومدام وندام
فإذا فاتك هذا * فعلى العيش السلام

٢٠

وقال سحيم

تقول حذراء : ليس فيك سوى الخمر معاب يعيبه أحد

(١) كذا بالأصل ولعله « مشوبة » .

فقلت: أخطأت، بل معافرتي السخيم وبذلي فيها الذي أجد
هو السناء الذي سمعت به * لا سبد محتدي ولا لبد^(٢)
ويحك لولا الخمر لم أحفل السعيش ولا أن يضمني لحد
هي الحيا والحياة والأهلولا * أنت ولا ثروة ولا ولد

وقال أبو الهندي

تركت الخمر لأربابها * وأصبحت أشرب ماء قرآحا
وقد كنت حيناً بها معجباً * كحب الغلام الفتاة الرذاحا
وما كان تركي لها أنني * يخاف نديمي على افتضاحا
ولكن قولي له مرحباً * وأهلاً مع السهل وأنعم صباحا

وقال آخر

أسقني بالكبير إني كبير * إنما يشرب الصغير الصغير
لا يغرنك يا عبيد خشوعي * تحت هذا الخشوع فسق كثير

كان ابن عائشة يشد

لما رأيت الحظ حظ الجاهل * ولم أرا المغبون غير العاقل
رحلت علساً من كروم بابل * فبنت من عقلي على مراحل

وقال آخر

شربنا من الداذي حتى كأننا * ملوك لهم بر العراقين والبحر
فلما أنجلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

قال بعضهم : العيش كله في كثرة المال وصحة البدن ونحو ذلك . وكان

يقال : ليس السرور للنفس بالحدة ، إنما سرور النفس بالأمل . قال يزيد بن معاوية :

(١) في النسخة الألمانية : الثناء . (٢) في النسخة الألمانية : نخدي .

ثلاث تُخْلِقُ الْعَقْلَ وفيها دليلٌ على الضعف : سرعة الجواب ؛ وطول التمتي ، والاستغراب في الضحك . وكان يقال : المني والحلم أخوان . وسئل ابن أبي بكرة : أي شيء أذوم إمتاعاً ؟ فقال : المني . وقال الشاعر

إذا تمنيتُ بثَّ الليلِ مُتَبَيِّطًا * إن المني رأسُ أموالِ المفاليسِ

وقال آخر

ما فاتني منك فإن المني * تدنيه مني فكأننا معا^(١)

وقال آخر

وإن لو ليس شيئاً سوى * تسلية اللؤماءِ بالباطل

وقال بعض الأعراب

مني إن تكن حقاً تكن أحسنَ المني * وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً
أمانني من سعدى عذاباً كأنما * سقتك بها سعدى على ظمأ برداً

وقال بشار

كررنا أحاديثَ الزمان الذي مضى * فلقد لنا محمودها وذمها

وقال المجنون

أيا حرجاتِ الحى حيث تمهلوا * بذى سلم لا جادكن ربيع
وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى * يلين بلى لم تباهن ربوع
فقدك من نفس شعاع فطالما^(٢) * نهيتك عن هذا وأنت جميع
فقربت لي غير القريب وأشرفت^(٣) * إليك شيا ما لهن طلوع

(١) في الأصل «يدنيه» . (٢) كذا في الأغاني واللسان . وفي الأصول «قلب» .

(٣) في الأصول «منال ثايا الخ» . والتصويب عن الأغاني .

وقال ابن أبي الدُمينة^(١)

يَا لَيْتَنَا قَرَدًا وَحِشٌ نَدُورُ مَعًا * نَرَعَى الْمِتَانُ^(٢) وَنَخْفَى فِي نَوَاحِيهَا
أَوَلَيْتَ كُدَّرَ الْقَطَا حَاقِنَ بِي وَبِهَا * دُونَ السَّمَاءِ فَعِشْنَا فِي خَوَافِيهَا
أَكْثَرُتْ مِنْ لَيْتِنَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي * وَمِنْ مَنَى النَّفْسِ لَوْ تُعْطَى أَمَانِيهَا

وقال كثير

فِيَا لَيْتِنَا يَا عَزَّ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ * بَعِيرَانِ نَرَعَى فِي الْفَلَاةِ وَنَعَزُبُ
نَكُونُ لَذَى مَالٍ كَثِيرٍ يُضْيِعُنَا * فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نُطَلِّبُ

وقال جرّان العود

أَلَا لَيْتِنَا طَارَتْ عُقَابٌ لَنَا مَعًا * لَهَا سَبَبٌ عِنْدَ الْحَجَرَةِ أَوْ وَكُرُ

وقال مالك بن أسماء

وَلِمَا نَزَلْنَا مِنْزَلًا طَلَّهَ النَّدَى * أُنَيْقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدَّ لَنَا طَيْبُ الْمَسْكَنِ وَحُسْنُهُ * مَنَى قَتَمِينَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا

وأنشدنا الرّياشي

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا * لِيَ اللَّيْلِ مَلَّتْنِي هُنَاكَ الْمَضَاجِعُ^(٣)
أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى * وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ

وأنشد أبو زيد

كَأَنِّي إِذَا أَسْعَى لِأُظْفَرَ طَائِرٌ * مَعَ النِّجْمِ فِي جَوْ السَّمَاءِ يَطِيرُ
فَتَى مُتْلَهًى بِالْمَنَى فِي خِلَائِهِ * وَهَنَ وَإِنْ حَسَّتْهُنَّ غُرُورُ

(١) كذا بالأصول بزيادة أبي ، والصواب ابن الدُمينة .

(٢) المتان جمع من وهو ما صلب من الأرض وارتفع .

(٣) في ديوان ابن الدُمينة : « هزنتى اليك » بدل « ملتنى هناك » .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : زعم شيخ من بني القُحَيْف قال : تمنّيتُ داراً
فكشْتُ أربعة أشهر مُعْتَمِلاً للدرجة أين أضعُها . قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيْحِ المُنْغِيّ :
خذ بنا في التمني فوالله لأُغلبَنَّكَ . قال : والله لا تغلبني أبداً . قال : بلى . قال بُدَيْحٌ :
فإني أتمنى كَفْلَيْنِ من العذاب ، وأن يلعني الله لعنا كثيراً نخذِ ضِعْفِي ذلك . قال :
غلبتني لعنك الله . قيل لمُزَيْدٍ : أيسرك أن هذه الجنة لك ؟ قال : وأُضْرَبُ عشرين
سوطاً . قالوا : ولم تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

الأصمعيّ عن مُبَشَّرِ بْنِ بَشِيرٍ أن رجلاً كان يطلبه الحجاج فترس باط فيه كلب بين
جُبَيْنِ يَقْطُرُ عليه ماءُهما . فقال : ياليتني مثلُ هذا الكلب ، فما لبث ساعة أن مرَّ
بالكلب في عنقه حبلاً ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كتابُ الحجاج يأمر فيه بقتل
الكلاب . قال مَدِينِيّ لَكُوفِيّ : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :
وَدِدْتُ أَنِّي وَقَيْتُهُ ولم يكن وصل إليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شيء من المكروه إلا كان بي
دونه . قال المدينيّ : وَدِدْتُ أن أبا طالب كان أسلمَ فسُرَّ به رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم وأتى كافراً .

تمنى ابن أبي عتيق أن يهْدَى له مسلوخٌ يَتَّخِذُ منه طعاماً ، فسمعتَه جارةٌ له
فظنّت أنه قد أمر أن يُشْتَرَى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تَدُقُّ البابَ ،
وقالت : شِمْتُ رِيحَ قُدُورِكُمْ بِخُبْتِ لِيَطْعِمُونِي ، فقال ابن أبي عتيق : جيرانِي يَشْمُونَ
ريحَ الأمانِي .

وفي كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن في جرة ، ففكر يوماً فقال : أبيعُ
الجرةَ بعشرة دراهم ، وأشتري خمسة أعنزٍ فأولِدُهُنَّ في كلّ سنةٍ مرتين ، ويبلغ التّاجُ
في سنين مائتين ، وأبتاعُ بكل أربع بقرة ، وأصيب بذراً فأزرع ، ويئتي المالُ
في يدي ، فأَتَّخِذُ المساكِنَ والعبيدَ والإماءَ والأهلَ ويُولِّدُ لي ابنٌ فأسميه كذا وأخذه

بالأدب ، فإن هو عصافى ضربت بعصافى رأسه وكانت في يده عصا فرفعها حاكيا للضرب ، فأصابته الجزة فانكسرت ، وانصبَّ العسلُ والسمنُ على رأسه .

ابن الكلابي قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسرورا قال
ليت أيامنا ببرقة خاخ * وليالك ياطويل تعودُ

وإذا كان مغتما قال

تَرى الشيءَ مما تَتَّقِي فتخافُه * وما لا تَرى مما يَتَّقِي اللهُ أَكْثَرُ

الأصمعي عن أبيه قال قال زياد : أى الناس أنعم؟ قالوا : معاوية . قال :
فأين ما يلقى من الناس ! قالوا : فانت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والحراج !
قالوا : فمن ؟ قال : شاب له سَدَّادٌ من عيش ، وامرأةٌ قد رضىها ورضيته ، لا يعرفنا
ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه .

التواضع

قال حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا مسلم بن قتيبة عن شيخ من
أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حيوة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من
السراج فقلت : يا أمير المؤمنين لم لا أمرتني بذلك ، أو دعوت له من يصلحه ؟
فقال : قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القرظي ،
ف قيل له : أو الأنصاري . فقال : أكره أن أُمْنَّ على الله بما لم أفعل .

قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الله بن مسلمة عن يعقوب بن حماد
المدني عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب إذا سافر
لا يقوم في الظل ، وكان يراجلنا رجالنا ويرجل رحله وحده . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليلُ عليك بالهمم * والبس له القميص واعتم^(١)
وكن شريك نافع وأسلم * ثم آخذهم الأقوامَ حتى تُخدم

وروى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصابته رعدةٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «هَوِّنْ
عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديدَ» .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جالس الأحنف على باب دار ، فمرت به
ساقيةٌ فوضعتُ قِربَتها وقالت : يا شيخ ، احفظ قِربتي حتى أعود ومضت ، فأتاه الأذن
وقال : انهض . فقال : إن معي وديعةً ، وأقام حتى جاءت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحسارث عن
أبي لبيد ، قال : مرَّ بنا زياد وهو أمير البصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة
قد طوق الحبل في عنقها تحت اللجام .

الأصمعي قال ، قال يحيى بن خالد : الشريف إذا نُقِرَ تواضع والوضيع إذا نُقِرَ
تكبر . الأصمعي قال : لا أراه أخذه إلا من كيس غيره .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن
أيوب عن عُمارة بن غَزِيَّة عن عبد الله بن عُرْوَة بن الزبير قال : إلى الله أشكو
أحمدى مالا آتني ، وذمى مالا أترك .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن أبي نُعَيْم عن مُنْدَلٍ عن حميد عن أنس قال :
مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في غلمانٍ فسلم علينا .

وحدثني أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شُعْبَة عن جابر عن طارق التيمي
عن جرير بن عبد الله البجلي قال : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسوةً فسلم عليهن .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصول وهو مختل الوزن . (٢) يقال قرأ إذا نودى باسمه من بين الأسماء .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرني معمر قال : قلت لجار لعطاء السلمي : من كان يخدم عطاء؟ قال : مُخْتَنُونَ كانوا في الدار يستقون له وضوءه . فقلت : أيؤضئه مُخْتَنُونَ ! فقال : هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعي عن رجل عن النبي قال : آذى ابن محمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريت أملك بمائة درهم .

قال عامر بن الظرب العدواني : يا معشر عدوان ، إن الخير ألوف عروفاً عزوفاً ، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنني لم أكن حكيماً حتى صحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم . قال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصايد الشرف . كان يقال : اسمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقال بُزْرَجِيه : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقال الوليد : خدمة الرجل أخاه شرف . وقال عبد الله بن طاهر

أميل مع الذمام على ابن عمي * وأحتمل الصديق على الشقيق
وإن ألفتني ملكاً مطاعاً * فإنك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروفي ومني * وأجمع بين مالي والحقوق

وقال آخر

وإنني لعبد الضيف من غير ذلة * وما في إلا تلك من شيمة العبد^(١)

ويقال : كل نعمة محسود عليها إلا التواضع . قال المسيح عليه السلام لأصحابه : إذا اتخذكم الناس رؤوساً فكونوا أذناباً . اعتم هشام بن عبد الملك فقام الأبرش ليسوى عمامته ، فقال هشام : مه إنا لا نتخذ الإخوان خولاً . كان عمر بن الخطاب يلقط النوى ويأخذ النكث من الطريق ، فإذا مرّ بدار رمى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت في الحماسة من أبيات مفتوحة الروي للقعن الكندي هكذا :

وإنني لعبد الضيف مادام قازلاً * ولا شيمة لي غيرها تشبه العبد

قال يوسف بن أسباط : يَحْزِي قَلِيلُ الْوَرَعِ مِنْ كَثِيرِ الْعِلْمِ ، وَيَحْزِي قَلِيلُ التَّوَاضُعِ مِنْ كَثِيرِ الْاجْتِمَاعِ . وقال بكر بن عبد الله : إِذَا رَأَيْتَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقَنِي بِالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقْتُهُ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ اخْوَانَكَ يُكْرِِمُونَكَ فَقُلْ : نِعْمَةٌ أَحْدَثُوهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ تَقْصِيرًا فَقُلْ : بِذَنْبِ أَحَدَثِهِ . قال عبد الملك بن مروان : أَفْضَلُ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رَفْعَةٍ ، وَزَهَّدَ عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . قال ابن السَّيِّكِ لعيسى بن موسى : تَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . وقال عبد الملك بن مروان : ثَلَاثَةٌ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ : جُودٌ لغيرِ ثَوَابٍ ، وَنَصَبٌ لغيرِ دُنْيَا ، وَتَوَاضَعٌ لغيرِ ذُلٍّ .

قال إبراهيم النَّخَعِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ رِدْفًا ، الْأَعْمَشُ عَنْ أَنَسٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى إِلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السِّنْخَةِ ^(١) فَيُجِيبُ . قَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مُتَكِنًا وَيَأْكُلُ بِالْحَضِيضِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ . قَالَ أَوْسُ بْنُ الْحَدَّثَانِ : رَأَيْتُ أَبَا هُبَيْرَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ رَاجِعًا عَلَى حِمَارٍ عُرِّي يَقُوبُ : الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ . قَالَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ : رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعِيدِ عَلَى حِمَارٍ مَقْطُوعٍ الذَّنْبَ قَدْ سَلَّلَ رَجُلِيهِ مِنْ جَانِبٍ . الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : بَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنْبَرِ إِذْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ بَرِيحٌ خَرَجَتْ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ مَيَّلْتُ بَيْنَ أَنْ أَخَافَكُمْ فِي اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ ، فَكَانَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ فَسَوْتُ ، وَهَآنَذَا أَنْزِلُ لِأُعِيدَ الْوُضُوءَ . كَانَ يُقَالُ : مَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَلَالِ قَلَّتْ كِبَرِيَاؤُهُ وَخَفَّتْ مُوَازِينُهُ . قَالَ معاوية : مَامَنَا أَحَدٌ إِلَّا فُتِّشَ ^(٢) عَنْ جَائِفَةٍ أَوْ مُنْقَلَةٍ خَلَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . الْمُنْقَلَةُ الشَّجَةُ الَّتِي يُخْرِجُ مِنْهَا

(١) الإِهَالَةُ : مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مِنَ الْأَدْهَانِ ، وَالسِّنْخَةُ : الْمَتَغَيَّرَةُ الرِّيحَ .

(٢) يُرِيدُ : لَيْسَ فِينَا أَحَدٌ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ عَظِيمٌ ، فَاسْتَعَارَ الْجَائِفَةَ وَالْمُنْقَلَةَ لِذَلِكَ .

العظام ، والجائفة التي تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال
[قال] إبراهيم : لقد تكلمت ولو وجدتُ بدا ما تكلمت ، وإن زمانا تكلمتُ فيه لزمانُ
سوء . كان رجل من خثعم ردي فقال في نفسه

لو كنتُ أصعدُ في التكرم والعلا * كتحذري أصبحتُ سيد خثعم

فباد أهل بيته حتى ساد فقال

خَلَّتِ الدِّيَارُ فُسِدَتْ غَيْرُ مُسَوِّدٍ * ومن الشقاء تفردي بالسودد

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعي في مثله

إن يقوم سودوك لحاجة * إلى سيد لو يظفرون بسيد

قال يحيى بن خالد : لست ترى أحدا تكبر في إمارته إلا وهو يعلم أن الذي نال
فوق قدره ، ولست ترى أحدا يضع نفسه في إمارة إلا وهو في نفسه أكثر مما نال
في سلطانه . ومثله ، قيل لعبيد الله بن بسم : فلان غيرته الإمارة ، فقال : إذا ولي
الرجل ولاية فرآها أكثر منه تغير ، وإذا ولي ولاية يرى أنه أكثر منها لم يتغير .
ويقال : التواضع مع السخافة والبخل أحمد من السخاء والأدب مع الكبر ، فأعظم
بنعمة عفت من صاحبها بسيتين ، وأقبح بسيئة حرمت صاحبها حسنتين . وفي بعض
كتب العجم : علامة الأحرار ، أن يلقوا بما يحبون ويحرموا أحب إليهم من أن يلقوا
بما يكرهون ويعطوا ، فأنظر إلى خلة أفسدت مثل الجود فاجتنبها ، وأنظر إلى خلة
عفت مثل البخل فالزمها . كان يقال : الشرف في التواضع ، والعز في التقوى ، والغنى
في القناعة . أبو الحسن قال : خطب سلمان إلى عمر فأجمع على تزويجه ، فشق ذلك
على عبد الله بن عمر وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال : أنا أردته عنك ، فقال : إن رددته
بما يكره أغضبت أمير المؤمنين ، قال : على أن أردته عنك راضيا ، فأتى سلمان فضرب
بين كتفيه بيده ، ثم قال : هنيئا لك أبا عبد الله ، هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك ،

فالتفت اليه مُغَضَّبًا وقال، أبي يتواضع ! والله لا أتزوجها أبدا . وقال المزاري بن
مُنْقِذُ الْعَدَوِيِّ^(١)

يا حَبْدًا حين تُسمي الرِّيحَ بَارِدَةً * وَايدى أَشْيًى، وَفَتِيَانٌ بِهِ هُضُمُ
يُخَدِّمُونَ، كَرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ، * وَفِي الرِّحَالِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خَدَمُ
وَمَا أَصَاحِبُ قَوْمًا ثُمَّ أَذْكُرُهُمْ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ

ابن المبارك عن ذَرِّعٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ : رَكِبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، فَدَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَبَّاسٍ لِيَأْخُذَ بِرُكَابِهِ، فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ : هَكَذَا أَمَرْنَا
أَنْ نَفْعَلَ بِعَلَمَائِنَا . فَقَالَ زَيْدٌ : أَرْنِي يَدَكَ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ فَقَبَّلَهَا زَيْدٌ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا
أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : رَأْسُ
التَّوَاضُعِ أَنْ تَبْدَأَ مَنْ لَقِيتَ بِالسَّلَامِ، وَأَنْ تَرْضَى بِالْأَدْنَى مِنَ الْمَجْلِسِ . ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ
عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمْ يَمُرْ قَطُّ بِعَمْرٍو وَلَا بِعُثْمَانَ وَهُمَا رَاكِبَانِ إِلَّا تَرَجَّلَا
حَتَّى يَحُوزَهُمَا إِجْلَالًا لَهُ أَنْ يَمُرَّوَهُمَا رَاكِبَانِ وَهُوَ يَمْشِي . كَانَ سَلْمَانَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ
الشَّيْطَانِ وَالسُّلْطَانِ وَالْعِلْجِ إِذَا اسْتَعْرَبَ . الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : سَلَّمَ رَجُلٌ عَلَى حَسَّانَ
ابْنِ أَبِي سِنَانٍ فَدَعَا لَهُ، فَقِيلَ : أَتَدْعُو لِمِثْلِ هَذَا ! فَقَالَ : إِنْ مِمَّا يَفْضُلُنِي بِهِ أَلَّا يَرَى
أَنِّي خَيْرٌ مِنْهُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ : أَرَبْعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقْدَ بَرٍّ مِنَ الْكِبَرِ : مَنْ
اعْتَقَلَ الْعَتَرَ، وَرَكِبَ الْحِمَارَ، وَلَبَسَ الصُّوفَ، وَأَجَابَ دَعْوَةَ الرَّجُلِ الدُّونِ .

باب الكبر والعجب

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الشَّكَنِ قَالَ حَدَّثَنِي عَمُّ أَبِي زَحْرُ بْنُ
حِصْنٍ قَالَ، قَالَ رَجُلٌ لِلْحَجَّاجِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مِثْلَكَ بِالْعِرَاقِ ؟

(١) جاءت هذه الأبيات في الحماسة ضمن قصيدة معزوة إلى زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث،
قال التبريزي : ويقال زياد بن منقذ . (٢) كذا في الأصل، وفي الحماسة «بأدرة» .

قال : خير منزل لو كان الله بلغني أربعة فتقربتُ بدمائهم إليه . قال : ومن هم ؟
قال : مقاتل بن مسعم ، ولي سيجستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال ، فلما عُزل
دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أريدتهم فشى عليها ، وقال لرجل يماشيه : لمثل
هذا فليعمل العاملون . وعُبد الله بن زياد بن ظبيان التيمي ، حزب أهل البصرة
أمر فخطب خطبة أوجز فيها ، فنادى الناس من أعراض المسجد : أكثر الله فينا
أمثالك . فقال : لقد كلفتم الله شططا . ومعبد بن زُرارة ، كان ذات يوم جالسا
في طريق ، فمرت به امرأة فقالت : يا عبد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا ،
فقال : لهد عبد الله ! أنا لهد^(١) ، أراد كفى بك أنا ، يريد الفخر . وأبو سمالك الأسدي ،
أضل راحلته فالتصمها الناس فلم يجدوها ، فقال : والله لئن لم يردد علي راحلتي
لا صليت له أبدا ، فالتصمها الناس حتى وجدوها ، فقالوا : قد رد الله عليك راحلتك
فصل ، فقال : إن يميني كانت صريا .^(٣)

قال أبو حاتم عن الأصمعي عن كُرْدِين المسمعي . قيل لرجل متكبر : هل مرت
بك أحيرة ؟ فقال للسائل : تلك دواب لا يراها عمك . قال وقال كُرْدِين : رأني
ابن ميادة الشاعر فأعجبته لما رأى من جلدي وبياني . فقال : ممن أنت ؟ قلت :
من بكر بن وائل ، فقال : وفي أي الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جبير بن مطعم في حلقة العلاء بن عبد الرحمن
الخرقي وهو يُقرئ الناس . فلما فرغ قال : أتدرون لم جلست إليكم ؟ قالوا :
لتسمع ، قال : لا ، ولكن أردتُ التواضع لله بالجلوس إليكم . قال : ومرت محمد

(١) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ، وفي العقد الفريد الجزء الأول صفحة ٢٤٤ — : فقال : لمثل يقال
يا عبد الله ! ويلك ! (٢) كذا بالأصول ، وفي العقد الفريد : « وأبو سمالك الحنفي » وفي اللسان في مادة
صري : « أبو سمالك الأسدي » . (٣) كذا بالفتوغرافية ، وفي الألمانية « صريا » والذي في اللسان
والصاحح « علم ربي أنها مني صري » . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة ، أي عزيمة قاطعة ويمين لازمة .

ابن المنذر بن الزبير بن العوام في حاجة له، فانقطع قبالة نعله، فترع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يعرج عليهما . قال بعض الشعراء

وأعيرض عن ذي المال حتى يقال لي * قد أحدث هذا نخوة وتعظما
وما لي كبر عن صديقي ولا أيج * ولكنه فعلي إذا كنت مغيما .

- ٥ قيل لبعضهم : ما الكبر . قال : حُمقٌ لم يدرك صاحبه أين يضعه . قال معاوية بن أبي سفيان : قدم عاتمة بن وائل الحضرمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني رسول الله أن أنطلق به إلى منزل رجل من الأنصار أنزله عليه ، وكان منزله في أقصى المدينة ، فأنطلقت معه وهو على ناقة له وأنا أمشي في ساعة حارة وليس عليّ حذاءٌ ، فقلت : احملني يا عم من هذا الحر فإنه ليس عليّ حذاءٌ ، فقال : لست من أرادف الملوك ، قلت : إني ابن أبي سفيان ، قال : قد سمعتُ رسول الله عليه السلام يذكر ذلك ، قال ١٠ قلت : فإني إلى نعلك ، قال : لا تقبلها قدماك ولكن أمش في ظل ناقتي فكفأك بذلك شرقاً ، وإن الظل لك لكثير . قال معاوية : فما مرت بي مثل ذلك اليوم قط ، ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بل أجلسته معي على سريري هذا . قال ابن يسار ولو لحظ الأرض لي والدُّ * تطاطات الأرض من لحظتي

وقال آخر

- ١٥ أتية على جنّ البلاد وإنسها * ولو لم أجد خلقة لتهت على نفسي
أتية فما أدري من التيه من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
فان زعموا أتى من الإنس مثلهم * فما لي عيبٌ غير أني من الإنس
وكان عند الرستمى قوم من التجار فحضرت الصلاة فنهض ليصلي فنهضوا فقال :
٢٠ ما لكم ولهذا وما أتم منه ! الصلاة ركوعٌ وسجودٌ وخضوع ، وإنما فرض الله هذا

(١) قبالة النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والى تليها .

يريد به المتكبرين والمتجبرين والملوك والأعظم مثلي ومثل فرعون ذى الأوتاد
 ومُمرود وأنوشروان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه .
 قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خيراً إلا أن يرى أن فيه خيراً .
 رأى رجل رجلاً يختال في مشيته ويتلفت في أعطافه ، فقال : جعلني الله مثلك
 في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي . قيل لعبد الله بن المبارك : رجل قتل رجلاً
 فقلتُ إني خير منه ، فقال : ذنبك أشد من ذنبه . قال الأحنف : عجبت لمن جرى
 في مجرى البول مرتين كيف يتكبر . ابن عُلَيَّة عن صالح بن رُسْتَم عن رجل عن
 مُطَرِّف ، قال : لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحبُّ إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح
 مُعْجَباً . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوءك خير من حسنة تُعْجِبُكَ . قال أبو حازم :
 إن الرجل لعمل السيئة ما عمل حسنة قط أنفع له منها وإنه لعمل الحسنة ما عمل
 سيئة قط أضر عليه منها . قال الشاعر

أما ابنُ فَرَوَةَ يونسُ فكأنه * من كِبَرِهِ أَيْرُ الحمارِ القائمِ
 ما الناسُ عندك غيرَ نفسك وحدها * والناسُ عندك ما خلاك بهائمُ

قال المسعودي

مُسَا تَرَابَ الأرضِ منها خُلِقْتما : وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ
 ولا تَعْجَبَا أَنْ تَرْجِعَا فُتْسَلَمَا * فما خَشِيَ الأَقْوَامُ شَرًّا من الكِبَرِ
 ولو شئتُ أدلِّي فيكما غيرَ واحد * علانيةً أو قال عندى في سترِ
 فإن أنا لم أَمُرْ ولم أنه عنكما * ضحكْتُ له حتى يُلَحَّ وَيَسْتَشِيرِي

الأصمعي قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كبرٍ قط إلا تحوّل دأؤه في ، يريد أنى أتكبر عليه .
 وقال آخر : ما تاه أحد قط على مرتين ، يريد إذا تاه مرة لم أعاوده . قال الشاعر
 يا مظهرَ الكِبَرِ إعجاباً بصورته * أنظر خلاءك إن التّن تريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة * وهو يخس من الأقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك * والعين مرمصة والثغر ملعوب
يابن التراب وما كول التراب غدا * أقصر فإنك ما كول ومشروب

٥ دفع أردشير الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له : اذا رأيتني قد
أشتد غضبي فادفعه اليّ، وفي الكتاب : أمسك فلست بإله انما أنت جسد يوشك
أن يأكل بعضه بعضاً ويصير عن قريب للذود والتراب . كان للسندي والى الحسر
غلام صغير قد أمره بأن يقوم اليه إذا ضرب الناس بالسّيّاط فيقول له : ويلك
ياسندي، اذكر القصص . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك

١٠ أبا جعفر عرج على خلطاءك * وأقصر قليلاً عن مدى غلوائك
فإن كنت قد أعطيت في اليوم رفة * فاب رجائي في غد كرجائك
قال لي بعض أصحابا وأحسبه محمد بن عمر : سمعت رجلاً ينشد
ألا رب ذي أجل قد حضر * طويل التني قليل الفكر
اذا هنز في المشي أعطاه * تينت في منكيه البطر

١٥ قال : فغدوت عليه لأكتب تمام القصيدة فوجدته قد مات . المدائني قال :
رأيت فلاناً مولى باهلة يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيت به بعد ذلك راجلاً
في سفره، فقلت له : أراجل في هذا الموضع ؟ قال : نعم، إني ركبت حيث يمشي
الناس فكان حقاً على الله أن يرحلني حيث يركب الناس . وقال أبو نواس في جعفر
ابن يحيى البرمكي

٢٠ وأعظم زهواً من ذباب على نحر * وأبخل من كلب عفور على عرق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر * لما وضعوه الناس إلا على حرق

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل علامة الفاعل قبل ذكره وهي لغة أردشنة .

وقال آخر

أَجُّ لِحَا جَا مِنْ الْخُنْفَسَاءِ * وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غَرَابِ

قيل لرجل من بني عبد الدار : ألا تأتي الخليفة ، قال : أخشى ألا يَجِلَّ الحُسْرُ شرفي . وقيل له : البس شيئاً فان البرد شديد ، فقال : حسبي يُدْفِنُنِي . قال أبو اليقظان : كان الحجاج أستعمل بلالاً الضُّبِّيَّ على جيش وأغزاه قلاع فارس ، وكان يقال لذلك الجيش : بَيْبِي ، سُمِّيَ بذلك لأنه فرض فرضاً من أهل البصرة فكان أهلهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : بَيْبِي . وفي جيشه قال الشاعر

إلى الله أشكو أنني بتُّ حارساً * فقام بلالٌ فبال على رجلى

فقلت لأصحابي أقطعوها فإنني * كريمٌ وإنِّي لن أبلغها رَحلى

مد أعرابي يده في الموقف وقال : اللهم إن كنت ترى يداً أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمعتُ الحجاج بن أَرْطاة يقول : قتلني حُبُّ الشرف . وقيل له : مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال : أكره أن يزحمني البقالون . كان جَذِيمَةُ الأبرش — وهو الوضاح سُمِّيَ بذلك لبرص كان به — لا يُنادِمُ أحداً ذهاباً بنفسه ، وقال : أنا أعظمُ من أن أنادِمَ إلا الفرقدين ، فكان يشرب كأساً ويصب لكل واحد منهما في الأرض كأساً ، فلما أتاه مالك وعقيل بابن أخته الذي آسهموته الشياطين قال لهما : احتكما ، فقالا له : مُنادِمُكَ ، فنادماه أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حديثاً . وفيهما يقول مُتَمِّمُ بن نُويرة وكنا كندمانى جَذِيمَةَ حَقْبَسَةَ * من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

(١) كذا بالأصل وفي لسان العرب في مادة زها . وأورد الميداني المثل هكذا «أَجُّ مِنْ الْخُنْفَسَاءِ» بالخاء المهملة ولم يشرحه ، وعمله في كتاب فرائد الآل بأن الخنفساء إذا وقعت عن موضع عادت إليه .

(٢) أصله بآبي ، أبدلت الهمزة فيه ياء ، انظر اللسان في مادة آبي . وفي الأعاني ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المحتلين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جرد فتضسه إليها وتقول له بآبي جزعا عليه فسمى ذلك الجيش جيش بآبي .

وقال الهذلي

- ألم تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا * خَلِيلًا صَفَاءً مَالِكٌ وَعَقِيلٌ
 قيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيبٌ إلا أنك مُعَجَّبٌ، قال : أفاُعْجِبُكُمْ؟ قالوا : نعم
 قال : فأنا أحقُّ أن أُعْجَبَ بما يكون مني . ويقال : للعادة سلطانٌ على كلِّ شيءٍ،
 وما آسَئِبُط الصوابُ بمثل المشاورة، ولا حُصِّلَتِ النعمُ بمثل المواساة، ولا اكتُسِبَتِ
 البَغْضَةُ بمثل الكِبَرِ .

باب مدح الرجل نفسه وغيره

- قال الله عز وجل حكايةً عن يوسف : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ
 عَلِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيدُ ولد آدم ولا خِزْفَ" . وقال الأنصار :
 "والله ما علمتكم إلا تَقْلُونَ عند الطمع وتَكْثُرُونَ عند الفزع" . وذكر أعرابي قوماً
 فقال : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا وقد وطئناه بأخامص أقدامنا، وإن
 أقصى مُناهم لأدنى فعالنسا . ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد، قال : كنتُ
 أمشي مع الشَّعْبِيِّ وأبي سَلَمَةَ ، فسأل الشَّعْبِيُّ أبا سَلَمَةَ : مَنْ أَعْلَمُ أهل المدينة؟ فقال :
 الذي يمشي بينكما، يعني نفسه . وقال الشَّعْبِيُّ : ما رأيتُ مثلي ، وما أشاء أن ألقى رجلاً
 أعلم مني بشيء إلا لقيته . قال معاوية لرجل : مَنْ سيدُ قومك؟ قال : أنا . قال :
 لو كنتَ كذلك لم تُقُلْ . الوليد بن مُسلم عن خلود عن الحسن قال : ذمُّ الرجل نفسه
 في العلانية مدحٌ لها في السرِّ . كان يقال : مَنْ أظهر عيبَ نفسه فقد زكَّاهَا ، الأعمش
 عن إبراهيم عن عبيد الله قال : إذا أُشْنِيتَ على الرجل بما فيه في وجهه لم تُزَكَّه .
 قال عمر بن الخطاب : المدح ذَنْبٌ . ويقال : المدح وإفدُ الكِبَرِ . وقال علي بن الحسين :
 لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشرِّ ما لا يعلم ،
 ولا يصطحب آثان على غير طاعة الله إلا أوشكا أن يفترقا على غير طاعة الله .
 قال وهب بن منبه : إذا سمعتَ الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمنْ

أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك . ويقال في بعض كتب الله عز وجل : عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ! ولن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب ! وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الظنون ! . وكان يقال : لا يغلين جهل غيرك بك علمك بنفسك . وقال أعرابي : كفى جهلا أن يمدح المادح بخلاف ما يعرف الممدوح من نفسه ، وإني والله ما رأيت أعشق للمعروف منه . قال ابن المقفع : إياك إذا كنت واليا أن يكون من شأنك حب المدح والتركية وأن يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلثة من الذل يفتخمون عليك منها ، وبأب يفتخونك منه ، وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منك لها . وأعلم أن قابل المدح كمدح نفسه ، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده ، فإن الراد له ممدوح والقابل له معيب . وقال البيهقي

ولست بمفراج إذا الدهر سرتني * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركي * ولكن متى أحمل على الشر أركب
ويعتده قوم كثير تجارة * ويمتنع من ذلك ديني ومنصبي
فان مسيري في البلاد ومنزلي * لبالمزلة الأقصى اذا لم أقرب

قول الممدوح عند المديحة

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان أبو بكر يقول عند المديحة : اللهم أنت أعلم بي مني بنفسي وأنا أعلم بنفس مني ، اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون وأغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون . قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي عن حماد بن سلمة قال : أثنى رجل على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وجهه ، وكان شهمة ، فقال علي : أما دون ما تقول وفوق ما في نفسك .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينظم به السياق ، ففي العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابي رجلا فقال : ما رأيت أعشق للمعروف منه . وفي الصحيفة نفسها : ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : ان جهلا أن يقول المادح بخلاف ما يعرفه من الممدوح راني والله ما رأيت أعشق للكارم في زمان اللوم منك .

قيل لأعرابي : ما أحسنَ الثناءَ عليك ! فقال : بلاءُ الله عندي أحسنُ من وصف
المساحين وإن أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الدائمين وإن أكثروا ،
فيا أسفاً على ما فترطتُ ويا سوءاً مما قدمتُ ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الثناء إلا من مكافئ^(١) . ومن احسن ما قيل في مدح الرجل نفسه قولُ أعشى بنى ربيعة

ما أنا في أهلي ولا في عشيرتي * بمهتضمٍ حقٍ ولا قاريجٍ سسني
ولا مُسلمٍ مولايَ عند جنايةٍ * ولا خائفٍ مولايَ من سوء ما أجني
وإن فؤاداً بين جنبيَّ عالمٌ * بما أبصرتُ عيني وما سمعتُ أُذني
وفضلتني في الشعر واللُب أني * أقول على علم وأعلم ما أغني
فأصبحتُ إن فضلتُ مروانَ وأبنة * على الناس قد فضلتُ خير أب وأبن

وقال آخر

إذا المرء لم يمدحه حسنُ فعاله * فمادحه يهذي وإن كان مفصحا

وقال آخر

لعمري أبوك الخير إني لخدم * لصحبي وإني إن ركبْتُ لفارس

وقال آخر

ونحن ضياءُ الأرض ما لم نسر بها * غضاباً، وإن تغضب فنحن ظلامها

وأنشد الحسنُ البصري^(٢) قول الشاعر

لولا جريُّ هلكك يجيله * نعم الفتى وبئست القبيلة

(١) في اللسان مادة كفا بعد أن أورد الحديث : قال القتيبي معناه إذا أنعم على رجل نعمة فكافاه بالثناء عليه قبل ثناءه وإذا أنى قيل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأباري هذا غلط إذ كان أحد لا ينفك من إنعام النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله بعثه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافئ ولا غير مكافئ ، والثناء عليه فرض لا يتم الإسلام إلا به وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بالسنهم ما ليس في قلوبهم . قال وقال الأزهري وفيه قول ثالث : الاسم مكافئ أي مقارب غير محاور حد مثله ولا مقصر عما رفعه الله إليه هـ ومثله بالحرف في ابن الأثير .

(٢) في الأصل « الحسن بن البصري » وظاهر أن لفظة « ابن » من زيادات النساخ .

قال الحسن : ما مدح رجل هجى قومه . وقال أبو الهندام
يقولون : الحديد أشد شئ * وقد نبت الحديد وما نبت
تخر الأرض إن نوديت باسمي * وتهد الجبال إذا كُنيت
ومدح النفس في الشعر كثير، وهو فيه أسهل منه في الكلام المنثور .

باب الحياء

حدثني أبو مسعود الدارمي ، قال : حدثني جدي نراش عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : «الحياء شعبة من الإيمان» . وروى ابن ميمر عن الأحوص
ابن حكيم ، قال : حدثني أبو عون المدني قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قلّة الحياء كفر» . وروى جرير بن حازم عن يعلى
ابن حكيم عن رجل عن ابن عمر ، قال : الحياء والإيمان مقرونان جميعا فإذا رفع
أحدهما ارتفع الآخر . وكان يقال : أحيوا الحياء يحالسة من يستحيا منه . ذكر
أعرابي رجلا فقال : لا تراه الدهر إلا وكأبه لا غنى به عنك وإن كنت إليه أحوج ،
فإن أذنبت غفر وكأبه المذنب ، وإن أسأت إليه أحسن وكأبه المسيء . وقالت
ليلي الأخيلية

ومقدّر عنه القميص تخالّه * وسط البيوت من الحياء سقيما ١٥

حتى إذا رفع اللواء رأيتّه * تحت اللواء على الخميس زعيما

ونحوه قول الآخر إلا أنه في التواضع

يبدو فيبدو ضعيفا من تواضعه * ويكفهر فيلقى الأسود اللجيا

وقال أبو ذؤيب الجهمي^(١)

إن البيوت معادن فيجاره^(٢) * ذهب وكل جدوده صخر^(٣) ٢٠

(١) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) في الأصول . «فتجارة» وهو تحريف والتصويب

عن الحماسة . (٣) في الحماسة «بيوته» يعني القبائل التي اكتنفت من أخواله وأعمامه .

مُتَهَلِّلٌ يَنْعَمُ لِلَّاءِ مُجَانِبٌ * سَيَّانٍ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ
نَزْرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ * ضَمِينًا وَلَيْسَ بِجَسَمِهِ سُقْمُ
عُقِيمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ * إِنِّ النِّسَاءَ بِمَثَلِهِ عَقْمُ

- حدثنا أبو الخطاب قال : حدثنا المعتمر ، قال : سمعتُ لَيْثَ بْنَ أَبِي سَلِيمٍ يُحَدِّثُ
عَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : كَانَ آخِرُ مَا حَفِظْتُ
مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ « إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » . قَالَ الشَّاعِرُ
تَحَاكُمُ لِلْعِلْمِ صُمًّا عَنْ الْخَلَا * وَتُحَرِّمُنَا عَنْ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَابُرِ
وَمَرْضَى إِذَا لُوقُوا حَيَاءً وَعِيفَةً * وَعِنْدَ الْحِفَاطِ كَاللِّيُوثِ الْخَوَادِرُ
وَقَالَ آخِرُ

- ١٠ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى رِذَاءٌ سَكِينَةٌ * وَلِلْحَقِّ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعٌ
وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : تَمَاشَى النَّاسُ زَمَانًا بِالذِّينِ وَالتَّقْوَى ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَتَعَايَشُوا بِالْحَيَاءِ
وَالتَّذَمُّ ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَمَا يَتَعَايَشُ النَّاسُ إِلَّا بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأُظْلِمَ سَيِّجَى مَا هُوَ
أَشَدُّ مِنْ هَذَا .

باب العقل

- ١٥ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشَّهِيدِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ النَّعْمَانِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
خَلِيدُ بْنُ دَعْلَجٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ قُزَّةٍ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : « إِنَّ النَّاسَ يَعْمَلُونَ الْخَيْرَ وَإِنَّمَا
يُعْطَوْنَ أَجُورَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ » . مَهْدِيُّ بْنُ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ :
سَمِعْتُ مُطَرِّفًا يَقُولُ : عُقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدَرِ زَمَانِهِمْ .
حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعَمِ عَنْ أَبِيهِ غُنَّ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ قَالَ : وَجَدْتُ
فِي حِكْمَةِ دَاوُدَ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَشْغَلَ نَفْسَهُ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ، سَاعَةً يُنَاجِي فِيهَا
رَبَّهُ ، وَسَاعَةً يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةً يَخْلُو فِيهَا هُوَ وَإِخْوَانُهُ وَالَّذِينَ يَنْصَحُونَ لَهُ

في دينه وَيَصْدُقُونَهُ عن عيوبه ، وساعة يُخَلِّي بين نفسه وبين لذاتها فيما يَجِلُّ وَيُجَمِّدُ
فان هذه الساعة عَوٌّ لهذه الساعات وَفَضْلُ بُلْغَةٍ وَاسْتِجَامٌ للقلوب . وينبغي للعاقل
أَنْ لَا يُرَى الا في إحدى ثلاثِ خِصَالٍ : تزويدُ لمعاده ، أو سَرَمَةِ لمعاشه ، أو لذته ،
في غير محرم . وينبغي للعاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، حافظاً للسانهِ ، مُقْبِلاً على شأنه .
قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا هلال بن حَقٍّ قال ، قال عمرو بن
العاص : ليس العاقلُ الذي يَعْرِفُ الخيرَ من الشرِّ ولكنه الذي يَعْرِفُ خيرَ الشرِّينَ ،
وليس الواصلُ الذي يَصِلُ مَنْ يَصِلُهُ ولكنه الذي يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . وقال زياد :
ليس العاقلُ الذي يَحْتالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذي يَحْتالُ للأمر ألا يقع فيه .
قال معاوية لعمرو : ما بلغ من دهائك يا عمرو ؟ قال عمرو : لم أدخُلْ في أمرٍ قطَّ
فكرهته إلا خرجتُ منه . قال معاوية : لكنني لم أدخُلْ في أمرٍ قطَّ فاردتُ الخروجَ
منه . وقرأتُ في كتابٍ للهند : النَّاسُ حَازِمَانِ وعاجِزٌ ، فأحدُ الحازِمِينَ الذي إذا نزل به
البلاءُ لم يَنْتَظِرْ به وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يَخْرُجَ منه ، وأحزمُ منه العارفُ بالأمر إذا
أقبلَ فیدفعه قبل وقوعه ، والعاجِزُ في تردُّدٍ وثَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يَأْتِمُرُ رَشَدًا ولا يُطِيعُ
مُرَشِدًا . وقال أعرابيٌّ : لو صُوِّرَ العقلُ لأظلمت معه الشَّمْسُ ، ولو صُوِّرَ الحمقُ
لأضاء معه اللَّيْلُ . قال بعض الحكماء : ما عُيِدَ اللهُ بشيءٍ أَحَبَّ إليه من العقلِ
وما عُصِيَ اللهُ بشيءٍ أَحَبَّ إليه من السُّرِّ . أبو رَوْقٍ عن الضُّحَاكِ في قول الله عز
وجل (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال : مَنْ كَانَ عَاقِلًا . ذكر المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ عمر بن الخطاب
فقال : كانَ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ وَأَعْقَلُ مِنْ أَنْ يُخْدَعَ .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
ابن الشهيد قال ، قال إياس : لَسْتُ بِحَبٍّ وَالحَبُّ لَا يَخْدَعُنِي وَلَا يَخْدَعُ ابْنَ سِيرِينَ
ويخدعُ أبا ويخدعُ الحسن . قال غيره : وكان كثيرا ما يُنْشَدُ
أَبَايَ الْبَلَاءِ وَإِنِّي أَمْرُو * إذا ما تَبَتُّ لَمْ أَرْتَبْ

وفي كتاب كيلة ودمنة : الأدب يُذهِبُ عن العاقل السكرَ وَيَزِيدُ الأحمق سُكْرًا ،
كما أن النهارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصِيرَةٍ بَصْرًا وَيَزِيدُ الخفايشَ سُوءَ بَصِيرَةٍ . وفيه : ذو العقل
لا تُبْطِرُهُ المنزلةُ والعزُّ كالجليل لا يترعزعُ وإن أشتدت عليه الرياحُ ، والسَّخِيفُ يُبْطِرُهُ
أدنى منزلةٍ كالخشيش يُحَرِّكُهُ أضعفُ ريحٍ . وقال تأبط شراً في هذا المعنى^(١)
ولستُ بمفراخٍ إذا الدهرُ سَرَنِي * ولا جازعٍ مِن صَرَفِهِ المتقلبِ
ولا أتمنى الشرَّ والشرُّ تارِكِي * ولكن متى أُحْمِلَ على الشرِّ أركبُ

وفي كتاب كيلة : رأسُ العقلِ التمييزُ بين الكائن والمتنع ، وحسنُ العزاءِ عما
لا يُسْتَطَاعُ . وفيه : العاقلُ يَقِلُّ الكلامَ وَيُبَالِغُ في العملِ وَيَعْتَرِفُ بزلةِ عقله وَيَسْتَقِيلُهَا
كالرجلِ يَعْتُرُّ بالأرضِ وبها يَنْتَعِشُ . ويقال : كُلُّ شَيْءٍ محتاجٌ إلى العقلِ ، والعقلُ
محتاجٌ إلى التجاربِ . قال يحيى بن خالد : ثلاثةُ أشياءَ تدلُّ على عقولِ الرجالِ : الكتابُ ،
والرسولُ ، والهديةُ . وكان يقال : دَلَّ على عقلِ الرجلِ اختيارُهُ ، وما تَمَّ دينُ أحدٍ حتى
يَتِمَّ عقلُهُ ، وأفضلُ الجهادِ جهادُ الهوى . سُئِلَ أنوشروانُ : ما الذي لا تَعْلَمُ لَهُ ، وما
الذي لا تَغَيِّرُهُ ، وما الذي لا مَدْفَعَ لَهُ ، وما الذي لا حِيلَةَ لَهُ ، فقال : تَعْلَمُ العقلُ ، وتُغَيِّرُهُ
العُنْصُرُ ، ودَفْعُ القَدَرِ ، وحِيلَةُ الموتِ . وكان يقال : كَتَابُكَ عقلُكَ تَضَعُ عليه خَاتَمَكَ .
وقالوا : كِتَابُ الرجلِ مَوْضِعُ عقله ، ورسولُهُ مَوْضِعُ رأيه . كان الحسنُ إذا أُخْبِرَ
عن رجلٍ بصلاحٍ قال : كَيْفَ عقلُهُ . وفي الحديثِ ” أن جبريلَ عليه السلامُ أتَى
آدمَ عليه السلامُ فقال له : إني أتيتُك بثلاثٍ فاختَرِ واحدةً ، قال : وما هي يا جبريلُ ؟
قال : العقلُ والحياءُ والدينُ . قال : قد آخَرْتُ العقلَ فخرج جبريلُ إلى الحياءِ والدينِ
فقال : أرجعَا فقد اختارَ العقلَ عليكما ، فقالا : أَمَرْنَا أن نكونَ مع العقلِ حيثُ كان ”

(١) تقدّم هذان البيتان يتصل بهما بيتان آخران في باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأربعة

منسوبة هناك للبعيث .

كان يقال : العقل يظهر بالمعاملة ويشيم الرجال تظهر بالولاية . ويقال : العاقل يقي ما له بسلطانه ، ونفسه بماله ، ودينه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعاً عقولٌ لحربت الدنيا . خير رجل فآبى أن يختار وقال : أنا يحظى أوثق مني بعقلي فأقرعوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدثني الزبائدي قال : حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمِيمٍ كَانَ إِذَا نَحَرَ مِنْ مَنْزِلِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَصَدَقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ" .

حدثنا زياد بن يحيى قال : حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَأَنْتَفَاحِ أَوْدَاجِهِ" . قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال ، قال رجل : يا رسول الله أوصني ، فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدثني أحمد بن الخليل قال ، حدثني عبد الله بن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ" . قال : حدثنا حسين بن الحسن المروزي ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثنا حبيب بن حجر القيسي قال ، كان يقال : ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق ، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى عليم ومن عفو إلى مقدرة . وكان يقال : مَنْ حَلُمَ سَادَ وَمَنْ تَفَهَّمَ أَزْدَادَ . والعرب تقول : احْلُمُ تُسَدُ . وقال : سَمِيَ اللَّهُ بِحَبِي

سيداً بالحلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحِلْمُ يَحْيَا بِحَيَاةِ السُّودِدِ . أغلظ رجلٌ لمعاوية فحُم عنه ، فقيل له : تحلم عن هذا ! فقال : إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا . شتم رجلٌ الأحنف وألح عليه ، فلما فرغ قال له : يا بن أنحى ، هل لك في الغداء ؟ فانك منذ اليوم تحذو بجملٍ تقال .

٥ . حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المزني قال : جاء رجل فشم الأحنف فسكت عنه ، وأعاد فسكت ، فقال : والهفاه ! ما يمنعه من أن يرد عليّ إلا هواني عليه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرنا عبد الله بن صالح من آل حارثة بن لأم ، قال : نزلت برجلٍ من بني تغلب فأتاني يقرئ فأنفلت مني فقال (١) والتغلي إذا تمنع للقرى * حك أسنه وتمثل الأمثالا فانقبضت فقال : كُلى أيها الرجل فإنما قلت كلمة مقولة .

١٠ . حدثني أبو حاتم عن الأصمعي ، قال : أسمع رجلٌ الشعبي كلاهما فقال له الشعبي : إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك . ومربقوم ينتقصونه فقال هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ * لعزةٍ من أعراضنا ما استحلّت

١٥ . واستطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود فقال : استغفر الله من الذنب الذي سلطت به عليّ . قال معاوية : إني لأرفع نفسي أن يكون ذنبٌ أوزن من حامي . وقال معاوية لأبي جهم العدوي : أنا أكبر أم أنت يا أبا جهم ؟ قال : لقد أكلت في عرس أمك هنيئاً ، قال : عند أي أزواجها ؟ قال : عند حفص بن المغيرة ، قال : يا أبا جهم ، إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبي ويعاقب عقوبة الأسد ، وإن قليله يغلب كثير الناس . وأبو الجهم هذا هو القائل في معاوية

٢٠

(١) هكذا بالنسخ التي بين أيدينا ، وامل الصواب "قلت" . (٢) في النسخة الفتوغرافية يا أبا الجهم .

تَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا * إِذَا مِلْنَا تَمِيلُ عَلَى أَيْدِينَا
نُقَلِّبُهُ لِنَخْبِرَ حَالَتِيهِ * فَنَخْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينَا

سَمِعَ الْأَحْنَفُ رَجُلًا يَنَازِعُ رَجُلًا فِي أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : حَسْبُكَ إِلَّا ضَعِيفًا
فِيَا تُحَاوِلُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا عَلَى ظَنِّكَ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ أَهْلِي ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ لِأَمْرٍ مَا
قِيلَ : احْذَرُوا الْجَوَابَ . جَعَلَ رَجُلٌ جُعْلًا لِرَجُلٍ عَلَى أَنْ يَقُومَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَسْأَلُهُ
عَنْ أُمِّهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرٍ تَتَبَسَّسُ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ أَخْبِرْنَا مَنْ أُمُّكَ ،
فَقَالَ : كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ عَتَرَةِ أُصَيْبٍ بِأَطْرَافِ الزَّمَاحِ فَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ الْفَاكِهِ بْنِ
الْمَغِيرَةِ فَاشْتَرَاهَا أَبِي فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، انْطَلَقَ وَخَذَ مَا جُعِلَ لَكَ عَلَى هَذَا . قَالَ الشَّاعِرُ
قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ * حِلْيَتِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءَ

نَظَرَ مَعَاوِيَةُ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ وَهُوَ يَضْرِبُ غُلَامًا لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتُفْسِدُ أَدَبَكَ بِأَدَبِهِ
فَلَمْ يَرْضَ بِأَبَا غُلَامًا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ . قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : إِنَّكَ لَا تُؤَدِّبُ غُلَامَانِكَ
وَلَا تَضُرُّ بِهِمْ ، قَالَ : هُمُ أَمْنَاؤُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا فَإِذَا نَحْنُ أَخَفْنَاهُمْ فَكَيْفَ نَأْمَنُهُمْ . وَكَانَ
يُقَالُ : « الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهْلُولِ »^(٢) . وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَحْلَمَ مِنْ قَرْخٍ طَائِرٍ .
وَفِي الْإِنْجِيلِ : كُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبُلَهَاءَ كَالْحِمَامِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

إِنِّي لِأَعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا * حَتَّى يَقُولَ رَجَالٌ إِنِّي حُمَقَاءُ
أَخَشَى جَوَابَ سَفِيهِ لَا حَيَاءَ لَهُ * فَسَلِّ ، وَظَنَّ أَنَا نِسْ أَنَّهُ صَدَقًا^(٣)

قَالَ الْأَحْنَفُ : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ وَرُبَّ غَيْظٍ قَدْ تَجَرَّعَتْهُ مَخَافَةٌ^(٤)
مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ . قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي : الْعِزُّ وَالْغَلْبَةُ لِلْحِلْمِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

(١) هَكَذَا بِالْأَصُولِ . وَلَعَلَّهُ « لَا أَحْسَبُكَ » . (٢) فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ « الْجُود » ، وَفِي الْقَتَوَعْرَافَةِ
« الْجَوْل » وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ جَمْعِ الْأَمْثَالِ لِلْيَدَانِ .

(٣) يَهَامِشُ النُّسخَةُ الْقَتَوَعْرَافِيَّةُ : الْفَسْلُ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : الرِّذْلُ الَّذِي لَا مَرْوَةَ لَهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي « أَخَافَ » وَفِي الْقَتَوَعْرَافَةِ « يَخَافُهُ » وَالتَّصْوِيبُ عَنْ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

عليه السلام : أَوَّلُ عَوَظِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَهْلِ . وقال المنصور : عقوبةُ الحليمِ التعريضُ ، وعقوبةُ السفهاءِ التصريحُ .

قال حدثني سهيل قال حدثنا الأصمعي قال : بلغني أن رجلاً قال لآخر : والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشرًا ، فقال له الآخر : لكك إن قلت عشرًا لم تسمع واحدة . قال : وبلغني أن رجلاً شتم عمر بن ذر فقال له : يا هذا لا تُغْرِقْ في شتمنا ودع للصلح موضعًا ، فأتى أمتٌ مُشائمةُ الرجال صغيراً ولن أحياها كبيراً ، وإني لأكافئ من عصى الله فيّ بأكثر من أن أطيع الله فيه . وقال بعض المحدثين

وإن الله ذو حلم ولكن * يقدر الحليم يُنقِذُ الحليمُ
لقد ولت بدولتك الليالي * وأنت معلقٌ فيها ذميمٌ
وزالت لم يعيش فيها كريمٌ * ولا أستغنى بثروتها عديمٌ
فبعدنا لا انقضاء له وشحاً * فغير مصابك الحدث العظيمُ

المدائني قال : كان شبيب بن شيبَةَ يقول : مَنْ سَمِعَ كلمةً يكرهها فسكت عنها أنقطع عنه ما يكره ، فإن أجاب عنها سمع أكثر مما يكره ، وكان يمثل بهذا البيت وتَجَزَعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمَةٍ * وَيُسْتَمُّ أَلْفًا بَعْدَهَا ثُمَّ يَصْبِرُ

قاتل الأحنف في بعض المواطن قتالاً شديداً ، فقال له رجل : يا أبا بحر، أين الحليمُ قال : عند الحَيِّ . وقال مسلم بن الوليد

حَيٌّ لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي جَنَابَاتِهَا * إِذَا هِيَ حُلَّتْ لَمْ يَفُتْ حَلُّهَا ذَحُلُ
أَغْضَبَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ الْأَحْنَفُ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِعِمَامَتِهِ وَتَنَاصَبَا ، فَقِيلَ
لِلْأَحْنَفِ : أَيْنَ الْحِلْمُ الْيَوْمَ ! فَقَالَ : لَوْ كَانَ مِثْلِي أَوْ دُونِي لَمْ أَفْعَلْ هَذَا بِهِ . كَانَ
يَقَالُ : آفَةُ الْحَلِيمِ الضَّعْفُ ، وقال الجعدي

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * بِوَادِرٍ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وقال إياس بن قتادة

تُعاقِبُ أيدينا ويَحْلُمُ رأينا * وَتَشِيْمُ بالأفعال لا بالتكلم

وأنشد الرياشي

إني أمرؤ يذُبُّ عن حريمي * حليبي وتركي اللوم للثيم *
والعلم أحمى من يد الظلوم *

٥

وقال الأحنف : أصبَتْ الحِلْمَ أنصرتني من الرجال . قال أبو اليقظان : كان
المتشمش بن معاوية عم الأحنف يَفْضُلُ في حِلْمِهِ على الأحنف قَبْلُ ، فأمره أبو موسى
أن يَقْسِمَ خَيْلاً في بني تميم فقسّمها ، فقال رجل من بني سعد : مامنك أن تُعْطِيَنِي
فرساً ووثب عليه فَرَسٌ وَجْهَهُ ، فقام إليه قوم لِيَأْخُذُوهُ ، فقال : دَعُونِي وإياه ، إني
لا أَعَانُ على واحد ، ثم انطلق به إلى أبي موسى ، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه
فقال : دَعُ هذا ولكن ابن عمي ساخِطٌ فأَحْمِلْهُ على فرس ، ففعل .

١٠

قيل للأحنف : ما أحلمك قال : تعلّمتُ الحِلْمَ من قيس بن عاصم المِنْقَرِي ، بينا
هو قاعد بِفِئْئَانِهِ مُحْتَبٍ بِكِسَائِهِ ، أُلْتِه جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ وقيل له : هذا
أبنك قتله ابن أخيك ، فوالله ما حلَّ حُبُّوتُهُ حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى ابن له
في المجلس ، فقال له : قم فأطلق عن ابن عمك ووارِ أخاك وأحِلْ إلى أمه مائة من
الإبل فإنها غَرِيْبَةٌ ، ثم أنشأ يقول

١٥

إني أمرؤ لا شائنٌ حَسْبِي * دَنَسٌ يُغَيِّرُهُ ولا أَفْنُ
مِنْ مَنَقَرٍ في بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ * وَالْغُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُصْنُ

(١) كذا في الأصول ولعله «والحلم» . (٢) في الأصلين «عربية» وهو تحريف والتعريب عن

المقد الفريد . (٣) رواه في المقد الفريد :

٢٠

إني امرؤ لا يعلّي حسي * دَنَسٌ يَجُتُّهُ ولا أَفْنُ

خُطَبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ * بِيَضِّ الْوَجْهِ، أَعْفَى لُسُنُ
لَا يَقْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ * وَهُمْ لِحَفِظِ جَوَارِهِ نُظُنُّ

ثم أقبل على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرَابَتَكَ، وَقَطَعْتَ رَحِمَكَ، وَأَقَلَّتْ عَدَدَكَ ،
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَكَ . وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطبيب ، إسلامي

عليك سلامُ الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحمًا
تَحِيَّةَ مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ * إذا زار عن شَحِيطِ بِلَادِكَ سَلَمًا
وما كان قيس هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ * وَلَكِنَّهُ بُلْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وقال الأحنف : لقد آخفتنا إلى قيس بن عاصم في الحِلْمِ كما نُخْتَفِئُ إلى الفقهاء

في الفقه . شتم رجل الأحنف وجعل يتبعه حتى بلغ حَيَّه ، فقال الأحنف : يا هذا
إن كان بقي في نفسك شيء فهايته وأنصرف لا يسمعك بعضُ سُفَهَائِنَا فتلقى ما تَكْرَهُ .
شتم رجل الحسن وأرَبَى عليه ، فقال له : أَمَانَتْ فَمَا أَبْقَيْتَ شَيْئًا ، وما يعلم الله أكثرُ .
قال بعضُ الشعراء

لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُّوا * حَتَّى يَذِلُّوا - وَإِنْ عَزُّوا - لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمْرُوا قَتَرَى الْأَلْوَانِ مُشْرِقَةً * لَا صَفْعَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْعَ أَحْلَامٍ

قال [حدثني] أبو حاتم عن الأصمعي قال : لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ عَشْرَةٌ إِلَّا وَفِيهِمْ مُقَاتِلٌ
وَأَكْثَرُ ، وَيَجْتَمِعُ أَلْفٌ لَيْسَ فِيهِمْ حَلِيمٌ . ابن عيينة قال : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا
أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِشَيْءٍ أَوْ قَوْلٍ سَيِّئٍ لَمْ يُجِبهُ وَقَالَ : أَنَّى أَتْرُكَكَ رَفْعًا لِنَفْسِي عَنْكَ ، بَغْرِي
بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامٌ ، فَاسْرِعْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : خَفِّضْ عَلَيْكَ أَيْهَا
الرَّجُلُ فَإِنِّي أَتْرُكَكَ الْيَوْمَ لِمَا كُنْتَ تَرُكُ لَهُ النَّاسَ .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال رجل : لِمَثَلِ هَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَدْعُ
الْفُحْشَ عَلَى الرِّجَالِ ، فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ : فَإِنِّي أَدْعُ الْفُحْشَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ لِمَا تَرَكْتَهُ

أنت له قبل اليوم . وأغلظ عبدٌ لسيدته ، فقال : إني أصبرُ لهذا الغلام على ما ترونَ
لأروضَ نفسي بذلك ، فإذا صَبَرْتُ للملوك على المكروه كانت لغير المملوك أصبر .

كلم عمر بن عبد العزيز رجلاً من بني أمية وقد ولدته نساء بني مرة فعاب عليه جفاءً
رآه منه ، فقال : قُبِحَ الله شَبْهاً [غلب] عليك من بني مرة ، وبلغ ذلك عَقِيلَ بن عُلْفَةَ
المُرِّي وهو يَجَنَّفَاء من المدينة على أميال في بلد بني مرة ، فركب حتى قَدِم على عمر

وهو بَذِير سَمْعَان ، فقال : هيه يا أمير المؤمنين ! بلغني أنك غضبت على فتي من بني
أبيك ، فقلت : قُبِحَ الله شَبْهاً غلب عليك من بني مرة ، وإني أقول : قُبِحَ الله الأُمَ

طرفيه ، فقال عمر : دَعْ ويحك هذا وهات حاجتك . فقال : والله مالي حاجة غير
حاجته ، وولِّي راجعاً من حيث جاء ، فقال عمر : ياسبحان الله ! من رأى مثل هذا

الشيخ ؟ جاء من جنفاء ليس إلا يَشْتِمُنَا ثم أنصرف ! فقال له رجل من بني مرة : إنه
والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه ، نحن والله الأُم طرفيه .

المدائني قال : لما عزل الحجاج أمية بن عبد الله عن خراسان أمر رجلاً من بني
تميم فعابه بخراسان وشنع عليه ، فلما قفل لقيه التيمي فقال : أصلح الله الأمير
لا تَلْمِني فإنني كنت مأموراً ، فقال : يا أخا بني تميم أَوَحَدَثَكَ نفسك أني وَجَدْتُ
عليك ؟ قال : قد ظننتُ ذاك ، قال : إن لنفسك عندك قَدْرًا ! . كان يقال : طيروا

دماء الشباب في وجوههم : ويقال : الغضب غُولُ الحلم . ويقال : القدرة تُدْهِبُ
الحَفِيزَةَ . وكتب كَسْرَى أَبْرُويز إلى ابنه شيرويه من الحبس : إن كلمة منك
تَسْفِكُ دماً ، وإن كلمة أخرى منك تَحْقِنُ دماً ، وإن سَخَطَكَ سيوفك مسلولةً على
من سَخَطْتَ عليه ، وإن رضاك بركة مستفيضة على من رَضِيت عنه ، وإن نَفَاذَ

(١) زيادة في المقد الفريد .

(٢) رسم في النسخة الفتوغرافية هكذا «حاجه» ولعل النسخ حرفها عن «هذه» كما يقتضيا السياق .

(٣) لعله «وان سخطك سيوف مسلولة الخ» بالتكثير ليتناسب في السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك ، فاحترس في غضبك من قولك أن يُخطئ ومن لؤك أن يتغير ومن جسدك أن يخف ، وإن الملوك تُعاقب قدرة وحزما ، وتعفو تفضلا وحلما ، ولا ينبغي للقادر أن يستخف ولا للحليم أن يزهو ، وإذا رضيته فأبلغ بمن رضيته عنه يحرض من سواء على رضاك ، وإذا سخطت فضع من سخطت عليه يهرب من سواء من سخطك ، وإذا عاقبت فأنهك^(١) لئلا يتعرض لعقوبتك ، وأعلم أنك تجل عن الغضب وأن غضبك يصغر عن ملكك ، فقدّر لسخطك من العقاب كما تقدّر لرضاك من الثواب . قال محمد بن وهيب

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنني * إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم * ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويي فإني مقوم * ومن رام تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خذنا وصاحبنا * ولكنني أرضى به حين أخرج
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله * وأمكن من بين الأسنة مخرج
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا ، والذل بالحر أشمج

وقال ابن المقفع : لا ينبغي للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته ، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد ، ولا يخجل لأنه لا يخاف الفقر ، ولا يتحقد لأن خطره قد جلّ عن المجازاة . قال سويد بن الصامت^(٢)
إني إذا ما الأمر بين شكك * وبدت بصائر لمن يتأمل
أدع التي هي أرفق الحالات بي * عند الحفيظة التي هي أجمل

أتى عمر بن عبد العزيز رجل كان واجدا عليه . فقال : لو لا أني غضبان لعاقبتك ، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام ، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه شاقبه ،

(١) نهك السلطان : بالغ في العقوبة . (٢) في الأثنى ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام .

كراهة أن يَجَلَّ عليه في أول غضبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنا الآن منك اليوم ما تناله متى غدا ، انصرف رحمك الله . قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنَّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضى لم يُخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا غضب لم يُخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فدعه .

خطب معاوية يوما فقال له رجل : كذبت ، فزل مُغَضِّبا فدخل منزله ، ثم خرج عليهم تقطر لحيته ماء ، فصعد المنبر فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان من النار ، فإذا غضب أحدكم فليطفيه بالماء ، ثم أخذ في الموضع الذي بلغه من خطبته . وفي الحديث المرفوع : «إذا غضب أحدكم فإن كان قائما فليقعده وإن كان قاعدا فليضطجع» ، وقال الشاعر

إحذر مغايظ أقوام ذوى أنف * إن المغيظ جهول السيف مجنون
وقال عمر بن عبد العزيز : متى أشفي غيظي ؟ أحين أقدر فيقال لي : لو عفوت ،
أو حين أنجز فيقال لي : لو صبرت ؟ ، والعرب تقول : «إن الرئثة ^(١) مما يفتأ الغضب»
والرئثة اللبن الحامض يُصبُّ عليه الحليب ، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولي سلم بن قتيبة البصرة وولى مولى له كور البصرة والأبلة ، فورد كتاب مولاه أن سلما ضربه بالسياط ، فاستشاط المنصور وقال : على تجزأ سلم ! لأجعلنه نكالا ، فقال ابن عياش — وكان جريئا عليه — يا أمير المؤمنين ، إن سلما لم يضرب مولاه بقوة ولا قوة أبيه ، ولكك قلدته سيفك وأصعدته منبرك ، فأراد مولاه أن يطأطئ منه مارفعت ويفسد ما صنعت ، فلم يحتمل ذلك ، يا أمير المؤمنين

(١) في الأصل «الرئثة» وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، وهو مثل . ونصه كما في اللسان وجمع الأمثال للبدائي «إن الرئثة تفتأ الغضب» وفتأ الغضب سكتة وكسر حذته .

إِنْ غَضِبَ الْعَرَبِيُّ فِي رَأْسِهِ فَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَهْدَأْ حَتَّى يُخْرِجَهُ بِلِسَانٍ أَوْ يَدٍ، وَإِنْ غَضِبَ النَّبَطِيُّ فِي آسَتِهِ فَإِذَا غَضِبَ [و] نَحَرِيٌّ ذَهَبَ غَضِبُهُ، فَضَحَكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ :
فَعَلَ اللَّهُ بِكَ يَا مَمْتُوفٌ وَفَعَلَ، فَكَفَّ عَنْ سَلِيمٍ .

كَانَ يُقَالُ : إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ فَإِنَّهَا مُصِيرَتُكَ إِلَى ذَلِّ الْعِزَّةِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ * كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَجُلٍ فَوَقَعَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، فَأَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ
فَأَخْبَرْتُهُ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ بِهِ ، فَقَالَ : لَعَلَّ الَّذِي غَضِبْتَ لَهُ لَوْ سَمِعَهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

بَابُ الْعِزِّ وَالذَّلِّ وَالْهَيْبَةِ

أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ السَّكَنِ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
لِزَيْدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ : فِيمَنْ الْعِزُّ بِالْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ : فِينَا وَفِي حُلَفَائِنَا مِنْ رِبِيعَةٍ ، فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعِزُّ فِيمَنْ يُحَوَّلَفَ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَتْ قُرَيْبَةُ : إِذَا كُنْتُ فِي غَيْرِ قَوْمِكَ فَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الذَّلَّةِ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَشَيْخٍ مِنْهُمْ : عَلَّمَنِي الْحِلْمَ ، قَالَ : هُوَ يَا بَنَ أَخِي الذَّلُّ ، أَتَصْبِرُ عَلَيْهِ ؟ . وَقَالَ
الْأَحْنَفُ : مَا يَسُرُّنِي بِنَصِيْبِي مِنَ الذَّلِّ حُمُرُ النَّعَمِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنْتَ أَعَزُّ
الْعَرَبِ ، فَقَالَ : إِنْ النَّاسَ يَرَوْنَ الْحِلْمَ ذَلًّا ، فَقُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ أَنَّ الرِّيحَ الْعَاصِفَ تَحْطِمُ دَوْحَ الشَّجَرِ وَمُشِيدَ الْبَنِيَانِ وَيَسْلُمُ
عَلَيْهَا ضَعِيفُ النَّبْتِ لِلْيَنَةِ وَتَثْنِيهِ . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ : «تَطَاطَأُ لَهَا تُخَطِّطُكَ» . وَقَالَ
زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ حِينَ نَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ هِشَامٍ مُغْضَبًا : مَا أَحَبُّ أَحَدًا قَطَّ
الْحَيَاةَ إِلَّا ذَلًّا ، وَتَمَثَّلَ

شَرْدَهُ الْخُوفُ وَأَزْرَى بِهِ * كَذَلِكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَ الْجَلَادِ

منخرق الحُفَّين يشكو الوَجَى * تنكبه أطراف مَرِّ وحداد
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الهوان، حمار البيت يعرفه * والمرء ينكره والجسرة الأجد^(١)
ولا يُقيم بدار الذلَّ يعرفها * إلا الحمار حمار الأهل والوتد^(٢)

وقال الزبير بن عبد المطلب

ولا أقيم بدار لا أشدُّ بها * صوتي إذا ما أعتزني سورة الغضب

وقال آخر

إذا كنت في قومٍ عدا لست منهم * فكلُّ ما علفت من خبيث وطيب

وقال العباس بن مرداس

أبلغ أبا سلمٍ رسولا نصيحة * فإن معشر جادوا بعرضك فابخل
وإن بؤءوك منزلا غير طائل * غليظا فلا تنزل به وتحول
ولا تطعن ما يعلفونك إنهم * أتوك على قربانهم بالمثل
أراك إذن قد صرت للقوم ناصحا * يقال له بالغرب أذير وأقبل

وقال آخر

فأبلغ لديك بنى مالك * على نايها وسراة الرباب
بأن أمراً أنتم حوله * تحفون قبته بالقباب
يهين سرائكم عامدا * ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم إبلا أملت^(٢) * لقد نزعت للمياه العذاب
ولكنكم غم تصطفى * ويترك سائرها للذئاب

(١) ناقة أجد : قوية موثقة الخلق منصلة فقار الظهر، خاص بالاناث . قاموس .

(٢) يقال : أملت الابل أى وردت ماء ملحا وفي الأصل أملت بالجم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آنحر

تالله لولا أنكسار الرُّح قد علموا * ما وجدوني ذليلا كالذي أجد
قد يُحطّم الفحل قسرا بعد عزته * وقد يردّ على مكروهه الأمد

وقال بعض العبّدين

٥ ألا أبلغا خُلّي راشدا * وصنوي قديما إذا ما اتصل
بأن الدقيق يهيجُ الجليل * وأن العزيز إذا شاء ذلّ
وأن الحزامة أن تصرفوا * لحى سوانا صُدر الأسل
فان كنت سيدنا سُلتنا * وإن كنت للخال فأذهب نخل

وقال البعيث

١٠ ولو تُرمي بلؤم بني كليب * نجوم الليل ما وُصّحت لِسارى
ولو ليس النهار بنو كليب * لدُسّ لؤمهم وُضِعَ النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب * ليطلب حاجة إلا يجار

جاور ابنُ سَيَّابَةَ مولى بني أسد قوماً فازعجوه، فقال لهم : لم تُزعجونى من جواركم؟
فقالوا : أنت مُريب، فقال : فمن أذلّ من مريب ولا أحسنُ جوارا . أبو عبيدة
١٥ عن عَوَانَةَ قال : إذا كنت من مُضر ففاخرُ بكَانَةَ وكَاثِرُ بَهِيمِ وألّقِ بَقَيْسَ ، وإذا كنت
من قُطان فكاثرُ بَقَضَاءَ وفاخرُ بِمَذِجِ وألّقِ بِكَلْبِ ، وإذا كنت من ربيعة ففاخر
بشبيان وألّقِ بِشبيان وكَاثِرُ بِشبيان . كان يقال : مَنْ أراد عِزًّا بلا عَشيرة وهيبةً بلا
سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عز طاعة الله . قيل لرجل من العرب : مَنِ
السَّيِّدُ عندكم ؟ قال : الذى إذا أقبل هَبْنَاهُ وإذا أدبر أَعْتَبْنَاهُ . ونحوه قول مسلم
٢٠ وكم من مُعَدٍّ فى الضميرِ لِى الأذى * رآنى فالقِ الرعبُ ما كان أضمرأ

وقال أيضا

يا أيها الشاتمي عِرْضى مُسَارَقَةً * أعلن به ، أنت إن أعلتَه الرجلُ

ومن أحسن ما قيل في الهيبة

في كفه خَيْرَانِ رِيحُهَا عِيقٌ * من كف أرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمٌ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ * فما يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ

وقال ابن هريرة في المنصور

له لَحَظَاتٌ عَنْ حَفَاقِ سَرِيرِهِ * إِذَا كَتَرَهَا فِيهَا عَقَابٌ وَنَائِلُ
فَأَمَ الَّذِي آمَنَتْ أَمْنُهُ الرَّدَى * وَأَمَ الَّذِي أَوَعَدَتْ بِالشُّكْلِ ثَاكِلُ
كَرِيمٍ لَهُ وَجْهَانِ وَجْهَ لَدَى الرِّضَا * أَسِيلٌ، وَوَجْهٌ فِي الْكَرِيهَةِ بَاسِلُ
وَلَيْسَ بِمُعْطَى الْعَفْوِ عَنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ * وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكَّتْهُ الْمَقَاتِلُ

وقال آخر في العفو بعد القدرة

أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ * مَا إِنْ يَلِيكَ وَلَا يَهُونُ
فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ * فَهَنَّاكَ أَحْلَمَ مَا يَكُونُ

وقال آخر في مالك بن أنس

يَا بِي الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَابِ
هَدَى التَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ الْتَقَى * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

وقال آخر

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ * خُضَّعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

وقال أبو نواس

أُضْمِرُ فِي الْقَلْبِ عَنَابًا لَهُ * فَإِنْ بَدَأَ أُتْسِيْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ

آلِدَائِي قَالَ : قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ الْقَاضِي لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ لَا تُمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ،

فَإِنْ أَجْرَأَ النَّاسَ عَلَى السَّبَاعِ أَكْثَرُهُمْ لَهَا مُعَايِنَةً ، قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ تَقُوبُ :

اسْتَخَذَاتُ أَوْ اسْتَخَذَيْتُ؟ قَالَ : لَا أَقُولُهُ ، قِيلَ : وَلَمْ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَسْتَخْذِي .

وَكَانَ يُقَالُ : اصْفَحْ أَوْ أَذْبَحْ .

(١) في المقد الفريديج ١ ص ٢٠٢ : هَدَى الْوَقَارِ .

باب المروءة

في الحديث المرفوع : قام رجل من مجاشيع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
 يا رسول الله، ألسنتُ أفضل قومي؟ فقال : «إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان
 لك خُلُق فلك مروءة، وإن كان لك مال فلك حَسَب، وإن كان لك بُقْي فلك
 دين» وفيه أيضا «إن الله يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُور وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» . روى كثير بن هشام
 عن الحكم بن هشام الثَّقَفِي قال : سمعت عبد الملك بن عُمر يقول : إن من مروءة
 الرجل جلوسه ببابه . قال الحسن : لا دين إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة : ما المروءة؟
 قال : إصلاح المال، والرِّزَانَةُ في المجلس، والغداء والعشاء بالفناء . قال إبراهيم :
 ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشي . ويقال : سرعة المشي
 تُذهِبُ بهاءَ المؤمن .

١٠

قال معاوية : المروءة ترك اللذة . وقال عمرو : ما أُلذُّ الأشياء ؟ فقال عمرو : مُرُ
 أحداث قريش أن يقوموا ، فلما قاموا قال : إسقاطُ المروءة . قال جعفر بن محمد
 عن أبيه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَرَأَوْا الذَّوِيَّ الْمُرُوءَاتِ عَنْ عَثَرَاتِهِمْ ،
 فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ أَحَدَهُمْ لَيَعِثُّ وَإِنْ يَدُهُ لَفِي يَدِ اللَّهِ» . كان عمرو بن الزبير يقول
 لولده : يَا بَنِيَّ أَلْعَبُوا ، فَإِنَّ الْمُرُوءَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ اللَّعْبِ . قيل للأحنف : ما المروءة؟
 فقال : الْعِفَّةُ وَالْحِرْفَةُ . قال محمد بن عُمَرَانُ التَّيْمِيُّ : مَا شَيْءٌ أَشَدَّ حِمْلًا عَلَى مَنْ الْمُرُوءَةُ ،
 قِيلَ : وَأَيُّ شَيْءٍ الْمُرُوءَةُ ؟ قَالَ : لَا تَعْمَلُ شَيْئًا فِي السِّرِّ تَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي الْعِلَانِيَةِ .
 وقال زهير في نحو هذا

١٥

السُّتُرُودُونَ الْفَاحِشَاتِ ، وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ

٢٠

(١) كذا في الأصول ، وفي العقد الفريد «تجاوزوا» .
 (٢) في الأصول «المروءة» والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آنح

فيسرى كإعلاني ، وتلك خليقتي * وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا

قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة ، وتعلموا النسب
فرب رَجِمَ مجهولة قد وُصِلت بنسبها . قال الأصمعي : ثلاثة تحكّم لهم بالمروءة حتى
يُعرفوا : رجل رأيتُه راجبا ، أو سمعته يُعرب ، أو شمت منه رائحة طيبة . وثلاثة
تحكّم عليهم بالدناءة حتى يُعرفوا : رجل شمت منه رائحة نبذ في تحفيل ، أو سمعته يتكلم
في مصرع عربي بالفارسية ، أو رأيتُه على ظهر الطريق ينازع في القدر . قال ميمون .
أبن ميمون : أول المروءة طلاقة الوجه ، والثاني التودد ، والثالث قضاء الحوائج .
وقال : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه . قال مسلمة بن عبد الملك :
مروءتان ظاهرتان : الرياسة والفصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة
التياب الطاهرة . قالوا : كان الرجل إذا أراد أن يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره .
وقال بعض الشعراء

نومُ الغداة وشربُ العشيَّات * موكلان بتهديم المروءات

باب اللباس

حدثني محمد بن عبيد قال ، حدثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس
عن ابن عباس ، قال : كُلُّ ما شئتَ والبس ما شئتَ إذا ما أخطأك شيئان : سرف
أو نخيلة .

قال حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مصعب
عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت ملحفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التي يلبس في أهله موزسة حتى إنها لتردع ^(١) على جلده .

(١) مصبوغة بالورس وهو بنت أصفر باليمن . وفي الأصول : "موزسة" بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) تنفض صيفها .

حدثني أبو الخطاب ، قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا المختار بن نافع عن
إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما
إزارا فيه إحدى وعشرون رقعة من آدم ورقعة من ثيابنا .

حدثنا الزبدي قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الحريري عن ابن عباس ،
قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأديم . نظر معاوية
إلى النخار العذري الناسب في عباءة فازدراه في عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن
العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . قال سحيم بن وثيل
ألا ليس زين الرجل قطعا يمزق * ولكن زين الرجل يامى راحته

وقال آخر

إياك أن تزدري الرجال فما * يدريك ماذا يكنه الصدف
نفس الجواد العتيق باقية * يوما وإن مس جسمه العجف
والحر حر وإن ألم به الضر وفيه العفاف والأنف

وقال آخر من المحدثين

تعجبت دُر من شبي فقلت لها * لا تعجبي قد يلوح الفجر في السدف
وزادها عجباً أن رُحْتُ في سَميل * وما دَرْتُ دُر أن الدر في الصدف

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى برؤسا من عمر بن أنس بن
سيرين فتر على معاذة العدوية ، فقالت : أمثلك يلبس هذا ! قال : فذكرت ذلك
لأبن سيرين فقال : ألا أخبرتها أن تميا الداري اشترى حلة بألف يصلى فيها .

(١) كذا في النسختين .

(٢) في الاصل : الا أخبركم . والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٤٨

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا مُصعبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداءً وعمامةً .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا علي بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشَّيباني قال : رأيتُ محمدَ ابن الحنفية واقفا بعرفات على يردون عليه مطرفٌ نحرًا صفرُ . ٥

حدثني الراشي عن الأصمعي عن حفص بن الفراء^(١) قال : أدركتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيق بن ثور فمن دونه وآنيتهم في بيوتهم الخفاف والعساسة فإذا قعدوا بأفئتهم ليسوا الأكسية وإذا أتوا السلطان ركبوا وليسوا المطارف .

قدم حماد بن أبي سليمان البصرة بغاء فرقد السبخي وعليه ثياب صوف فقال حماد : ضع نصرانيتك هذه عنك ، فلقد رأيتنا ننتظر إبراهيم فيخرج علينا وعليه مصفرة وتحن نرى أن الميتة قد حلت له . ١٠

وروى زيد بن الحباب عن الثوري عن ابن جريح عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يرتدي رداءً بألف . قال معمر : رأيت قميصَ أيوب يكاد يمس الأرض ، فكلَّمته في ذلك فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنما اليوم في تسميره . ١٥

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال : جاء سيَّار أبو الحكم إلى مالك بن دينار في ثيابٍ أشهرها مالك^(٢) ، فقال له مالك : ماهذه الشهرة؟ فقال له سيَّار : أتضعني عندك أم ترفعني؟ قال : بل تضعك ، قال : أراك تنهاني عن التواضع ، فترى مالك فقعد بين يديه .

٢٠ (١) في لسان العرب : كل ما في العرب فراصة بضم الفاء الافراصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمه الله فانه بفتح الفاء لا غير . (٢) أشهرها : شنع بها .

قال أبو يعقوب الحريري : أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعيّ فندفع إلى خادم كيسا فيه ألف دينار وقال : إني سأزل في رجعتي إلى الأصمعيّ وسيحدثني ويضحكني فإذا ضحكك فضع الكيس بين يديه ، فلما رجع ودخل عليه رأى حبا مكسورا الرأس وجرّة مكسورة العتي وقصعة مشعبة وجفنة أعشارا وراه على مصلى بال وعليه برّكان^(٢) أجرد فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ولم يدع الأصمعيّ شيئا مما يضحك التكلان إلا أورده عليه فما تبسم وخرج ، فقال لرجل كان يسايره : "من استرعى الذئب ظلم" ومن زرع سبعة حصد الفقر ، فإني والله لو علمت أن هذا يكتّم المعروف بالفعل لما حقلت نشره له باللسان ، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغنى ، لأن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب . والله در نصيب حيث يقول

١٠

فعا جوا فاثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

. ثم قال له : أعلمت أن ناووس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .

قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن : رأيت مشيخة بالمدينة في زى الفتيان لهم الغدائر وعليهم المورّد والمعصفر وفي أيديهم الخاضع وبها أثر الحناء ، ودين أحدهم أبعده من

الثريا إذا أريد دينه . ذم ابن التوهم رجلا فقال : رأيت مشحّم النعل دبر الجورب مغضن الخلف دقيق الخزامة . أنشد ابن الأعرابي

فإن كنت قد أعطيت نرا تجره * تبدلت من فروة وإهاب

فلا تأيسن أن تملك الناس إني * أرى أمة قد أدبرت لذهب

قال أيوب يقول الثوب : أطوني أجملك . هشام بن عمرو عن أبيه قال ، يقول

المال : أرنى صاحبي أعمر ، ويقول الثوب : أكرمني داخلا أكرمك خارجا .

٢٠

(١) في اللسان وغيره : الحب الخالية فارسيّ معرب . (٢) كساء أسود .

ويقال : لكل شيء راحة ، فراحة البيت كنسه ، وراحة الثوب طيه . قيل لأعرابي :
إنك تكثير لبس العيامة ، فقال : إن عظمًا فيه السمع والبصر لحدير أن يكن من الحر
والقر . ويقال : حبي العرب حيطانها ، وعمائمها تيجانها . وذكروا العيامة عند
أبي الأسود الدؤلي فقال : جنة في الحرب ، وميكنة في الحر والقر ، وزيادة في القامة ،
وهي بعد عادة من عادات العرب ، وقال طلحة بن عبيد الله : الدهن يذهب البؤس ،
والكسوة تظهر الغنى ، والإحسان إلى الخادم مما يكبت الله به العدو .

أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال : سمعت أعرابيا يقول : لقد رأيت بالبصرة
برودا كأنما نصحت^(١) بأنوار الربيع وهي ترع ، واللابسوها أرع . قال يحيى بن خالد
للعنابي في لباسه — وكان لا يبالي ما ليس — : يا أبا علي أنزى الله أمراً رضى أن يرفعه
هيئته من جماله وماله ، وإنما ذلك حظ الأدياء من الرجال والنساء ، لا والله حتى يرفعه
أكبراه : همته ونفسه ، وأصغراه : قلبه ولسانه . وفي الحديث المرفوع : "إن الله
إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى أثرها عليه" . قال حبيب بن أبي ثابت : أن
تعز في خصفة خير لك من أن تنزل في مطرف ، وما أقترضت من أحد خير من أن
أقترض من نفسي . قال عمرو بن معديكرب

ليس آجال بمثري * فأعلم وإن رديت بردا

إن آجال معادن * وموارث أورثت بجدا

وقال ابن هرمة

لو كان حولي بنسوا مية لم * ينطق رجال إذا هم نطقوا

إن جلسوا لم تضق مجالسهم * أوركبوا ضاق عنهم الأفق

كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَخٍ وَذِي ثِقَةٍ * عَنْ مَنِيَّهِ الْقَمِيصُ مُنْخَرِقُ
تَجْهَتُهُمْ عُوْدَ النِّسَاءِ إِذَا * مَا أَحْمَرَتْ تَحْتَ الْقَوَانِيسِ الْحَدَقُ
فَرِيحُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أُنْدَى مِنْ أَلْسَمِكَ وَفِيهِمْ لِحَابِيطُ وَرَقُ

قال حدثني أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبي سعد المخزومي الشاعر

كردوانيا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد ، هذا خير ؟ فقال : لا ، ولكنه
دَعِيَ على دَعِي ، وكان أبو سعد دعيا في بني مخزوم ، وفيه يقول أبو البرق

لَمَّا تَاهَ عَلَى النَّاسِ * شَرِيفُ يَا أَبَا سَعْدِ

فَتَيْهِ مَا شِلْتِ إِذْ كُنْتَ * بِلَا أَصْلٍ وَلَا جَدِّ

وَإِذْ حَظُّكَ فِي النَّسَبِ بَيْنَ الْحَزِّ وَالْعَبْدِ

وَإِذْ قَاذَفُكَ الْمُفْحِشُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْحَدِّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه : كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤذيني ؟ قال :

أَحْسَنُ طَاعَةٍ ، قَالَ : فَأَطِئْنِي الْآنَ كَمَا كُنْتُ أَطِيعُكَ ، خَدْتُ مِنْ شَارِبِكَ حَتَّى تَبْدُوَ

شَفْتَاكَ ، وَمِنْ ثَوْبِكَ حَتَّى يَبْدُوَ عَقِبَاكَ . وكيع قال : راح الأعمش إلى الجمعة وقد

قَلَبَ فُرُوءَ جِلْدِهَا عَلَى جِلْدِهِ وَصَوَّفُهَا إِلَى خَارِجٍ ، وَعَلَى كَتِفَيْهِ مَبْدِيلُ الْحَيَوَانَ مَكَانَ

الرِّدَاءِ . قال حدثني أبو الخطاب عن أبي داود عن قيس عن أبي حصين قال : رأيت

الشَّعْبِيَّ يَقْضِي عَلَى جِلْدٍ . قال الأحنف : أَسْتَجِيدُوا النَّعَالَ فَانْهَا خَلَاخِيلَ الرِّجَالِ .

أبو الحسن المدائني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم في مَدْرَعَةٍ

صَوَّفَ فَقَالَ لَهُ قَتِيبَةُ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى لُبْسِ هَذِهِ ؟ فَسَكَتَ ، فَقَالَ لَهُ قَتِيبَةُ : أَكَلَمَكَ

فَلَا تَجِيبُنِي ! قَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ زَهْدًا فَأُزَكِّي نَفْسِي ، أَوْ أَقُولَ فَقْرًا فَأُشْكِرَ رَبِّي .

(١) في الأصول : " سعيد " والتصويب عن الأغاني وهو الموافق لما في البيت الأول .

قال ابن السَّمَّالِكِ لأصحاب الصوف : والله إن كان لبأسكم هذا موافقا لسرائركم لقد أحببت أن يطّلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدثين يعتذر من أظمار عليه

فما أنا إلا السيفُ يا كل جفنه * له حليّة من نفسه وهو عايطُ

التَّخْتُمُ

قال حدثني أبو الخطاب زياد بن يحيى الحَسَّانِي قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم تختم في يمينه .

قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سهل بن حماد قال حدثنا أبو خَلْدَةَ خالد بن دينار قال : سألت أبا العالِيَةَ ما كان نقشُ خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : «صَدَقَ اللهُ» قال : فألقى الخلفاء بعد صدق الله «محمد رسول [الله]»^(١) .

قال أبو الخطاب حدثنا عَتَّابٌ قال حدثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر الشيء أوثق في خاتمه خيطا .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علي كان من وِريقِ نقشه «نِعَمَ الْقَادِرُ اللهُ» . كان علي خاتم علي بن الحسين بن علي «عَلِمَتْ فَأَعْمَلْ» . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علي «تَبَارَكَ مَنْ

(١) زيادة لم توجد بالأصل وأصلها سقطت من النسخ . ويؤيده ما في «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني في رواية ابن سعد عن أبي العالِيَةِ : أن نقش خاتمه «صدق الله» ثم ألقى الخلفاء «محمد رسول الله» . أنظر ج ٥ ص ٥٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فانا لم نجد في شيوخ أبي الخطاب إلا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آنفا . وقد جاءت الرواية عنه في أول سطر من صحيفة ٢٩٧ بكنيته أبي عتاب .

نَحْرِي بِأَنِّي لَهُ عَبْدٌ، وَنَقُشُ خَاتَمِ شَرِيحٍ «الْخَاتَمُ خَيْرٌ مِنَ الظَّنِّ». وَنَقُشُ خَاتَمِ طَاهِرٍ
«وَضَعُ الْخَلْدَ لِلْحَقِّ عِزًّا». وَكَانَ لِأَبِي نَوَاسٍ خَاتَمَانِ : أَحَدُهُمَا عَقِيقٌ مَرْبِيعٌ وَعَلَيْهِ
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا عَدَّتْهُ * بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا .
وَالْآخَرُ حَدِيدٌ صَبِينِي مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : «الْحَسَنُ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا»
فَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُقْلَعَ الْفُصُّ وَيُغْسَلَ وَيُجْعَلَ فِي فَمِهِ .

باب الطيب

- قال حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن
أبي عثمان النهدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير طيب الرجال ما ظهر
ريحه وخفي لونه ، وخير طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه» .
- ١٠ حدثنا القطيعي قال حدثنا بشر عن ابن لهيعة قال حدثني بكير عن نافع : أن ابن
عمر كان يستجمر بعود غير مطري ويعمل معه الكافور ويقول : هكذا كان رسول
الله يستجمر .
- قال حدثنا زياد بن يحيى قال حدثنا زياد بن الربيع عن يونس ، قال قال أبو قلابة :
كان ابن مسعود إذا نرج إلى المسجد عرف جيرانه ذلك بطيب ريحه .
- ١٥ حدثني القومسي قال حدثنا أبو نعيم عن شقيق عن الأعمش قال قال أبو الضحى :
رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال .
- قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو قتبية وأبو داود عن الحسن بن زيد الهاشمي
عن أبيه قال : رأيت ابن عباس حين أحرم والغالية على صلته كأنها الرب .
- قال حدثني أحمد بن الحليل عن عمرو بن عون عن خالد عن عمرو بن يحيى عن
محمد بن يحيى بن حبان قال : كان عبد الله بن زيد يتخلق بالخلوق ثم يجلس في المجلس .
- ٢٠

وحدثني أيضا عن سويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل عن عُمارة بن غزيرة قال :
لما أُولمَ عمرُ بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة
الغالية .

قال وحدثني عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله
ابن أبي جعفر عن الأعرج ، قال : قال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ فإنه طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ الْحِمْلِ » .

قال حدثني زيد بن أنعم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أنس بن مالك قال حدثنا
عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَيِصِّصِ الطَّيِّبِ
فِي مَقَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال
[قال] عكرمة : كان ابن عباس يطلي جسده بالمسك فاذا مرَّ بالطريق قال ابن عباس :
(٢)

أمر ابن عباس أم مر المسك ، قال المسيب بن علس يمدح بني شيبان

تَبَيَّتُ الْمُلُوكَ عَلَى عَثَبِهَا * وَشِيْبَانُ إِن غَضِبَتْ تَعْتَبُ

وَكَاثِلُ شَهْدٍ بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ * وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهُمَا أَعْدَبُ

وَكَاثِلُ سِكِّ تَرْبُ مَقَامَاتِهِمْ * وَتَرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال ١٥

وَأَنْتَ إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَا * بَ صَارَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيْبَا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما

الْمَطْعِمُونَ إِذَا مَا أَزْمَةُ أَزَمَتْ * وَالطَّيِّبُونَ ثِيَابًا كُلُّهَا عَيْرُ قُوا

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة الفتوغرافية فالعمل فيها

محذوف سورا . ٢٠

(٢) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأنشد ابن الأعرابي

خَوْدُ يَكُونُ بِهَا الْقَلِيلُ تَمْسُهُ ^(١) * مِنْ طَيْبِهَا عَيْقًا يَطِيبُ وَيَكْثُرُ
شَكَرَ الْكَرَامَةَ جِلْدُهَا فَصَفَا لَهَا * إِنَّ الْقَبِيحَةَ جِلْدُهَا لَا يَشْكُرُ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ذَكَرَ لأَيُّوبَ هؤلاء الذين يتقشّفون فقال :

ما علمتُ أن القدرَ من الدين .

باب المجالس والجلساء والمحادثات

قال حدثني أحمد بن الخليل عن حبان بن موسى قال حدثنا ابن المبارك عن معمر

عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«الرجلُ أحقُّ بمجلسه إذا قام لحاجةٍ ثم رجع» .

وحدثني أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المسيّب بن رافع عن

عبد الله بن يزيد الخطمي عن عبد الله بن الغسيل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«المرءُ أحقُّ بصدر بيته وصدر دابته وصدر فراشه ، وأحقُّ أن يؤمَّ في بيته» .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر

محمد بن علي قال : ألقى لعلّ وسادةً بجلّس عليها وقال : إنه لا يأبى الكرامة إلا حمارٌ .

وفي الحديث المرفوع عن أبي موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ

الجلّيس الصالح مَثَلُ الدَّارِئِ ^(٢) إِنْ لَمْ يُحَذِّكْ مِنْ طَيْبِهِ عَلَّقَكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ الْجلّيس
السوء مَثَلُ الْكَبِيرِ إِنْ لَمْ يَحْزِفْكَ بِشَرِّهِ نَارُهُ عَلَّقَكَ مِنْ نَفْثِهِ» ، قال أبو إدريس الخولاني :

(١) في النسخة الألمانية : النليل وفي الفتوغرافية : الليل ، وكلاهما محزوف عن «القليل» اذ هو الذي

يقنضيه السياق .

(٢) أحذاه : أعطاه .

المساجدُ مجالسُ الكرام . قال الأحنف : أطيبُ المجالس ما سافرَ فيه البصرُ وَاَتَدَّع^(١)
فيه البدنُ ، فأخذه عليّ بن الجهم فقال

صُحُورٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعْيُونُ * وَتَحْسِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا

وقال المهلب : خيرُ المجالس ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْفِ وكثرت فيه فائدةُ المجلس .
قيل للأوسية : أَيْ مَنْظَرٌ أَحْسَنُ ؟ فقالت : قصورٌ بِيضٌ في حدائقٍ خُضِرَ . ونحوه
قول عديّ بن زيد

كُدُمِي الْعَاجَ فِي الْحَارِيبِ أَوْ كَالشَّيْخِ فِي التَّرْوِضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرٌ

حدثنا سهل بن محمد قل حدثنا الأصمعيّ قال : كان الأحنف إذا أتاه إنسان
أوسع له ، فإن لم يجد موضعا تحركَ لِيُرِيَهُ أَنَّهُ يُوسِعُ لَهُ . وكان آخرَ لا يُوسِعُ لأحد
ويقول «ثَلَانُ ذَوَالْهَضَبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ^(٢)» .

قال ابن عباس : جليسي عليّ ثلاثٌ : أن أَرِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ ، وأن أُوَسِّعَ
له إِذَا جَلَسَ ، وَأُصْنِغِي إِلَيْهِ إِذَا تَحَدَّثَ . وقال الأحنف : ما جلستُ مجلساً نخفت أن
أُقَامَ عَنْهُ لغيري . وكان يقول : لَأَنْ أَدْعَى مِنْ بَعِيدٍ فَأُجِيبَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
أُقَصَّى مِنْ قَرِيبٍ .

كان القَعْقَاعُ بن شُورٍ إِذَا جَالَسَهُ رَجُلٌ فَعَرَفَهُ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ جَمَلَ لَهُ نَصِيحاً فِي مَالِهِ ،
وَأَعَانَهُ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَشَفَعَ لَهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَغَدَا إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَجَالَسَةِ شَاكِراً . وَقَسَمَ مَعَاوِيَةَ
يَوْمَ مَا آتِيَتْهُ فَضِيَّةٌ وَدَفَعَ إِلَى الْقَعْقَاعِ حَظَّهُ مِنْهَا ، فَأَثَرِبَهُ الْقَعْقَاعُ أَقْرَبَ الْقَوْمِ إِلَيْهِ فَقَالَ

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سُكِنَ .

(٢) هذا شطريبت من قصيدة للفرزدق وقد جاء في الأصل وفي معجم البلدان هكذا «ثَلَانُ ذَوَالْهَضَبَاتِ»
بالرفع . وقال ابن بري فيما حكاه صاحب اللسان : صوابه «ثَلَانُ ذَا الْهَضَبَاتِ» بالنصب لأن صدره :
* فَارْفَعْ بِكَفِكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا *

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ * وَلَا يَتَشَقَّى بِقَعْقَاعِ جَلِيسُ
ضُحُوكُ السَّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ * وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبَّاسُ

كان يقال : إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة . قيل لمحمد بن واسع : ألا
تجلس متكئا ! فقال : تلك جلسة الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أملهم :
جليسى ما فهم عني ، وثوبى ما سترنى ، وداجى ما حملت رجلى . وزاد آخر : وأمرأتى
ما أحسنت عشتري .

ذكر رجل عبد الملك بن مروان فقال : إنه لا أخذ بأربع ، نارك لأربع : أخذ
بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأحسن البشر إذا لقي ،
وبأيسر المسونة إذا خولف . وكان تاركا لمحادثة اللثيم ، ومنازعة البلجوج ، وممارة
السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند انقضاء مجلسه قال : إنك جلست
إلينا على حين قيام منا أفئاذن ؟ . قال الفضيل بن عياض للثوري : دُلّني على مَنْ
أجلس إليه ، قال : تلك حالة لا توجد . قال مطرف : لا تطعم طعامك مَنْ
لا يشتهيهِ ، يُريد : لا تُقبل بحديثك على مَنْ لا يُقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن
سَلَم : إذا لم تكن المحدث أو المحدث فانهض . ونحوه قول ابن مسعود : حدث
القوم ما حذجوك بأبصارهم .

قال زياد مولى عياش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما
رأني رحل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا
تأخذ عليه شرف المجلس . وقال ابن عباس : ما أحد أكرم على من جليسى ، إن

(١) في النسخة الألمانية : رحلى . (٢) في القند الفريد : لمجاربة .

(١) الذباب يقع عليه فيشق على . ذكر الشعبي قوما فقال : ما رأيت مثلهم أشدّ تناوبا في مجلس ولا أحسن فهما عن محدث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفسيرة ووطننا الحسنة ولبسنا اللين وأكلنا الطيب حتى أجمنا^(٢)، ما أنا اليوم إلى شيء أحوج مني إلى جليس أضع عني مئونة التحفظ فيما بيني وبينه .

روى ابن أبي ليلى عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال ، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أسير في سبيل الله أو أضع جبهتي في التراب لله أو أجالس قوما يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله . قال عامر بن عبد قيس : ما آسى على شيء من العراق إلا على ظما الهواجر، وتجاوب المؤذنين ، وإخوان لي منهم الأسود بن كَثُوم . وقال آخر ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : قصب السكر^(٣)، وليل الخريز^(٤)، وحديث ابن أبي بكرة . وقال المغيرة : كان يجالس إبراهيم صيرفي ورجل متهم برأى الخوارج، فكان يقول لنا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) إلا عند ختم القرآن في شهر رمضان من أجل اللهيئين .

كان يقال : محادثة الرجال تُلقيحُ ألبابها . كان بعض الملوك في مسيره ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقطعُ سرى الليل بمثل الحديث فيه فليَنفُضْ كل رجل منكم بنا

(١) في الأصول : تنابدا ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم العلم وغيره : كرهه ومله .

(٣) في الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب للنعالي .

(٤) في الأصول : الخزين وهو تحريف والتصويب عن ثمار القلوب ، قال الجاحظ : في أعلى جبانة البصرة موضع يقال له الخريز . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيا أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

(١) جَوْشًا مِنْهُ . قال معاوية لعمر بن العاص : ما بقي من لذة الدنيا تلذُّه ؟ قال : محادثة أهل العلم ، وخبرٌ صالح يأتيني من ضيقتي . قال أبو مسهر : ما حدثت رجلاً قط إلا حدثني إصغائه : أفهم أم ضيع .

باب الثقل

قال إبراهيم : إذا علم الثقل أنه ثقلٌ فليس بثقل . كان يقال : مَنْ خاف أن يُثقل لم يثقل . قيل لأيوب : ما لك لا تكتبُ عن طاوُس ؟ فقال : أتيتُه فوجدته بين ثقلين : ليث بن أبي سليم ، وعبد الكريم بن أبي أمية .

قال الحسن : قد ذكر الله الثقل في كتابه قال : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) . كان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : اللهم أغفر له وأرحنا منه . وكتب رجل على خاتمه : أبرمتَ فقم ، فكان إذا جلس إليه ثقلٌ ناوله إياه . قال بختيشوع للامون : لا تجالس الثقل فإنه نجدُ في الطب : مجالسةُ الثقل حمى الروح . قال بعض الشعراء

إني أجالسُ معشراً * نوكتي أخفهمُ ثقلُ
قومٌ إذا جالسَتْهم * صدتْ بقربهم العقولُ
لا يفهموني قولهم * ويدقُّ عنهم ما أقولُ
فهمٌ كثيرٌ وأعلمُ أنني بهم قليلُ

أخبرنا النوشجاني عن عمر بن سعيد القرشي قال حدثني صدقة بن خالد قال : أتيت الكوفة فجلستُ إلى أبي حنيفة ، فقام رجل من جلسائه فقال
فما الفيلُ تحمله ميتاً * بأثقل من بعض جلاسنا
فما حملت عنه شيئاً .

(١) في القاموس : الجوش القطعة العظيمة من الليل أو من آخره ٥١ . والجوشن بزيادة النون لغة فيه .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقیل ، فقال له : كيف حالك ؟ فقال
وقائل كيف أنت قلت له * هذا جليسي فما ترى حالي
وقال بشار

ربما يثقل الجليس وإن كا * ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في آلأر * ض ثقیل أربى على تهلان^(١)
كيف لم تَحْمِل الأمانة أرض * حملت فوقها أبا سفيان !

وقال آخر

هل غربة الدار منك مُنجيتي * إذا أغدت بي قلائص دمل^(٢)
وما أظن الفلاة تنجيني * منك ولا الفلك أيها الرجل
ولو ركبت البراق أدركني * منك على نأى دارك الثقل
هل لك فيما ملكت نافلة * تأخذه جملة وترحل

وقال أعرابي

كأني عند حمزة في مقامى * ألا حيت عنا يا مدينا
بلينا عنده حتى كانا * ألا هبي بصحك فاصبحنا

وقال آخر

ثقیل يطالعا من أمم * إذا سره رغم أفي ألم
طلعتنه ونزة في ألحشا * كوخز المشارط في المحتجم^(٣)
أقول له إذ بدا طالعا * ولا حملته إلينا قدم^(٤)
فقدت خيالك لا من عمي * وأذني كلامك لا من صمم

٢٠ (١) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أباعران . (٢) هكذا بالنسخين الفنوخرافية والألمانية
"تنجيني" ولعلها "منجيتي" . (٣) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «اذ بدا لا بدا» وفي ديوان
نافله أبي نواس لا آتي . (٤) في العقد الفريد والديوان : وصوت كلامك .

قال سُهَيْل بن عبد العزيز: مَنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ وَغَمَّكَ فِي سُؤَالِهِ فَأَلْزَمَهُ أَذْنَائاً صَمَاءً وَعَيْنَاءَ عَمِيَاءَ .

وكتب بعضُ الكُتَّابِ في فصل من كتابه: مَا آمَنُ نَزْغَ مُسْتَمِيعِ حَرَمَتِهِ، وَظَالِبِ حَاجَةِ رَدْدَتِهِ، وَمُثَارِثِ ثَقِيلِ حُجْبَتِهِ، أَوْ مَنْبَسِطِ نَابِ قَبْضَتِهِ، وَمُقْبِلِ بَعْنَانِهِ عَلَى لَوَيْثِ عَنْهُ، فَقَدْ فَعَلْتَ هَذَا بِمُسْتَحْقِقِينَ وَبَتَعَذُّرِ الْحَالِ، فَتَثَبْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ، وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ .

وقال بعضُ المُحَدِّثِينَ لِلخَلِيلِ

نَحْرَجُنَا نُزِيدُ غُرَاةً لَنَا * وَفِينَا زِيَادُ أَبُو صَعَصَعَةٍ
فَسِتَّةٌ رَهِيطٌ بِهِ خَمْسَةٌ * وَخَمْسَةٌ رَهِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةٌ

باب البناء والمنازل

١٠

الهيثم بن عديّ عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ: أَخْبِرْنِي عَنْ مَكَانٍ مِنَ الْقَرْيَةِ لَا يَخْرُبُ حَتَّى أَسْتَقْطَعَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، فَقَالَ لَهُ: مَا بَيْنَ الْمَاءِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ، فَاخْتَطَّ لِتَقْيِيفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ: فَبِتُّ عَنْدهُمْ فَإِذَا لَيْلُهُمْ بِمَنْزِلَةِ النَّهَارِ .

١٥

وقال قائل في الدار: لِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَبْتَاعُ وَآخِرُ مَا تَبِيعُ:

وقال يحيى بن خالد لأبْنِهِ جَعْفَرٍ حِينَ اخْتَطَّ دَارَهُ لِبَيْتِهَا: هِيَ قَبِيضُكَ فَإِنْ شِئْتَ فَوَسَّعْهُ، وَإِنْ شِئْتَ فَضَيِّقْهُ، وَأَتَاهُ وَهُوَ بَيْنِي دَارَهُ الَّتِي بِبَغْدَادَ بِقَرَبِ الدَّوْرِ، وَإِذَا هُمْ يُبَيِّضُونَ حَيْطَانَهَا فَقَالَ: أَعْلَمْ أَنَّكَ تُغَطِّي الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: لَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ الذَّهَبُ أَنْفَعَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عِيَاءً؟ قَالَ: نَعَمْ، مَخَالِطُهَا دَوْرَ السُّوقَةِ .

٢٠

دخل ابن التوهم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرة الذرع ، واسعة الصحن ، رفيعة السمك ، عظيمة الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مشونة لا تُطاق ، وعيالا لا يُحتمل مثلهم ، ولا بد لك من الخدم والستور والفرش على حسب ما أبتليت به نفسك ، وإن لم تفعل هجنت رأيك .

وقرأت في كتاب "الآيين" أنه كان يُستقبل بفراش الملك ومجلسه المشرق ، أو يُستقبل به مهب الصبا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والارتفاع ، وناحية الدبور وناحية المغرب يوصفان بالفضيلة^(١) والانخفاض ، وكان يُستقبل بصدور إيوانات الملك المشرق أو مهب الدبور ، ويُستقبل بصدور الخلاء وما فيه من المقاعد مهب الصبا ، لأنه يقال : إن استقبل الصبا في موضع الخلاء آمن من شجر السحرة ومن ريح الجنة .

وكان عمر يقول : على كل خائن أمينان : الماء والطين . وصر ببناء يبنى بأجر وجص فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عامل له ، فقال : تأبى الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها ، وشاطره ماله .

أبو الحسن قال : لما بلغ عمر أن سعدا وأصحابه قد بنوا بالمدر قال : قد كنت أكره لكم البنیان بالمدر ، فأما إذ قد فعلتم فعرضوا للحيطان ، وأطيلوا السمك ، وقاربوا بين الخشب . وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تبني بالبصرة دارا؟ فقال : لأني لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فإن كنت أسيرا فالسجن دارى ، وإن كنت أميرا فدار الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تُتخذ الدور بين الماء والسوق ، وأن تكون الدور شرقية والبساتين غربية .

قال بعض الشعراء

بنو عُمَيْرٍ مجلهم دارهم * وكل قوم لهم مجلهم

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبي محمد اليزيدي

قَوْمِي خِيَارٌ غَيْرَ مَا أَنَّهُمْ * صَوَّلْتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
لَيْسَ لَمْ يَجِدْ سِوَى مَسْجِدٍ * بِهِ تَعَدَّوْا فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ
لَوْ هَدِمَ الْمَسْجِدُ لَمْ يُعْرَفُوا * يَوْمًا وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ

وقال رجل من خُزَاعَةَ

نَحَرَ الْمَسِيَّبُ بِالْمَنَارِ * وَمَنَارُهُ بِرَحَا عُمَارِهِ
فَإِذَا تَفَاخَرَتِ الْقُبَا * ثُلٌّ مِنْ تَمِيمٍ أَوْ قَزَارِهِ
حَفَلَتْ عَلَيْكَ شُيُوخُ ضَبَّةٍ * بِالْمَسِيَّبِ وَالْمَنَارِ

مرّة رجل من الخوارج بدار ثُبَيّ فقال : مَنْ هَذَا الَّذِي يُقِيمُ كَفِيلًا ؟ وقالوا :

كُلُّ مَالٍ لَا يَخْرُجُ بِخُرُوجِكَ وَلَا يَرْجِعُ بِرَجُوعِكَ وَلَا يَنْتَقِلُ فِي الْوُجُوهِ بِانْتِقَالِكَ فَهُوَ
كَفِيلٌ .

وقالت الحكماء من الروم : أَصْلَحُ مَوَاضِعِ الْبَنِيَانِ أَنْ يَكُونَ عَلَى ثُلٍّ أَوْ كَبِيسٍ وَثِيقٍ
لِيَكُونَ مُطْلًا ، وَأَحَقُّ مَا جُعِلَتْ إِلَيْهِ أَبْوَابُ الْمَنَازِلِ وَأَفْنِئَتُهَا وَكَوَاؤُهَا الْمَشْرِقُ وَاسْتِقْبَالُ
الصُّبَا ، فَإِنْ ذَلِكَ أَصْلَحَ لِلْأَبْدَانِ لِسُرْعَةِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَضَوْئِهَا عَلَيْهِمْ .

ومن حسن التشبيه في البناء قولُ عليّ بن أبي جهل

صُحُورٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ * وَتُخَيَّرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا
وَقَبَّةٌ مُلْكٌ كَانَ النُّجُومُ * مَ تَبْصُنِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
وَقَوَارِئُ نَارِهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ نَارِهَا
إِذَا أُوقِدَتْ نَارُهَا بِالْعِرَاقِ * أَضَاءَ الْجَبَّارِ سَنَا نَارِهَا
تَرَدُّ عَلَى الْمَزْنِ مَا أُنْزِلَتْ * عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ أَقْطَارِهَا

(١) محلة بالكوفة تنسب إلى عمارة بن عقبة بن أبي معيط . معجم البلدان .

لها سُرفاتٌ كانتَ الربيع * كساها الرياضُ بأنوارها
فهنَّ كمُصطحاتٍ خرجن * لفصح النصارى وإفطارها
فمن بين عاقصةٍ شعرها * ومُصلحةٍ عقدَ زُناَرها

وقال الوليد بن كعب

بكت دارٌ بشيرَ شجوهاً أن تبذل * هلالَ بن عيادٍ بِبشرِ بن غالب
وما هي إلا مثلُ عَريسٍ تنقَلت * على رَغمِها من هاشمٍ في مُحارِب

وقال آخر

ألم ترَ حوشباً أمسى يُبني * قصورا نفعُها لبني بُقيله
يُؤمل أن يُعمَّرَ عُمرَ نوح * وأمرُ الله يحدثُ كلَّ ليلة

١٠ كان مالك بن أسماء يهوى جاريةً من بني أسد وكانت تنزل خُصاً وكانت دارُ
مالك مبنيةً بأجرٍ فقال

يأليت لي خُصاً يُجاورُها * بدلاً بداري في بني أسد
الخصُ فيه تقرأُ أعيننا * خيرٌ من الأجرِ والكَد

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش عن أبيه قال حدثنا إسحاق بن أفرات قاضي
١٥ مصر عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال قال سليمان بن داود لابنه : يا بُنّي إن
من ضيق العيشِ شراءَ ألخِيز من السوق ، والنقلة من منزلٍ إلى منزلٍ .

بلغني أن رجلاً من الزهاد مرّ في زورق ، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح :
واعمّراه ! فسمعه المأمون ف دعا به فقال : ما قلت ؟ قال : رأيتُ بناء الأكَسرة فقلتُ
ما سمعتُ ، قال المأمون : رأيتُ لو تحوّلتُ من هذه المدينة إلى إيوان كسرى
٢٠ بالمدائن هل كان لك أن تعيبَ نزولي هناك ؟ قال : لا ، قال : فأراك إنما عبتَ إسرائي

في النفقة، قال : نعم، قال : فلو وهبت قيمة هذا البناء لرجل أكنت تعيب ذلك؟
 قال : لا، قال : فلو بتي هذا الرجل بما كنت أهب له بناءً أكنت تصيح به كما
 صحت بي ؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قصدتني لخاصتي في نفسي لا لعملة هي
 في غيري، ثم قال له : هذا البناء ضرب من مكائدا نبنيه وننخذ الجيوش ونعد
 السلاح والكراع وما بنا إلى أكثره حاجة، فلا تعودن إلى فتمسك عقوبي، فإن
 الحفيظة ربما صرفت ذا الرأي إلى هواء، فاستعمله .

(١) باب المزاح والرخص فيه

قال حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن
 أبي سلمة قال : أخبرني عائشة أنها سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
 فسبقتة، وسابقتة في سفر آخر فسبقتها وقال : « هذه بتلك » .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفة
 لمروان، فربما ركب حمارا قد شد عليه برذعة وفي رأسه حلية فيلق الرجل فيقول :
 الطريق، قد جاء الأمير، وربما دعاني إلى عشائه بالليل فيقول : دع العراق للأمر،
 فأنظر فإذا هو ثريد بزيت .

قال حدثني محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصلت الطاحي عن سعيد
 ابن عثمان قال، قال الشعبي لخياط مرة به : عندنا حب مكسور تحيطه ؟ فقال
 الخياط : إن كان عندك خيوط من ريح .

(١) كذا في الأصل، ولم نجد في القاموس ولا في اللسان الرخص بمعنى الترخيص والتسهيل، والوارد في هذا
 المعنى إنما هو الرخصة ببناء التانيث فلعل التاء سقطت من فلم النسخ .

(٢) العراق : العظم أكله أو العظم بلحمه .

(٣) في الأصل : الطاجي بالجيم وهو تحريف والتصويب عن تاج العروس .

وحدثني بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبي ومعه في البيت امرأة فقال :
أيكم الشعبي ؟ قال الشعبي : هذه . وسئل الشعبي عن لحم الشيطان فقال : نحن
نرضى منه بالكفاف ، قال : فما تقول في الذبآن ؟ قال : إن اشتيته فكله .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذي لم
رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه
الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال :
توفي البارحة ، أما شعرت ؟ فخرج واسترجع ، فلما رأى ابن سيرين جرحه قرأ (اللَّهُ يَتَوَفَّى
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) .

مر بالشعبي حمال على ظهره دن خل ، فلما رآه وضع الدن وقال : ما كان اسم
امرأة إبليس ؟ فقال الشعبي : ذاك نكاح ما شهدناه .

حدثني محمد بن عبد العزيز عن الأصمعي عن يحيى بن أبي زائدة عن الأعمش
قال : عادني إبراهيم فنظر إلى منزلي فقال : أما أنت فتعرف في متلك أنك لست من
أهل القريتين عظيم .

وروى وكيع عن ربيعة عن الزهري عن وهب بن عبد بن زمعة قال ، قالت
أم سلمة : خرج أبو بكر في تجارة ومعه نعيان وسويط بن حرملة ، وكانا شهدا بدرا ،
وكان نعيان على الزاد فقال له سويط وكان مزاحا : أطعمني ، فقال : حتى يجيء
أبو بكر ، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمروا بقوم فقال لهم سويط : أشترون مني
عبدا لي ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إني حر ، فإن كنتم
إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تفسدوا عليّ عبدي ، فقالوا : بل نشتره منك .

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا في عنقه حبلا وعمامة واشتروه، فقال نعيان : إن هذا يستهزئ بكم وإني حرّ، قالوا : قد أخبرنا بخبرك، وأنطلقوا به ، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فردّ عليهم القلائص وأخذ^(١)ه ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا .

- حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب المجبّي عن أبي عوانة
عن قتادة أن عدى بن أرطاة تزوج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها
نخاصته إلى شريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط ،
قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق ، قال : إني تزوجت امرأة ،
قال : بالرفاء والبنين ، قال : وولدت غلاما ، قال : ليبيّنك الفارس ، قال : وشرطتُ
لها دارها ، قال : الشرطُ أملك ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيتُ ، قال :
يَمَنُ ؟ قال شريح : « حدثت امرأة حديثين فإن أبت فأربع^(٢) » قال لي المحدث :
فأربعة ، وإنما هو فأربع أي كُف وأمسك .

- وتقدّم رجلان إلى شريح في خصومة فأقرّ أحدهما بما يدعى الآخر عليه وهو
لا يعلم ، فقضى عليه شريح ، فقال الرجل : أتقضى علىّ بغير بينة ؟ فقال : قد شهد
عندي ثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك .

كان ابن سيرين يُنشد

نُبئتُ أن فتاة كنتُ أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

- (١) في القاموس في مادة نعم أن نعيان هو المزاح وأنه هو الذي باع سويطا وبعد نحو صفحتين من
هذا الكتاب ستجد ذكر نعيان بأنه هو المزاح .
(٢) رواه الميسداني « حدثت امرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة وفسره بقوله أي زد ثم قال : وأراد
بالحديثين حديثا واحدا تكرر مرتين فكأنك حدثتها حديثين ، والمعنى كررها الحديث لأنها أضعف فهما فإن لم
تفهم فاجعلهما أربعا . ورواه في اللسان كما في الأصل وقال في معناه أي كف واقتصر وهو من ربع يربع
إذا كف وأمسك .

وقال أيضا

لقد أصبحت عرسُ الفرزدق ناشزا * ولو رضيت ربحَ آسته لاستقرت
وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

المدائني قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : إني رأيت أبارحة في المنام كأن
القيامة قد قامت ووُضعت الموازينُ وأُحضر الناسُ للحساب ، فنظرت إليك وأنت
واقف قد أجمك العرقُ ، وبين يديك صحف كأمثال آبلجال ، فقال معاوية : فهل
رأيت شيئا من دنائير مصر !

كان معن بن زائدة ظنينا في دينه ، فبعث إلى ابن عياش المتوفى بألف دينار،
وكتب إليه : قد بعثت إليك بألف دينار اشتريت بها دينك ، فاقبض المال
وأكتب إلى التسليم ، فكتب إليه : قد قبضت الدنانير وبعثت بها ديني خلا التوحيد
لمسا عرفت من زهدك فيه .

قال الرشيد ليزيد بن مزيّد : ما أكثر الخلفاء من ربيعة ! فقال يزيد : أجل ،
ولكن منابرهم أبلجذوع .

قال بلال بن أبي بردة لابن أبي علقمة : إنما دعوتك لأتخر منك ، فقال له ابن
أبي علقمة : لئن قلت ذلك لقد حكم المسلمون رجلين سخر أحدهما من الآخر .
كان يقال : السباب مزراح النوكي^(١) . وقال الشاعر

أخو أبلحذ إن جاددت أرضاك جثده * وذو باطل إن شئت الهالك باطله
وقال مسعر بن كدام لابنه

ولقد حبوتك يا كدام نصيحتي * فاسمع لقول أبي عليك شفيق
أما المزاحمة والمراء فدعهما * خلقتان لا أرضاهما لصديق
واقعد بلوتهما فلم أحدهما * لمحاوِر جارٍ ولا لرفيق

(١) كذا في الأصل . وفي مجمع الأمثال للبدائي « المزاح سباب النوكي » .

وقال الكيت

وفي الناس أقذاعٌ مَلَاهِيجُ بالخنا * متى يَبْلُغُ الحَدُّ الحَفِيفَةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قولُ بعض المحدثين

أراني سَأْبِدِي عند أول سكرة * هواي لفضل في خفاء وفي ستر

فإن رَضِيتَ كان الرضا سببَ الهوى * وإن غَضِبْتَ حملتُ ذنبي على السكر

وقال الراعي — في نحو هذا يصف نساء —

يُنَاجِينَنَا بِالطَّرْفِ دون حديثنا * وَيَقْضِينَ حاجاتٍ وهنَ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عاملين ليختار أحدهما فيوليه ، فقال : « كلاهما

وتمرا » ، فقال : أعندي تمزح ! لا وليتَ لى عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وقال عليّ : إِذَا ضَحِكَ الْعَالَمُ

ضَحِكَةً نَجَّ مِنَ الْعِلْمِ مَجَّةً . وقال أكرم : « الْمَزَاحَةُ تُذْهِبُ الْمَهَابَةَ » .

المهيمُ عن عوانة الكلبي قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم

وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويُقَارِضُهُ ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدي

بأبي هذا الفتى وهو سيدنا معشر بني جُشَم ، وشيخنا الذي نصدرُ عن رأيه ، فاهترَّ

لها الفتى وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه

أمرنا ذات يوم وقد تورت الرياض أن نَخْرُجَ إلى روضة في ظهر بيوت الحى

فنتحدث فيها ، فخرجنا وابتسطننا لعبا ، وخرج الرجل منا بالبكرة الكوماء وبالحروف

والجدى ، وقام الفتيان فاجتروا واشتروا ودارت السقاة علينا ، فبينما نحن كذلك

رُغِفَ أبوه فما تركنا فى الحى روثة حمار إلا نَسَقْنَاهُ إِيَّاهَا فلم يَرَقَا دُمُهُ ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا « ابسط » ، ولعله محرف عن « أبسطنا » .

شَدُّوا خُصْمِيَّ الشَّيْخِ عَصَبًا، ففعلنا ذلك فرقاً بالدم، فوالله ما دارت الكأسُ إلا دورة حتى أتاها الصريحُ عن أُمِّه أنها قد رَغِفَتْ، فبادرنا إليها، فوالله ما درينا ما نَعِصِبُ منها حتى نَحْرِجَتْ نَفْسُهَا، وعبد الملك يَفَحَّصُ بِرَجْلِهِ ضَحْكَهَا، والفتى يقول : كَذَبَ والله، فقال عبد الملك : ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديكم وحديثكم !

٥ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَرَأَى وَهُوَ مُحْرَمٌ يَرْبُوعًا فَرَمَاهُ بِعَصَا كَانَتْ فِي يَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ الْجَمَّالُ : أَلَسْتَ مُحْرِمًا؟ قَالَ : بَلَى وَمَا كَانَتْ بِي إِلَى رَمِيهِ حَاجَةٌ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ أَنْ إِحْرَامِي لَا يَمْنَعُنِي مِنْ ضَرْبِكَ .
قَالَ وَكَانَ الْأَعْمَشُ يَقُولُ : مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ ضَرْبُ الْجَمَّالِ .

١٠ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : كَانَ نُعَيْمَانُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَشَهِدَ بِدْرًا وَجَلَدَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخَمْرِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَمَزَّ نُعَيْمَانُ بِمُحْرَمَةٍ بَنَ نَوْفَلٍ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ فَقَالَ : لَوْلَا رَجُلٌ يَقُودُنِي حَتَّى أَبُولَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ نُعَيْمَانُ، فَلَمَّا [بَلَغَ] ^(١) مُؤَنَرَ الْمَسْجِدِ قَالَ : هَاهُنَا فَبُلُّ، فَبَالَ فَصِيحَ بِهِ، فَقَالَ : مَنْ قَادَنِي؟ قِيلَ : نُعَيْمَانُ، قَالَ : اللَّهُ عَلَى أَنْ أَضْرِبَهُ بِعَصَايَ هَذِهِ، فَبَلَغَ نُعَيْمَانُ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي نُعَيْمَانٍ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، فَقَالَ : قُمْ، فَقَامَ مَعَهُ فَأَتَى بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَهُوَ يَصِلُ، فَقَالَ : دُونَكَ الرَّجُلَ، فَجَمَعَ يَدَيْهِ فِي الْعَصَا ثُمَّ ضْرِبَهُ، فَقَالَ النَّاسُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ : تَمَنُّ قَادَنِي؟ قَالُوا : نُعَيْمَانُ، قَالَ : لَا أَعُودُ إِلَى نُعَيْمَانٍ أَبَدًا .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِمَا رَجَعْتُ بَنَ زَيْدٍ : هَلْ كَانَ الْغَنَاءُ يَكُونُ فِي الْعُرُسَاتِ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَاكَ، وَلَا يُحْضَرُ بِمَا يُحْضَرُ الْيَوْمَ

(١) زيادة في النسخة الألمانية وهي لازمة .

من السفه ، دعانا أخواننا بنو نبيط في مدعاة لهم فشهد المدعاة حسان بن ثابت وابنه
عبد الرحمن وأنا ، وجاريتان تغنيان

أنظر خليلي بباب جلق هل * تؤنس دون البقاء من أحد

فبكي حسان وقد كُف بصره ، وجعل عبد الرحمن يوحى إليهما أن زيدا ، فلا
أدرى ما ذا يعجبه من أن تُبكي أباه ، ثم جىء بالطعام ، فقال حسان : أ طعام يد أم
طعام يدين ؟ فقالوا : طعام يد ، يريدون الثريد فأكل ، ثم أتى بطعام آخر فقال :
أ طعام يد أم طعام يدين ؟ قالوا : طعام يدين ، يمتنون الشواء فكف .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان طويس يتغنى في عرس ، فدخل النعمان
ابن بشير العرس وطويس يقول

أجَدَ بِعَمْرَةَ غُنيَانُهَا * قَهَجَرَأَمُ شَأْنُهَا شَأْنُهَا^(١)

وعمرة أم النعمان ، ف قيل له : اسكت اسكت ، فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا
وإنما قال

وَعَمْرَةُ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَاءِ * تَتَفَحُّ بِالْمَسْكِ أَرْدَانُهَا

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا الجحاج بن نصير قال حدثنا شعبة عن قتادة عن

أبي العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم ، فقال ابن عباس

وَهَنْ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا * إِنْ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نِيلَ لَيْسَا^(٢)

فقالوا : تقول الرفث وأنت محرم يا ابن عباس ! فقال : إنما الرفث عند النساء .

قال جابر الجعفي : رأيت الشعبي خارجا من الكوفة فقلت له : أين ؟ قال :
أنظر إلى الفيل .

(١) كذا بالأصول ولسان العرب . وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١ : أم شأنها شأنها وهو أوجه .

(٢) كذا في الأصل نيل باللام . وروى في شرح القاموس للرنقي والعقد الفريد بالكاف بدل اللام .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا شريك عن جابر الجعفي عن عكرمة قال : ختن ابن عباس بنيسه فارسلني فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم ^(١) أربعمائة درهم .

حدثني شيخ لنا من أهل المدينة قال : ولي الأوقص المخزومي قضاء مكة فما ربي مثله في العفاف والنبل ، فيينا هو نائم ذات ليلة في جناح له مر به سكران يتغنى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربت حراما ، وأيقظت نوما ، وغيت خطأ ، خذ عني فأصلحه له . وقال الأوقص قالت لي أمي : يا بني إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجاعة الفتيان في بيوت القيان ، إنك لا تكون مع أحد الا تخطبك إليه العيون ، فعليك بالدين فإنه يرفع الحسيسة ويقيم النقيصة ، فنفعني الله بكلامها فبلغت القضاء . قال عبدالله بن جعفر لرجل : لو غنتك فلانة جاري صوت كذا ما أدركت دكانك .

حدثني شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مر بي عمر ، وأنا وعاصم بن عمر نتغنى غناء النصب ، فقال : أعيدا ، فأعدنا ، فقال : مثلكما مثل حماري العبادي ، قبل له : أي حماريك أشير ؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدثني أيضا عن ابن عاصم عن ابن جريح قال : سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحداء فقال : وما بأس ، لقد حدثني عبيد بن عمير الليثي قال : كانت لداود نبي الله معزفة يضرب بها إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطير فبكي وأبكي من حوله . وقال لي غيره : ولهذا قيل : مزامير داود ، كأنه أغاني داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الصنوبرافية "أربعة درهم" ولا ندري أسقط من النسخ كلمة مائة أم ألف إجماع في دراهم . (٢) ضرب من أغاني العرب . (٣) كذا بالأصل ، وفي جمع الأمثال «شر» وهو الانفصح .

نخرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال
وإذا المعدة جاشت * فأرمها بالمنجنيق
بثلاث من نبيذ * ليس بالحلو الرقيق

النوشجاني قال حدثني محمد بن سابق قال حدثنا مالك بن مغول عن أبي حصين
قال : شرب الأسد فقال : لو سقيتموني آخر لغيت .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن المجالد عن الشعبي عن عمه قال :
صعبت ابن مسعود حولا من رمضان إلى رمضان لم يصم يوما واحدا ، [ف]أهمني^(٢)
ذلك وسالت عنه ، ولم أره صلى الضحى حتى نرج من بين أظهرنا .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن مهدي بن ميمون قال :
كان أبو صادق لا يتطوع من السنة بصوم يوم ، ولا يصلي ركعة سوى الفريضة
قبلها ولا بعدها ، وكان به من الورع شيء عجيب .

حدثني الزياتي قال قال حماد بن زيد عن أيوب قال : دخلت على رجل من
الفقهاء وهو يلعب بالشطرنج .

وحدثني الزياتي قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال : سئل ابن
سيرين عن اللعب بالشطرنج فقال : لا بأس به هو رفق .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معتمر قال ، قال أبي : ترون أن الشطرنج^(٣)
وضعت على أمر عظيم ؟ .

(١) كذا في الأصل بالترديد والمعروف في كتب التراجم « مجالد » بدون ال ، ودخول ال في مثل المنقول
عن اسم الفاعل للح الضمة موقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضها سياق الكلام .

(٣) لم قف في كتب اللغة على أن الشطرنج مما يصح تأنيته ولعل تأنيته هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدثنا الأصمعي عن ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال : كان قيس ابن أبي حازم في مَدَنَاءَ فقال لصاحب المنزل : طَّيرٌ .

حدثني شبابة قال حدثني القاسم بن الحكم العُزَنِي قال : حدثني سُلَيْمٌ مولى الشعبي أن الشعبي كان إذا اختَضَبَ فغَرَضَ لَاعِبَ ابْنَتِهِ بِالزَّرْدِ حَتَّى يَغْلِقَ الْخَضَابُ .

حدثنا إسحاق بن راهويه^(١) قال أخبرنا النضر بن شميل قال حدثنا شُعْبَةُ عن عبد ربه قال : سمعتُ سعيدَ بن المسيب وسئل عن اللعب بالزرد فقال : إذا لم يكن قماراً فلا بأس .

حدثنا إسحاق بن راهويه^(٢) قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رِشْدِينَ بن كُرَيْب قال : رأيت عِكْرِمَةَ أُقِيمَ قَائِمًا عَلَى اللَّعِبِ بِالزَّرْدِ . قال إسحاق : إن كان لعبه على غير معنى القمار يريد به التعليم والمكيدة فهو مكروه ، ولا يبلغ ذلك إسقاط شهادته .

وروى عبد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال : رأيتُ أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعة عشر على ظهر المسجد .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثني علي بن عاصم عن أبي إسحاق الشيباني عن خَوَاتِ التَّمِيمِيِّ عن الحارث بن سُوَيْد قال : أتى عبد الله بن مسعود رجلٌ فقال : يا أبا عبد الرحمن إن لي جاراً يُرْبِي وما يتوزع من شيء أصابه ، وإنني أعسرُ فاستسلفه ، ويدعوني فأجيبه ، فقال : كُلُّ فَلَكَ مَهْوٌ وعليه وزره .

كان أبو فضالة أَسَنَ وشَقَّت عليه الصلاة ، فكان يقول : مُشْقِيَةٌ مُنْصَبَةٌ ، مُقِيمَةٌ مُقْعَدَةٌ ، لَا تَزَالُ بِصَاحِبِهَا حَتَّى يَضَعَ أَكْرَمَهُ وَيَرْفَعَ أَخْفَشَهُ .

(١) غرض : أصابه الملال .

(٢) كذا بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبعدها هاء ساكنة ضبطه في ابن خلكان

ثم قال : وقيل له أيضا راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القَعْقَاعِ الأَسَدِيُّ

أَنَا نَاهَا صَفْرَاءَ يَزْعُمُ أَنَّهَا * زَيْبٌ، فَصَدَّقْنَاهُ وَهُوَ كَذُوبٌ
فَهَلْ هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ غَابَ نَحْسُهَا * أَصَلَّى لِرَبِّي بَعْدَهَا وَأَتُوبُ

وقال آخر

مَنْ ذَا يُحَرِّمُ مَاءَ الْمَزْنِ خَالِطُهُ * فِي جَوْفِ آنِيَةِ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
إِنِّي لَا كَرِهَ تَشْدِيدَ الرُّوَاةِ لَنَا * فِيهَا وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ أَبِي مَسْعُودٍ

وعيونُ الأخبارِ ومُتَخَيَّرُ الشعرِ في الشرابِ يقعُ في كتابي المؤلفِ في الأُشْرَةِ، ولذلك
تركْتُ ذِكْرَهَا .

وكتب بعضُ الكُتَّابِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ فِي فَصْلِ : وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ فَإِنْ عَقَدَةَ
الإِسْلَامِ فِي قُلُوبِنَا صَحِيحَةً، وَأَوَاخِيَهُ ثَابِتَةً، وَلَقَدْ اجْتَهِدَ قَوْمٌ أَنْ يُدْخِلُوا قُلُوبَنَا مِنْ
مَرَضِ قُلُوبِهِمْ، وَأَنْ يَلْبِسُوا يَقِينَنَا بِشَكِّهِمْ، فَمَنْعَتْنَا عَصْمَةُ اللَّهِ مِنْهُمْ، وَحَالَ تَوْفِيقُهُ
دُونَهُمْ، وَلَنَا بَعْدُ مَذْهَبٌ فِي الدُّعَاةِ جَمِيلٌ، لَا يَشُوبُهُ أَذَى وَلَا قَذَى، يُجْرِجُ إِلَى
الْأَنْسِ مِنَ الْعُبُوسِ، وَإِلَى الْإِسْتِرْسَالِ مِنَ الْقُطُوبِ، وَيُلِحِّقُنَا بِأَحْرَارِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ
الَّذِينَ ارْتَفَعُوا عَنْ لِبْسَةِ الرِّبَاءِ وَالتَّصَنُّعِ .

١٥ التَّوَسُّطُ فِي الْأَشْيَاءِ، وَمَا يَكْرَهُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِيهَا وَالْغُلُوقِ

باب التوسط في الدين

حَدَّثَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَّأَوْرِدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ طَاحِلَاءَ
عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
«إِكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ
أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ» .

حدثني محمد بن يحيى القطيعي قال حدثنا محمد بن علي بن مُقَدَّم عن مَعْنِ الغفاري عن المَقْبُري عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرُو لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا".

حدثني القُومِسي عن أحمد بن يونس عن زهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ الْحَسَنُ وَالسَّيِّئُ الصَّالِحُ وَالْاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ".

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن مسلم بن يسار أن رُفْقَةً مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ فَلَانٍ، يَصُومُ النَّهَارَ، فَإِذَا نَزَلْنَا قَامَ يُصَلِّي حَتَّى نَرْتَحِلَ، قَالَ: "مَنْ كَانَ يَمُوتُ لَهُ أَوْ يَكْفِيهِ أَوْ يَعْمَلُ لَهُ؟" قَالُوا: نَحْنُ، قَالَ: "كُلُّكُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ".

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي عليه السلام قال: خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفْتَنٍّ تَوَاقَبَ. وقال علي أيضا: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّمُطُ الْأَوْسَطُ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي وَيُلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي^(١).

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرة قال، قال حذيفة: خِيَارُكُمْ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لِآخِرَتِهِمْ، وَمَنْ آخَرَتَهُمْ لَدُنْيَاهُمْ. وَكَانَ يُقَالُ: دِينَ اللَّهِ

(١) كَذَا فِي اللِّسَانِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ فِي الْأَصْلِ «الْبَالِي» وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَرَوَاهُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ «نَحْنُ الْفَرَقَةُ الْوَسْطَى بِهَا يُلْحَقُ التَّالِي وَالْيَا يَرْجِعُ الْغَالِي» وَفَسَّرَهُ شَارِحُهُ بِأَنَّ آلَ الْبَيْتِ أَشْبَهَ بِهَا لِلْإِسْتِنَادِ إِلَيْهِمْ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَمَا يُسْتَنْدَ إِلَى الْوَسَادَةِ لِرَاحَةِ الظُّهْرِ وَاطْمَئِنَّانِ الْأَعْضَاءِ وَوَصَفَهَا بِالْوَسْطَى لِاتِّصَالِ سَائِرِ النَّاسِ بِهَا فَكَانَ الْكُلُّ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا إِمَّا مُبَاشَرَةً أَوْ بِوَسْطَةِ مَا بَيْنَهُ وَآلِ الْبَيْتِ عَلَى الصِّرَاطِ الْوَسْطِ الْعَدْلِ يُلْحَقُ بِهِمْ مِنْ قَصْرِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ مِنْ غَلَا وَتَجَاوُزِهَا.

بين المقصّر والغالى . وقال المطرف^(١) لأبنة : يا بُنى ، الحسنَةُ بين السيئتين ، يعنى بين الإفراط والتقصير ، وخيرُ الأمور أوساطُها ، وشرُّ السيرِ الحقِّقة^(٢)

وفى بعض الحديث المرفوع : "ليس خيرُكم مَنْ ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيرُكم مَنْ أخذَ مِنْ هذه وهذه" . وقال : "إن الله بعثنى بالحنيفية السهلة ، ولم يعثنى بالرهبانية المبتدعة ، سُئِلَ الصلاةُ والنوم ، والإفطارُ والصوم ، فمن رَغِبَ عن سنتي فليس مِنِّي" . وفى الحديث : "إن هذا الدينَ مَتِينٌ فَاوْغِلْ فِيهِ يَرْفِقْ ، فَإِنْ الْمُنَبَّتْ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى" .

وكان يقال : طالبُ العلم وعاملُ البرِّ كَأَكْلِ الطَّعامِ إِنْ أَخَذَ مِنْهُ قُوْتًا عَصَمَهُ ، وَإِنْ أَسْرَفَ فِي الْأَخْذِ مِنْهُ بَشِمَهُ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ فِيهِ مَنِيَّتُهُ ، وَكَأَخَذَ الْأَدْوِيَةَ الَّتِي قَصَدُهَا شِفَاءً ، وَمَجَاوَزَةُ الْقَدْرِ فِيهَا السَّمُّ الْمَمِيتُ .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبي حفصة أن ابن أبي نُعَيْمٍ كَانَ يُهْلُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ وَيَقُولُ فِي تَلْبِيَّتِهِ : لِيكَ ، لَوْ كَانَ رِيَاءً لَا تَضْمَحَلُّ . حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبي إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لو أدرك أصحابنا محمد بن أبي نُعَيْمٍ لَرَجَمُوهُ ، كَانَ يُوَاصِلُ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا وَيُهْلُ بِالْحَجِّ إِذَا رَجَعَ النَّاسُ مِنَ الْحَجِّ .

وقال سلمان : القصدُ والدوامُ وأنت السابقُ الجواد . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم لَقِيَ رجلاً فقال : مَا تَصْنَعُ ؟ قال : أَتَعْبُدُ . قال : مَنْ يَعُودُ عَلَيْكَ ؟ قال : أَنَحَى ، قال : أَخُوكَ أَعْبُدُ مِنْكَ .

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب التراجم «مطرف» بدون أل . (٢) الحققة : أرفع السير وأتعبه للظهر . (٣) فى الأصل «فنى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمه» بغير ألف . وفى القاموس واللسان ، يقال : يَشِمُّ الرجلُ وأبشمه الطعام .

رَوْحُ بن عُبَادَةَ عن الْجَجَاجِ بن الْأَسود قال : مَنْ يَدُلَّنِي على رجل بَكَاءٍ بالليلِ بِسَائِمٍ
بِالنَّهَارِ ؟

وروى أَبُو أُسامة عن حماد بن زيد عن إسحاق بن سويد قال ، قال مُطَرِّفٌ :
انظروا قوما إذا ذُكِرُوا ذُكِرُوا بالقراءة فلا تكونوا منهم ، وأنظروا قوما إذا ذُكِرُوا ذُكِرُوا
بِالفجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء . ٥

باب التوسط في المداواة والحلم

قُرأت في كتاب للهند : بعضُ المقاربة حَزْمٌ ، وكلُّ المقاربة عَجْزٌ ، كالخشبة
المنصوبة في الشمس تُمَالُ فيزيد ظلُّها ، ويُفَرِّطُ في الإِمالة فينْقُصُ الظلُّ . ومن
أمثال العرب في هذا : « لا تكن حُلُولا قُسْطَرَطَ^(١) ولا مُرًّا قُتْلَفَطَ^(٢) » وأبو زيد يقول :
ولا مُرًّا قُتْعِي ، يقال : أعقَى الشيء إذا اشتدت مرارته . وقال الشاعر ١٠
* وإني لصعبُ الرأس غيرُ جمُوحٍ * .

وقال آخر في صفة قوس

* في كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُنَوِّعٌ *

وقال آخر

* شَرِيَانَةٌ تَمْنَعُ بعد اللَّيْنِ *

١٥

وقال أبرويز لابنه : اجعل لأقتصادك السلطانَ على إفراطك ، فإنك إذا قُدِّرَتْ
الأمور على ذلك وزنتها بميزان الحكمة وقومتها تقويم الثَّقاَف ، ولم تجعل للندامة
سلطانا على الحلم .

(١) سرطه واسترطه : ابتلعه .

(٢) هذا يقتضى أن القاف في قوله تعق مكسورة ، ويقال : أعقَى الشيء إذا لفظه من فيه لمرارته ، وبهذا
يصح أن يكون الفعل مبنيا للجھول ، وقد روى المثل بالوجهين كما في اللسان . ٢٠

وقال النابغة الجعدي

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تجمي صفوه أن يكدرًا

وقال آخر

ولا خير في عرض أمري لا يصونه * ولا خير في حلم أمري نل جانبه

وقال أكرم بن صيفي : الانتباض من الناس مكسبة للعداوة، وإفراط الأئس
مكسبة لقرناء السوء .

باب التوسط في العقل والرأى

روى في الحديث أن زياد بن أبي سفيان كان كاتباً لأبي موسى الأشعري فعزله

عمر عن ذلك، فقال له زياد : أعن عجز عزتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة ؟

فقال : لا عن ذاك ولا عن هذا، ولكني كرهت أن أحيل على العائمة فضل عقلك .

ويقال : إفراط العقل مضر بالحد . ومن الأمثال البتلة : استأذنت العقل على

الحد فقال : اذهب لا حاجة بي إليك . وقال الشاعر

فعيش في جد أنوك حالفته * مقادير يساعدها الصواب

وقال آخر

إن المقادير إذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

١٥

وقال آخر

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله * ولكنه يشقى به كل عاقل

وقال الحسن : تشبه زياد بعمر وأفرط ، وتشبه الجحاج بزياد فأهلك الناس .

وقالت الحكماء : فضل الأدب في غير دين مهلكة ، وفضل الرأي إذا لم يستعمل

في رضوان الله ومنفعة الناس قائد إلى الذنوب ، والحفظ الزاكي الواعي لغير العلم

٢٠

النافع مضر بالعمل الصالح ، والعقل غير المورع عن الذنوب خازن الشيطان .

تنازع آثنان : أحدهما سلطاني والآخر سُوقي ، فضربه السلطاني فصاح :
وأعمّراه ! ورُفِعَ خبره إلى المأمون فأمر بإدخاله عليه ، قال : من أين أنت ؟ قال : من
أهل قامية ، قال : إن عمر بن الخطاب كان يقول : من كان جاره نبيطياً واحتاج إلى
ثمنه فليبعه ، فإن كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه فيكم ، وأمر له بألف درهم .

باب ذم فضل الأدب والقول

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب شراً من عدمه ؟ قال : إذا كبر الأدب
ونقص العقل . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . ويقال : من
لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حثفه في أغلب خصال الخير عليه .
وقال الشاعر

رأيتُ اللسانَ على أهله * إذا سابه أجهلُ لئناً مُغيراً

وقال سليمان بن عبد الملك : زيادة منطق على عقل خُدعة ، وزيادة عقل على
منطق هُجْنَةٌ ، وأحسن من ذلك ما زين بعضه بعضاً .

قال ضرار بن عمرو لابنته حين زوجها : أمسكى عليك الفضلين : فضل الغلبة
وفضل الكلام .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : رَحِمَ اللهُ امرأً أمسَكَ فضل القول وقَدَّمَ فضل
العمل .

نزل المنذر بن المنذر في كتيبٍ موضعاً ، فقال له رجل : أبيت اللعن إن ذُبِحَ رجلٌ
هاهنا ، إلى أي موضع يبلغ دمه من هذه الرابية ؟ فقال المنذر : المذبح والله أنت ،
ولأنظرون أين يبلغ دمك ، فقال رجل من حضر : « رَبِّ كَلِمَةٍ تَقُولُ [لصاحبها] دَعْنِي » .

(١) الذي في جمع الأمثال للبدائي : أن القائل هو المنذر نفسه .

(٢) الزيادة عن جمع الأمثال للبدائي .

قال زياد على المنبر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ذنب عثر مضمور ولو بلغت إمامه سفكت دمه . وقال أكرم بن صيفي : مَقْتَلُ الرجل بين فكيه . وقال الأحنف : حَتَفُ الرجل مَجْبُوءٌ تحت لسانه .

باب التوسط في الجدة

- كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم إني أعوذ بك من غنى مبطير ومن فقر ملب أو مريب^(١)" ، وكذلك "اللهم لا غنى يُطغى ولا فقر يُنسى" .
- وقال أبو المعتمر السلمي : الناس ثلاثة أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراء موقى إله من أغناه الله بعز القناعة ، والأغنياء سُكَّارَى إلا من عصمه الله بتوقع الغير ، وأكثر الخير مع أكثر الأوساط وأكثر الشر مع الفقراء والأغنياء لِسَخَفِ الْفَقْرِ وَبَطَرِ الْغِنَى . ومن أمثال العرب في هذا : «بين المِخَّةِ والعَجْفَاءِ» .

باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء

- قال الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) ، وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .
- حدثني أحمد بن الحليل عن مسلم بن إبراهيم عن سكين بن عبد العزيز عن إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ" .

وحدثني أيضا عن مسلم قال حدثنا أبو قدامة الحارث بن عبيد قال حدثنا برد بن سنان عن الزهري قال ، قال أبو الدرداء : حُسْنُ التَّقْدِيرِ فِي الْمَعِيشَةِ أَفْضَلُ مِنْ نِصْفِ الْكَسْبِ ، وَلَقَطَ حَبًّا مَنثورًا وقال : إن فقه الرجل رفقه في معيشته .

(١) من الت بالمكان وأرب به : أقام به ولزمه .

- قال أبو الأسود لولده: لا تُجَاوِدُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ أَجودُ وأَجَدُّ، وإنه لو شاء أن يُوسِّعَ على الناسَ كُلَّهُمْ حتى لا يكونَ محتاجٌ لَفَعْلٍ، فلا تُجَاهِدُوا أَنفُسَكُمْ في التوسعة فتَهْلِكُوا هُزْلاً.
- قيل لمحمد بن عمران قاضي المدينة - وهو من ولد طلحة بن عبيد الله - : إنك تُنسبُ إلى البخل، فقال : والله إني لا أَجِدُّ في الحق ولا أذوبُ في الباطل . وكان يقال : لا تَصْنُ كثيراً عن حقٍّ ولا تُتَفِقْ قليلاً في باطل . ومن أمثال العرب في ذلك « لا وَكْسَ ولا شَطَطَ » و« إذا جَدَّ السَّوَالُ جَدَّ الْمَنَعُ » . وقال الشاعر
- إِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي * على آزاد في الظُّلُمَاءِ غَيْرُ لَيْمٍ
وإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الشَّجَاعِ فَإِنِّي * أَرْدُ سِنَانِ الرِّيحِ غَيْرَ سَلِيمٍ
وقد عَلِمْتُ عَلَيَّ هَوَازَنَ أَنِّي * فتَاهَا وَسُفْلَى عَامِرٍ وَتَمِيمٍ
- قال معاوية : ما رأيتُ شرفاً قط إلا وإلى جانبه حقٌّ مُضَيِّعٌ .

أفعال من أفعال السادة والأشراف

- حدثني الرِّياشي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن عمران قاضي المدينة أن طلحة كان يقال له : [طلحة] ^(١) أَلخِير، وطلحة أَلْفَيَاض، وطلحة الطَّائِحَات وأنه فدى عشرة من أسارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنه سُئِلَ بِرَحِيمٍ فقال : ما سُئِلْتُ بهذه الرَّحِمِ قبل اليوم، وقد بعْتُ حائطاً لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار، فإن شئتَ أَرْتَجِعُهُ وأُعْطِيْتُكَه، وإن شئتَ أُعْطِيْتُكَ ثَمَنَهُ .
- حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرني شيخ من مَشِيخَتِنَا، - وربما قال : هارون الأعور- أن قتيبة بن مسلم قال : أرسلني أبي إلى ضرار بن القَعْقَاع بن مَعْبُد ابن زُرَّارة فقال : قل له قد كان في قومك دماء وجراح، وقد أحبوا أن تحضُرَ المسجدَ فيمن يحضُر، قال : فأتيته فأبلغته فقال بإجازية : غَدَيْنِي، فجاءت بأرغفة

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

خُشِنَ فَنَرَدْتَهُنَّ فِي مَرِيرٍ ثُمَّ بَرَقْتَهُنَّ^(٢) فَأَكَلَ ، قَالَ قَتِيْبَةٌ : بِفَعْلٍ شَأْنُهُ يَصْغُرُ فِي عَيْنِي
وَنَفْسِي ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، حِنْطَةُ الْأَهْوَاذِ وَتَمْرُ الْفَرَاتِ وَزَيْتُ الشَّامِ ،
ثُمَّ أَخَذَ نَعْلَيْهِ وَارْتَدَى ، ثُمَّ انْطَلَقَ مَعِيَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَحْتَبَى ،
فَمَا رَأَتْهُ حَلَقَسَتْ إِلَّا تَقَوُّضَتْ إِلَيْهِ ، فَاجْتَمَعَ الطَّالِبُونَ وَالْمُطْلَبُونَ فَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ ،
فَقَالَ : إِلَى مَاذَا صَارَ أَمْرُهُمْ ؟ قَالُوا : إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ إِبْلِ ، قَالَ : هِيَ عَلِيٌّ ، ثُمَّ قَامَ .
الْهِثَمُ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ مَعْدِيكَرِبُ بْنُ أَرْهَةِ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ
عَلَى سَرِيرِهِ فَأَتَى بِفَتْيَانٍ قَدْ شَرَبُوا الْخَمْرَ ، فَقَالَ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، أَتَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ؟ فَقَالَ
مَعْدِيكَرِبُ : أُنْشِدُكَ اللَّهَ أَنْ تَفْضَحَ هَؤُلَاءِ^(٣) ، فَقَالَ : إِنْ آلَحَ فِي هَؤُلَاءِ وَفِي غَيْرِهِمْ
وَاحِدٌ ، فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ : يَا غَلَامُ صَبَّ مِنْ شَرَابِهِمْ فِي الْقَدَحِ ، فَصَبَّ لَهُ فَشَرِبَهُ
وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا شَرَبْنَا فِي مَنَازِلِنَا إِلَّا هَذَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : خَلَّوْا عَنْهُمْ ، فَقِيلَ لَهُ
حِينَ أَنْصَرَفُوا : شَرِبْتَ الْخَمْرَ ؟ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ اللَّهَ لَيَعْلَمُ أَتَى لَمْ أَشْرَبْهَا قَطُّ فِي سِرٍّ
وَلَا عَلَانِيَةٍ ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يُفْضَحَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ بِمَحْضَرِي^(٤) .

وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا قَالَ : مَدَحَ شَاعِرٌ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ ، فَقَالَ لَهُ : احْتَكِمْ ، وَظَنَّ
أَنْ هَمَّتْهُ قَصِيرَةٌ ، فَقَالَ : أَلْفَ نَافَةٍ ، فَوَجَّهَ الْحَسَنُ وَلَمْ يُمْكِنْهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يَفْضَحَ
وَقَالَ : يَا هَذَا إِنْ بَلَدُنَا لَيْسَتْ بِلَادَ إِبْلِ ، وَلَكِنْ مَا قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ .
إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ إِبْلٌ فَمِعَزَى * كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتْهَا الْعِصَى^(٥)

قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ شَاةٍ ، فَأَلْقَى يَحْيَى بْنُ خَاقَانَ ، فَأَعْطَاهُ بِكُلِّ شَاةٍ دِينَارًا .

(١) فِي هَامِشِ النُّسخَةِ الْفَتْوْغَرَاْفِيَّةِ : « الْمَرِيرُ تَمْرُوزِيَّةٌ » ، وَفِي الْقَامُوسِ أَنَّهُ التَّمْرُ الْمَرْبُوسُ أَوْ اللَّبَنُ .

(٢) بَرَقَ الطَّعَامُ بَزَيْتٍ أَوْ سَمْنٍ : جَعَلَ فِيهِ مِنْهُ قَلِيلًا . قَامُوسٌ .

(٣) هَكَذَا بِالنُّسخِ الَّتِي بِيَدِنَا ، وَظَاهِرُ الْكَلَامِ يَتَوَقَّفُ عَلَى " لَا " النَّامِيَّةِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ بِمَصْرَى وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٥) فِي الْأَصْلِ : عِصَى . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الدِّبْوَانِ وَالْأَغَانِي .

قال : وقدم زائر على أبي دُلَيْف فأمر له بألف دينار وكِسْوَةٍ ثم قال - و يقال إن الشعر لعبد الله بن طاهر -

أُعْجَلْنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ رَنَا * قُلًّا وَلَوْ أَمَهَلْتَنَا لَمْ يَقْلِيلِ
نَحْذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ * شَيْئًا ، وَنَحْنُ كَأَنَّنَا لَمْ نَفْعَلِ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الفَتَيَانِ من فضل مالٍ * إنما الجودُ لِلْقِلِّ المَوَاسِي

وقال دِعْبِلُ في نحوه

لئن كنتَ لَا تُؤَلِّي يَدًا دُونَ إِمْرَةٍ * فَلَسْتَ بِمُسَوِّئٍ نَائِلًا أَنْوَ الدَّهْرِ
فَأَيُّ إِنَاءٍ لَمْ يَفِضْ عِنْدَ مَلِيئِهِ ! * وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنَلِّ سَاعَةَ الْوَفْرِ !
وليس النقي المعطى على اليسر وحده * ولكنه المعطى على العسر واليسر

ابن الكلبي قال : أخبرني غير واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله ابنا العباس أن يفتسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدعى القاسم ليقسم ، فلما مذا الحبل قال له عبد الله : أقيم المِطْمَرُ ، بنى الحبل الذي يمد . فقال له عبيد الله : يا أخي ، الدارُ دارك لا يمدُّ والله فيها اليومَ مِطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالسَّخَاءَ وَالْجَمَالَ فَلْيَأْتِ دَارَ الْعَبَّاسِ ، كَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَعْلَمَ النَّاسِ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ أَسَخَى النَّاسِ ، وَالْفَضْلُ أَجْمَلُ النَّاسِ .

باع عبد الله بنُ عتبة أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا المال ذُخْرًا ! فقال : أنا أجعلُ هذا المالَ ذخرًا لي عند الله ، وأجعلُ الله ذخرًا لولدي ، وقسمَ المالَ .

ويقال : إنَّ أَوَّلَ مَا عُرِفَ بِهِ سُؤْدُودُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَسْرِيُّ أَنَّهُ مَرَّ فِي بَعْضِ طُرُقِ دِمَشْقَ وَهُوَ غَلَامٌ فَأَوْطَأَ فَرَسَهُ صَبِيًّا فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ لَا يَتَحَوَّكُ أَمْرَ غَلَامَةٍ

لخمله ، ثم انتهى به إلى أول مجلس مرّ به فقال : إن حدث بهذا الغلام حدث الموت فانا صاحبه ، أوطأته فرسى ولم أعلم .

قال عدي بن حاتم لابن له حديث : قمّ بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف ، فقال : لا والله ، لا يكون أول شيء وليته من أمر الدنيا منع قوم من الطعام .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ضاف بني زياد العبيسين ضيف ، فلم يشعروا إلا وقد احتضن أمهم من خلفها ، فرفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال : لا يضار الليلة عائد أمتي ، إنه عاذ بحقويها .

المدايني قال : أحدث رجل في الصلاة خلف عمر بن الخطاب ، فلما سلم عمر قال : أعزّم على صاحب الضرطة إلا قام فتوضأ وصلى ، فلم يقم أحد ، فقال جرير ابن عبد الله : يا أمير المؤمنين أعزّم على نفسك وعلينا أن نتوضأ ثم نعيد الصلاة ، فأما نحن فتصير لنا نافلة ، وأما صاحبنا فيقضى صلاته ، فقال عمر : رحمك الله ، إن كنت لشريفا في الجاهلية فقيها في الإسلام .

كان عبد الله بن جُدعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : ادن مني ، فإذا دانته لطمه ثم قال : اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى ، فترضيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابن قيس الرقيات — حين غر بصادة قريش —

والذي إن أشار نحوك لطمًا * تبسح اللطم نائل وعطاء

وآبن جُدعان هو القائل

لاني وإن لم ينل مالي مدى خلقي * وهاب ما ملكت كفي من المال
لا أحبس المال إلا ريث أتلفه * ولا تغيرني حال عن الحال

الميثم عن حماد الراوية عن مشايخ طي قالوا : كانت عنبه بنت عفيف أم حاتم
لا تليق شيئا سخاء وجودا ، فمنعها إخوتها من ذلك فابت ، وكانت مرساة فحبسوها
في بيت سنة يطعمونها قوتها رجاء أن تكف ، ثم أخرجوها بعد سنة وظنوا أنها قد
أقصرت ودفنوها إليها صرمة^(٣) ، فأتها امرأة من هوازن فسألها فأعطتها الصرمة وقالت :
والله لقد مسني من الجوع ما آليت معه ألا أمتع سائلا شيئا ، وقالت

لعمري لقد ما عضي الجوع عضة * فآليت ألا أمتع الدهر جائعا
فقلوا لهذا آلائي الآن أعفني * فإن أنت لم تفعل فعض الأصابع^(٤)
[فإذا عساكم أن تقولوا لأختكم * سوى عدلكم أو عدل من كان مانعا]
ولا ما ترؤف الدهر إلا طيعة * فكيف بتركي يا بن أم الطبايعا^(٥)

١٠ ابن الكلبي عن أبيه عن رجال طي قالوا : كان حاتم جوادا شاعرا ، وكان حيثما
نزل غير منزله ، وكان ظفيرا إذا قاتل غلب ، وإذا غيم أنهب ، وإذا سئل وهب ،
وإذا ضرب بالقداح سبق ، وإذا أسرا أطلق ، وكان أقسم بالله : لا يقتل واحدا منه .

(١) كذا بالنسخين بعين تهمله ونون وباء ، وحده بعدها . ويوافق ما في شعر الشعراء للؤلف وعلق
عليه ناشره بأنه يـ وي «عنبه» و «عنبه» أنظر نسخة طبعة أرباص ١٢٣ و ١٢٤ ، وفي الأغاني طبع بولاق
ج ١٦ ص ٩٧ «عنبه» . وكذا في شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه في رواية المبداني «عنبه» . أنظر
نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تليق : لا تمسك .

(٣) القطعة من الذيل واختلف في عددها من العشرة إلى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغاني وشعراء النصرانية .

٢٠ (٥) كذا بالنسخين . وفي الأغاني وشعراء النصرانية : «وإذا ترؤف اليوم» الخ ، وفي هامش نسخة
الشعر والشعراء : «فهل ما ترؤف اليوم» الخ .

أبو أليقظان قال : أخذ عبيد الله بن زياد عمرو بن أذينة^(١) [أخا^(٢)] أبي بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله : أنظروا هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنه ما سأل قال : اكتب علي بمسألتك سجلاً إلى أيام يسرى .

باع أعرابي ناقة له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فذرفت عيناه ، ثم قال

وقد تنزع الحاجات يا أتم وعمير * كرائم من رب بين ضنين

فقال له مالك : خذ نافتك وقد سوغتكَ الثمن . اشترى عبيد الله بن أبي بكر جارية نفيسة فطلبت دابة تحمل عليها فلم توجد ، فجاء رجل بدابة فحملها . فقال له عبيد الله : اذهب بالجارية إلى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبي بكر دار الصفاق من مقاتل بن مسعم نسيئة ثم اقتضاه فلزمه في دار أبيه . فرآه عبيد الله فقال : مالك ؟ قال : حبسني ابنك . قال : هم ؟ قال : بمن دار الصفاق ، قال : يائيتُ أما وجدت لغرة ألك محبسا إلا داري ، إذفع إليه صكّه وأعوضك . قيل لرجل : مالك تنزل في الأطراف ؟ فقال : منازل الأشراف في الأطراف يتناولون ما يريدون بالصدرة ويتناولهم من يريدهم بالحاجة . لما كبر عدي بن حاتم آذاه برد الأرض وكان رجلا

(١) كذا بهنسختين الألمانية والموسمراية وهو مخرف عن "أذينة" ورواه في "ديه هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان فممن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . انظر تاريخ ابن جرير الطبري طبع أورما المجلد الثاني من القسم الثاني ص ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أورما ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ .

(٢) هذه اللفظة ساقطة بالأصلين سهوا من النسخ لأن المكنى بأبي بلال ابن جرير هو مرداس بن أذينة لا هو . انظر ابن جرير أيضا في ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لِحَيْمًا فَنَمَشَتْ الْأَرْضُ بِخَذِيهِ بِجَمْعِ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي ثَعْلٍ ، إِنِّي لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا
 ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَبِي بِمَكَانٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، بَنَى لَكُمْ الشَّرَفَ وَنَفَى عَنْكُمْ الْعَارَ
 فَاصْبِرْ الطَّائِي إِذَا فَعَلَ خَيْرًا قَالَ الْعَرَبُ : مِنْ حَتَّى لَا يُجِدُّوا عَلَى الْجُودِ وَلَا يُعْذِرُونَ
 عَلَى الْبَخْلِ ، وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ السَّنِّ مَا تَرَوْنَ وَأَذَانِي بَرْدُ الْأَرْضِ فَأَذِنُوا لِي فِي وَطْءِ فَوَاللَّهِ
 مَا أُرِيدُهُ نَفَرًا عَلَيْكُمْ وَلَا احْتِقَارًا لَكُمْ . وَسَاخَبَكُمْ : مَا عَلَى مَنْ وَضَعَ طَنْفَسَةً وَقَعِدَ
 حَوْلَهُ إِلَّا أَنْ الْحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَذَلَ فِي عِرْضِهِ وَيَتَخَدَّعَ فِي مَالِهِ وَلَا يَحْسُدَ شَرِيفًا وَلَا يَحْقِرَ
 وَضِيعًا . فَقَالَ الْقَوْمُ : دَعْنَا الْيَوْمَ . ثُمَّ عَدُّوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَرِيفِ ضِجُّ الطَّنْفَسَةِ
 وَالْبَيْسُ التَّاجِ . فَبَلَغَ ابْنَ دَارَةَ الشَّاعِرَ فَأَتَاهُ وَقَالَ : قَدْ مَدَحْتُكَ ، فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ
 حَتَّى أَتَبَيَّنَكَ بِمَا لِي فَنَمْدَحَكَ عَلَى حَسَبِهِ . لِي أَلْفُ ضَائِنَةٍ وَأَلْفَا دِرْهَمٌ وَثَلَاثَةُ أَعْبِدٍ^(١)

وَفَرَسِي هَذَا حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَاتِ الْآنَ فَقَالَ

تَحِينَ قُلُوصِي فِي مَعَدٍّ وَإِنَّمَا « تَلَا فِي الرَّبِيعِ فِي دِيَارِ بَنِي ثَعْلٍ
 وَأَبْقَى اللَّيَالِي مِنْ عَدِي بْنِ حَاتِمٍ « حُسَامًا كَلَوْنَ الْمِلْحَ سُلٍّ مِنْ الْخَلَلِ^(٢)
 أَبُوكَ جَوَادٌ مَا يُتَسَّقُ غُبَارُهُ « وَأَنْتَ جَوَادٌ لَسْتَ تُعْذَرُ بِالْعِلَلِ
 فَإِنْ تَفْعَلُوا شَرًّا ثَمَانِيكُمْ أَتَقِي . وَإِنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا فَمِثْلُكُمْ فَعَلْ

فَقَالَ : أَمْسِكْ ، لِيَاكَ ، لَا يَبْلَعُ مَالِي أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، وَشَاطِرُهُ مَالُهُ .

حَا . رَجُلٌ إِلَى مَعْنٍ فَاسْتَحْمَلَهُ غَيْرًا فَقَالَ مَعْنٌ : يَا غُلَامُ أَعْطِهِ غَيْرًا وَبَغْلًا وَرِثْ ذُوْنَا وَفَرَسًا
 وَبَعِيرًا وَجَارِيَةً ، وَأَبُو عَرَفْتِ مَرْكُوبًا غَيْرَ هَذَا لِأَعْطَيْتُكَ . وَكَانَ يَقَالُ : حَدَّثَ عَنْ
 الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ وَعَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَعَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرَجَ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ
 لِلْحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ وَهُوَ عَلَى السَّنَدِ : إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ . فَقَالَ الْحَكَمُ : وَاللَّهِ لَأَعْطَيْتَكَ عَطِيَّةً

(١) فِي الْمَعْدِ الْقَمْرِيدِ ، ج ١ ص ١١٧ زِيَادَةُ « وَثَلَاثَ مَالٍ » .

(٢) رَوَايَةُ الْمَعْدِ الْقَمْرِيدِ ، ج ١ ص ١١٧ « كَنْعَلُ السَّيْفِ » .

لا يُعطِيها العبدُ فأعطاه مائة رأس من السَّبِي. وقرأت في بعض كتب العجم أن جاماتِ كسرى التي كان يأكل فيها كانت من ذهب، فسرق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى ينظر إليه، فلما رُفِعَت الموائد أفتقد الطباخُ الجاهَ فرجع يطلبها، فقال له كسرى: لا تتعَنَّ فقد أخذها مَنْ لا يردّها ورآه مَنْ لا يُفشي عليه، ثم دخل عليه الرجلُ بعد ذلك وقد حلّى سيفه ومنطقته ذهباً، فقال له كسرى بالفارسية: يا فلان هذا، يعنى السيف، مِنْ ذاك قال: نعم وهذا، وأشار الى منطقته. قالوا: لم يكن لخالد بن برمك أخٌ إلا بنى له داراً على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يعيشهم أبداً ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جاريةٍ هو وهبها له.

بلغ ابنُ المقفع أن جارا له يبيع داراً له لدينٍ ركبته وكان يجلس في ظل داره، فقال: ما قمتُ إذا بحرمةٍ ظل داره إن باعها مُعديماً وبِتْ واحداً، فحمل اليه ثمن الدار وقال: لا تبسّع. قال أبو اليقظان: باع نبيك بن مالك بن معاوية إبله وأنطلق بها الى مَنى فجعل يُنهبه، والناس يقولون: مجنون، فقال: لستُ بمجنونٍ وإنكُنَّ أنبيكم ما لي إذا عثرُ الفصح، قال: وأتى عبد الله بن جعفر قهرمانه بحسابه فكان في أوله جبلٌ بخمسين درهماً. فقال عبد الله: لقد غلبت الجبال، فقال القهرمان: إنه أبرق، فقال عبد الله: إن كان أبرق فأنا أجيزه، فهو الآن مثلٌ مضروب بالمدينة، كان أبو سفيان إذا نزل به جار نال له: يا هذا، إنك قد اخترتني جارا بخناية يدك على دونك، وإن جئت عليك يدٌ ناحتكم على حكم الصبي على أهله. وقال بعض الشعراء: — يُنتقى على قومٍ بحسن الجوار —

همُ خلطوني بالنفوس ودافعوا .. ورأى بركن ذى مناكب مدفع
وقالوا تعلم أن مالك إن يُصب .. يعدك وإن تُحبس يردك وينفج

وروى عبد الله بن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن حبيب بن أبي ثابت أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة خرجوا يوم اليرموك

حتى آتَبَتْوا، فدعا الحارثُ بنُ هشامُ بقاءَ ليشر به، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادفعه الى عكرمة
فنظر اليه عيَّاشُ فقال عكرمةُ: ادفعه الى عيَّاش، فما وصل الى عيَّاش حتى مات ولا عاد
اليهم حتى ماتوا، فُسِّمَ هذا حديثُ الكرام. وهذا الحديثُ عندي موضوع لأن أهل
السيرة يذكرون أن عكرمة قُتِلَ يومَ أَجْنَادِينَ وعيَّاشُ ماتَ بِمَكَّةَ. والحارثُ مات
بالشام في طاعون عَمَّوَّاسٍ.

أعطى رجلٌ امرأةً سألته مالا عظيما، فلاموه وقالوا: إنها لا تعرفك وإنما كان
يُرضيها اليسير. فقال: إن كانت ترضى باليسير فأتى لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت
لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

قال بعض الشعراء

وما خيرُ مالٍ لا يبقِي الذَّمَّ رَبُّهُ : ونفيسُ أمرٍ في حَقِّها لا يُبِينُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِي تُثَوِّقُ إِلَى أُمُورٍ : وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ حَالِي^(٣)

فَنَفْسِي لَا تُطَاغِي بِيَخِيلٍ : وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي^(٤)

وقال أيضا

وَلَا أَقُولُ نَعَمْ يَوْمًا فَأَتْبِعُهَا : مَنَعًا وَلَوْ ذَهَبَتْ بِالمَالِ وَالوَلَدِ

وَلَا أَؤَيِّمُنْتُ عَلَى سِرِّ فَبُحْتُ بِهِ : وَلَا مَدَدْتُ إِلَى غَيْرِ الجَمِيلِ يَدِي

وقال كعب بن سعد الغنوي

وَذِي تَدْبٍ دَائِمِي الْأَظْلَقِ قَسَمُهُ : مَحَافِظَةٌ بَنِي وَبَيْنَ زِمِيلِي^(٥)

(١) هكذا بفتح أوله وسكون ثانيه كما في الناح وكما نقل دوعن الروض الأنف السبيل . ثم نقل

أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البكري في معجمه ضبطها كذلك . (٢) هو عبد الله بن جعفر كما

في المقدّم فريد، ج ١ ص ١١٢ (٣) الذي في ديوان الخامسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزي «وإلى» .

(٤) في الأصول «ليس يلغنه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الخامسة مع شرح

التبريزي ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأظَلُّ بطن الأصبع من الإنسان، ومن الإبل. اضم المتسم .

وزاد رفعت الكف عنه تجللاً ، لأوثر في زادي على أكيلي
وما أنا للشيء الذي ليس نافعياً * ويفضّب منه صاحبي بقؤول

وقال زهير

وأبيض فياض يده غمامة * على معنفيه ذا تُغب نوافله
غدوت عليه غدوة فوجدته . فعوداً لديه بالصريم عاذله
فأعرضن منه عن كريم مرزاً . جموع على الأمر الذي هو فاعله
أحى ثقة لا تذهب انحر ماله * ولكنه قد يذهب المال نائله
تراه إذا ما حثته متللاً : كأنك تُعطيه الذي أنت سائله

المدايني قال : أضل فيروز بن حصين سوطه يوماً . فأعطاه رجل سوطاً فأمر له
بالف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط فأمر له بالف
درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط ، قال : أعطوه
ألف درهم ومائة سوطاً فاقطع عنه . قال الشاعر .

إني حذت بني شيبان إذ نحدت * نيران قومي فثبت فيهم النار
ومن تكلمهم في المحل أنهم . لا يحسب الجار فيهم أنه جار

وقال آخر

نزأت على آل المهلب شاتياً : بعيداً قصي الدار في زمن محل
فما زال بي الطائفهم وافتقارهم . وإكرامهم حتى حسبتهم أهلي

وقال آخر

إذا كان لي شيطان يا أم مالك . فإن جارتي منهما ما تخيرا

(١) في الأصل «لا يذهب اخده» وهو تحريف ، والتصويب عن الديوان والشعر والشعراء لابن قتيبة .

وقال عمرو بن الأهتم

ذَرِينِي فَاتَّ الشُّعْ^(١) يَا أُمَّ هَيْمٍ * لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَسَوَى فَإِنِّي * عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرَّفِيعِ^(٢) شَفِيقُ
وَمُسْتَمْنِجٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ * وَقَدْ كَانَ مِنْ سَارِي الشَّتَاءِ طُرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَيِّتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقُ
أَضَفْتُ فَلَمْ أُخَشِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ * لِأَحْرِمَهُ إِنِّ الْفِئَاءَ مَضِيقُ
لَعَسْمُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُهُ بِأَهْلِهَا * وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ

كَانَ يُقَالُ : لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ثَوْبٌ لِعَارِي بَنِي هَاشِمٍ ، وَجَفَنَةٌ بِالْحَارِ
وَمِقْطَرَةٌ^(٤) لِحَاكِهِمْ . قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ

وَلَوْ خَذَلْتُ أَمْوَالَهُ جُودَ كَفِّهِ * لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ بَعْضَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فِي الْعُمُرِ قِسْمًا لَزَائِرٍ * لَجَادَ لَهُ بِالشَّطْرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ

وقال الفرزدق

إِنِّ الْمَهَابَةَ الْكَرَامَ تَمَّسُوا * دَفَعَ الْمَكَارَهَ عَنْ ذَوِي الْمَكْرَاهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ * وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحَسَنِ وَجْهِهِ

كَانَ يُقَالُ : الشَّرْفُ فِي السَّرَفِ . قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ

إِذَا نَزَلْتُ بِالْبَاسِ يَوْمًا مُلَبَّئَةً * تَسُوقُ مِنَ الْإِيَّامِ دَاهِيَةً إِذَا

(١) فِي الْأَصْلِ «الشُّعْ» وَهُوَ تَحْرِيْفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ شَرْحِ دِيوَانِ الْخَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ، ج ٤ ص ٩٤

(٢) فِي الْأَصْلِ : حُطِّي بِالْفَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَالتَّصْحِيحُ عَنْ شَرْحِ دِيوَانِ الْخَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ، ج ٤ ص ٩٤
وَنَزَجُ الْعُرُوسِ فِي مَادَّةِ «حُطَّ» وَيُقَالُ كَمَا فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ : «حُطَّ فِي هَوَاةٍ وَانْحَطَّ فِيهِ» ، يُنْزَعُ فِيهِ

وَالْمُرَادُ مِنْهُ فِي الْبَيْتِ مَسَاعِدَتُهُ عَلَى الْجُودِ . (٣) الَّذِي فِي شَرْحِ دِيوَانِ الْخَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ج ٤ ص ٩٤

«الزَّاكِي» . (٤) هِيَ خَشَبَةٌ فِيهَا خُرُوقٌ كُلُّ خُرُوقٍ عَلَى قَدَرِ سَعَةِ تَسَاقٍ يُدْخَلُ فِيهَا أَرْجُلُ الْمُحْبَسِينَ .

دَلَّفْنَا لَهَا حَتَّى تُقَوِّمَ مَيْلَهَا . ولم نَهْدَ عَنْهَا بِالْأَسِنَّةِ أَوْ تَهْدَا
وَكَمْ مُظْهِرٍ بَغْضَاءَنَا وَدَّ أَنْنَا * إِذَا التَّقِينَا كَانَ أَخِيَّ الَّذِي أَبَدَى
مَطَاعِيمُ فِي الْآلَاءِ وَمَطَاعِينَ فِي الْوَغَى * شِمَائِلُنَا تَنْكِ وَأَيْمَانُنَا تَنْدَى

وقال حاتم طي^(١)

أَكْفُ يَدَى مَنْ أَنْ تَتَالَ أَكْفَهُمْ * إِذَا مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَتُنَا مَعًا^(٢)
وَإِنِّي لَأَسْتَجِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى . مَكَانَ يَدَى مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعًا

وقال جابر بن حبان^(٣)

فَإِنْ يَقْتَسِمَ مَالِي بَيْنِي وَنِسْوَتِي * فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فِعْلِي^(٤)
وَمَا وَجَدَ الْأَضْيَافَ فِيمَا يُتَوَبَّعُهُمْ . لَهْمُ عِنْدَ عَالِيَتِ النُّفُوسِ أَبَا مَنِي^(٥)
أَهَيْنُ لَهُمْ مَالِي وَأَعْلَمُ أُنْتَى * سَأُورِثُهُ الْأَحْيَاءَ سِيرَةً مِنْ قَبْلِي

كان سعيد بن عمرو مؤاخيا ليزيد بن المهلب ، فلما حبس عمر بن عبدالعزيز يزيد
ومنع من الدخول عليه ، أناه سعيد فقال : يا أمير المؤمنين ، لي على يزيد خمسون ألف
درهم وفد حلت باني وبني ، فان رأيت أن نأذن لي فأقتضيه ؟ فأذن له فدخل عليه
فسربه يزيد . وقال : كيف وصلت الي ، فأحبره ، فقال يزيد : والله لا تخرج إلا وهي
معك فأمنع سعيد خلف يزيد ليقبضنها ، فقال عدي بن الرقاع

(١) كذا في الأصل . ورواية الخامسة مع شرح التبريزي ج ٤ ص ١١٨

أَكْفُ يَدَى مَنْ أَنْ يَدُلَّ التَّامِبُ * أَكْفُ صَحَابِي حِينَ حَاجَتِهِ .

(٢) هكذا في الأصول ، «حَبَان» بالهاء الموحدة . والذي في ديوان الخامسة مع شرح الخطيب التبريزي

ج ٤ ص ١١٦ «حَبَان» بالهاء المشددة . (٣) في شرح ديوان الخامسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٦

درجوتي . (٤) الذي في شرح ديوان الخامسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٧ «سَلَاتُ الرِّبَانِ» .

لم أر محبوباً من الناس واحداً * حباً زائراً في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازة * بخمسين ألفاً عجلت لسعيد
وقال بعض الشعراء

وإني لحلال بي الحق، أتقي * إذا نزل الأضياف أن أتجهما
إذا لم تزد ألبانها عن لحومها * حلبنا لحم منها بأسيا فنا دما

دخل شاعر على المهدي فامتدحه ، فأمر له بمال فلما قبضه فترقه على من حضر وقال
لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ، وما خلت أن الجود من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى * أفدت وأعداني فبددت ما عندي

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الهاشمي قال ، أخبرني وكيع قال حدثني
أبو العيناء قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودي وكان ذا مال وقد تأدب وقال الشعر
وعرف شيئا من العلوم وكان له ولد ذكور ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفترقه على
أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميرا فاعتوبت على ذلك فقال
رأيت مالى أبر من ولدي * فالיום لا نخلة ولا صدقة
من كان منهم لها فأبده الله ومن كان صالحا رزقه

وحدثني الأحنس بهذا الخبر عن المبرد عن الرياشي والله أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهي المجلد الأول ويتلوه في أول المجلد الثاني
الجزء الرابع وبه تكاب الطبائع

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

‘UYŪN AL-AḤBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ‘Abdullāh b. Muslim al-Dinawarī

(d. 276 H.)

Vol. I

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٦ / ٣٤٠١

I. S. B. N. 977 - 18 - 0028 - 0

‘UYŪN AL-AḤBĀR

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المطلب

رقم الإبداع بدار الكتب ٣٤٠١ / ١٩٩٦

I. S. B. N. 977 - 18 - 0028 - 0